

أنور الجندی

تألیف الصفا الأملا

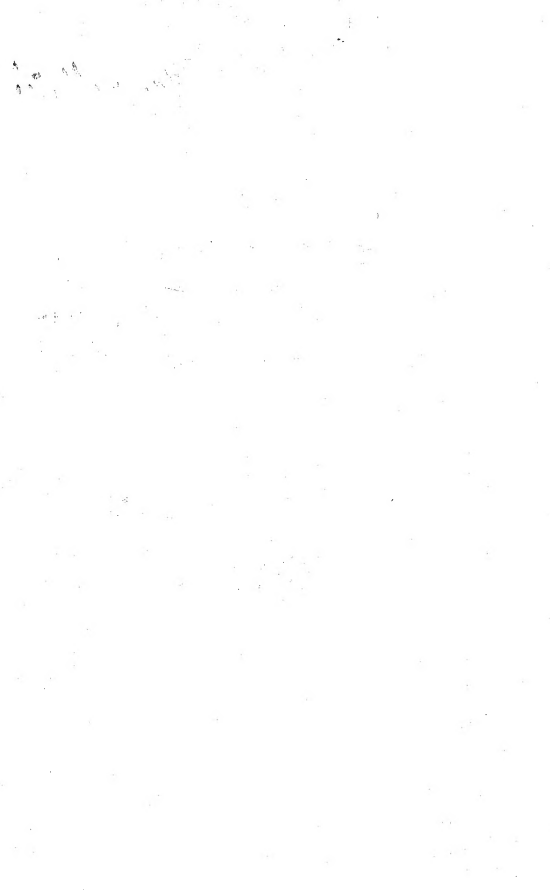
۱

المنار - محمد رشید رضا

۱۳۱۵ هـ - ۱۸۹۸ م

۱۳۵۳ هـ - ۱۹۳۵ م

توزیع
دار الانصار
۸ شارع البستان خامیہ شاہ جہان پورہ
کراچی ۹۳۱۰۸۱



موسوعة

تاريخ الصحافة الإسلامية

(خلال القرن الرابع عشر الهجرى)

(١٣٠١ - ١٨٨٤) الى (١٤٠٠ - ١٩٨٠)

١ - مجلة المنار - رشيد رضا

٢ - مجلة الفتح - محب الدين الخطيب

٣ - صحف الاخوان - حسن البنا

٤ - مجلة الأزهر - (فريد وجدى - محب الدين الخطيب - الزيات)

٥ - الصحف الاسلامية (بعد الحرب الثانية الى نهاية القرن الرابع عشر)

(١٩٤٠ - ١٩٨٠)

تصدر تباعا باذن الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل إلى تاريخ الصحافة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعا بدعوته الى يوم الدين . تباركت ربنا وتعاليت وحمدا على فضلك وعطائك ان هديتنا الى هذا العمل النافع : تاريخ الصحافة الإسلامية منذ نشأتها الى اليوم ونسالك الهداية والتوفيق الى تمام الامر وحسن العرض وكمال الاداء .

المرحلة الاولى : حتى نهاية الحرب العالمية الاولى :

وبعد فالصحافة الإسلامية هي قطاع من الصحافة العربية التي عرفها العالم الإسلامي في العصر الحديث ، توصف بالإسلامية لتمييزها بدراسة شئون المسلمين وقضاياهم ، وقد صدرت الصحف في تركيا ومصر ولبنان في هذه الفترة المبكرة (يومية واسبوعية وشهرية) وأبرز الصحف التي عرفت بالاهتمامات الإسلامية هي (ثمرات الفنون) التي عاشت فترة طويلة في لبنان (١٨٨٥ - ١٩٠٨) عبد القادر قباني (وهي تحتاج الى دراسة مستفيضة) .

اما في مصر فان ابرز الصحف اليومية التي عنيت بقضايا العالم الإسلامي فهي المؤيد (على يوسف) التي صدرت ١٨٨٩/١٢/١ ثم اللواء (مصطفى كامل) وصدرت ١٩٠٠/١/٢ وفي هذه الفترة صدرت مجلتان شهريتان اسلاميتان هما :

المنار (محمد رشيد رضا) ١٨٩٨

الحياة (محمد فريد وجدي) ١٨٩٩ .

ولم تلبث (الحياة) ان توقفت بينما استمرت (المنار) حتى توفي صاحبها ١٩٣٥ .

اما أبرز المجلات الشهرية الإسلامية فهي (العروة الوثقى) التي أصدرها الأفتاني ومحمد عبده في باريس ١٨٨٤ (ولم يصدر منها الا ١٦ عددا ثم توقفت) .

ويرى السيد رشيد رضا أن (المؤيد) هي الصحيفة الإسلامية اليومية الأولى ويرتبط بها في كثير من المواقف والأحوال والواقع أن جريدة اللواء (مصطفى كامل) كانت تعنى بقضايا العالم الإسلامي وتعالج القضية الوطنية من مدخل إسلامي أساسي .

وقد أصدر مصطفى كامل (الحزب الوطني) فيما بعد مجلة العالم الإسلامي (١٩٠٥ - ١٩٠٧) .

ثم أصدر الشيخ عبد العزيز جويش مجلة (الهداية) .
ولما أن هاجر إلى تركيا أصدر مجلة العالم الإسلامي (١٩١٦ - ١٩١٧) .

وفي هذه المرحلة التي تنتهي بالحرب العالمية الأولى نجد عددا من المجلات العربية والإسلامية خاصة تلك المجلات التي صدرت عن الجمعيات الإسلامية :

مجلة جمعية الملاحي ١٩٠٦ خليل حمدي حمادة .
مجلة مكارم الأخلاق الإسلامية ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ)
وكانت قد صدرت (مجلة مكارم الأخلاق) ١٨٨٧ (أحمد الشريف)
كما صدرت مجلة الأزهر (حسن رفيق وإبراهيم مصطفى) ١٨٨٩
(وهي المجلة التي أسسها ولهم ولكوكس فيما بعد لنشر دعوته إلى العامية) .

مجلة الملاحي العباسية ١٩٠٦ .

وهناك صحف صدرت في هذه الفترة لها طابع إسلامي ولكنها ليست إسلامية خالصة :

مرآة الشرق ١٨٨٢
مصباح الشرق ١٨٩٨
الموسوعات ١٨٩٨
مجلة المجلات العربية ١٩٠٨

ويربط السيد رشيد رضا مجلته بالعمدة الوثقى ويرى أنه امتداد لها

البريطاني بينما يتجنب الشيخ رشيد رضا معارضة النفوذ البريطاني الذي كان جاثما على البلاد . وبين صدور العروة الوثقى (١٣٠١ - ١٨٨٤) وصودر الخار ١٣١٥ (١٨٩٨) أربعة عشر عاما لم تصدر فيها مجلات اسلامية سوى مجلة (الاسلام) ١٨٩٤ (١٩١٢) احمد على الشاذلي الأزهرى وهى مجلة ذات طابع خطابي ونمطي (والأستاذ الشاذلي هو الذى سافر من بعد الى اليابان وادخل الاسلام الى ربوعه) .

والواقع ان مجلة الخار هى التى أدخلت أسلوب المعالجة الحديث وقضايا المسلمين الى الصحافة الاسلامية .

مجلة الاسلام (اقدم مجلة اسلامية تحمل اسم الاسلام)

بدأت ١٨٩٤ وتوقفت ١٩١٤ ولم يسبقها الا مجلة الأزهر (حسن رفقى و ابراهيم مصطفى)

يقول احمد على الشاذلي - الأزهر - فى التعريف بانصحافة الاسلامية :

ان الجرائد لها من فضل ما يضيق عن حصر نطاقه بيان كاتب وقلم شاعر اذ هى مصباح النهى ، ورائد الأمة ، ومראה نوى الأمور ، بها يعرضون ما انطوى عليه العالم شرقا وغربا ويهتدون الى حجة الصواب بلا معاناه يستنصر او معاناة حركة فكم حملت مخترعات ووضعت اساسا وريت بين وينات وهزبت رجالا وسيوخا وهى السبب الاكبر الذى نهض بالتفريين الى هذا الحد الذى يراه حين اعتناصوا بحرب الاقلام عن حرب المدافع ، واسكنفوا بالطروس عن الديناميت وبالبحر عن النورين ، لم يزل بين اظهورنا معشر التفرقين المسلمين من ينفقت لهذا الأمر الجليل (الصحف الاسلامية) يلاذهم ملاى بالجرائد الدينية التى تهتز لدعاه الله وغيرهم سبيل الدعوة منتشا الطفل وقد عرف آباءه وأمه والمعبود الذى يدين بالتقرب اليه .

وان الشرق مفعم برجال الدين والثقافة وفرسان الكتابة الجيدين الذين عرفوا الأمر معرفة خيرة واستمسكوا بالرفعة

في مدارس الأجانب وينشؤون على غير معرفة بدينهم وقلوبهم خالية من حب الاسلام فاذا صادفتهم شبهة او سمعوا نغمة من آخر طاروا اليها فرحا . وهذا ما اثار في قلبي حمية العمل والاجتهاد في بث تلك المبادئ في قلوب الشباب والعامة من الناس الذين لا يعرفون العلم الا بالاذان ولا يرون الا يفرون بغرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها باشراف بحيث تحرير جريدة عربية العبارة اسلامية المشرب مصرية الهداية تكفل لآخواننا المسلمين بيان امور دينهم وتدلهم على طرق النصح لهم ولاخوانهم الذين يفرون بغرهم ويذلون بذلهم وسميتها الاسلام تسمية لها باشراف بحيث ينشر فيها » .

وقد حفلت المجلة بابواب مختلفة منها :

ادبيات - امثال وحكم ، آداب الاسلام ، العقائد التوحيدية ، قواعد الاسلام ، كتاب صحيح البخارى ، صلاة الجماعة ، اجتناب المعاصي ، الخمر ومضارها ، الحشيش ومضاره .. الخ الخ .

هذه هي طلائع الصحافة الاسلامية التي اعطاها اصالتها فريد وجدى ورشيد رضا .

مجلة الحياة (١٣١٧ - ١٨٩٩)

يقول الأستاذ فريد وجدى : ان مقصد (الحياة) المجلة - هو الحيلولة بين مكارثت الالحاد واذهان ابناء المشرق ولذلك فهي ستجعل مطمح نظرها جملة نقط مهمة :

اولاها : اقامة اقوى الأدلة العلمية على ان الديانة الاسلامية هي روح العمران وقوام سعادة الانسان بطرق لا تجعل للشكوك مجالا في الاذهان وستسلك لهذا العرض المسالك المعاصرة في تأييد آقاويلها بالحجج الفلسفية الدسسية .

ثانيا : تثبيت الأحوال الدينية في العقول الطموحة . كاثبات وجود الله تعالى والروح والآخرة بالأدلة الدامغة . وستعتمد في ذلك على تحقيقات العلماء المعصرين جريا مع سنة الزمان اعتقادا منا بان نشأتنا الحديثة أحوج الى الخدمة منها الى سواها وايقانا من لدنا بان نقش اصول العقائد

في أذهاننا بالطرق العصرية أنفع لها وللبلاد من تعليمهم الطبيعة والكيمياء وليس يعد المشاهدة حجة لمرتاب .

وليس قصدنا إلا خدمة الأقطار العمومية من هذه الوجهة الرئيسية :
التمدين والتدين - تخفية الجنان ببدايع الأكوان - أثبات وجود الله تعالى - ما وراء المادة .

واننا وإن كنا لا نود فائدة مادية ، من هذه المجلة ، إلا أننا لا نود أيضا أن نخسر فيها كثيرا واننا لم ننتسجع على تحمل هذه الخسائر المادية إلا لما نعلمه من شرف الخاصة والعامة بمطالعة ما نكتبه (وأشار الكاتب الى آثاره السابقة على أنشاء المجلة وخاصة كتاب الحقيقة الفكرية في أثبات وجود الحضرة الإلهية بالأدلة الطبيعية) .

يقول : وقد أسسنا هذه المجلة ومطمح نظرنا غرضان مهمان :

وهما تثبت أصول الدين الاسلامي الحنيف في عقول أبنائه بنتائج العلم العصري وإقامة الأدلة العلمية والفلسفية على أن هذا الدين الكريم هو منتهى ما يصل اليه الانسان من حقيقة الدين وغاية ما تدفعه اليه استعداداته الفطرية المنزوية في طي مواهبه الطبيعية .

وقد اعتضدنا في سائر أبحاثنا ببراهين الفلسفة الغربية ، واستخدمنا نتائج أفكار قادتها وثمرات كدهم وكدهم في تأييد أصولنا الاسلامية ، مراعاة لمطلوب العصر الحاضر ومجاراة للأعمال العامة رأينا أن اندفاق مذبذبة الغرب على الشرق ستجر معها ما يلابسها من سموم قاتلة ومكاريت هائلة فوجدنا أن أجل خدمة تؤدي للإسلام هي وقوف بعض بنيه على ما رب ذلك التيار المندفع بمصفاة من العلم لتحجز ما تحمله من قدر وتترك السبيل لسلسيله الصافي ليرده من بعد الورود بلا خوف ولا تخرج . وقد تبين العالم أجمع أن ترك ذلك التيار على ما هو عليه من كدر ودجل قد جر بعضا منا الى ما لا يحمد من الخروج عن دائرة الحكمة حتى قال قائلنا اذا كانت هذه نتائج المدنية فاللهم حوالينا ولا علينا » .

وقد مضى فريد وجدى في منهجه هذا الذي أطلق عليه :

« الشبهات العصرية على الأديان ونفيها عن الاسلام »

وهو مدخل حقيقى لما أطلق عليه من بعد علم مقارنات الأديان . وهذا المنهج الذى سار عليه فريد وجدى حياته كلها يختلف اختلافا واضحا عميقا عن منهج رشيد رضا وأن كان هذا المنهج قد بدأ فى طريقة الشيخ محمد عبده ، فإن فريد وجدى يعتبر نفسه تلميذا لهذه المدرسة السلفية ولكنه يتفرد بالجناح الى دراسات النفسنة والعلم الحديث وأجراء مقارنات بينها وبين الاسلام ، وقد مضى فريد وجدى فى مجلة الحياة فترة لم تطل فقد توقفت المجلة ولكنه ولى عام ١٩٢٥ رئاسة تحرير مجلة الأزهر وساد فيها هذا الأسلوب الى نهاية حياته ١٩٥٢ شريفا . وقد وقع فى شأن هذا المنهج خلاف واسع وعميق بينه من ناحية وبين رشيد رضا ومحب الدين الخطيب من ناحية أخرى كما يظهر فى مساهلات مجلة الفتح (الحلقة الثانية : مجلة الفتح) .

أما منهج المنار فهو يختلف اختلافا واضحا عن هذا الأسلوب الذى اتخذه فريد وجدى ، إذ أنه يعتمد على أسلوب أهل السنة والجماعة وهو أصح المذاهب وهو التطور الطبيعى للأسلوب الذى بدأه جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده (وكانا يسميان المعتزلة الجدد) وصولا الى منهج أهل السنة ومفهوم القرآن الأصيل على النحو الذى سار عليه رشيد رضا واتسع بعد وعمق فى كتابات الأستاذ حسن البنا (الحلقة الثالثة : صحف الاخوان) .

وفى هذه المرحلة نجد أن هناك عددا من المجلات الاسلامية فى البلاد العربية والاسلامية :

المنصف — تونس — محمد الشريف التيجانى — ١٩٠٧

القبلة — مكة المكرمة — محب الدين الخطيب — ١٩١٦ .

ولا ننسى فى هذا المجال أن نذكر أن مجلة الأستاذ لصاحبها (عبد الله نديم) صدرت فى عام ١٨٩٢ ولكنها لم تلبث أن توقفت وهى ليست مجلة اسلامية بقدر ما هى مجلة وطنية اجتماعية .

أما مجلة الهداية التى أنشأها الشيخ عبد العزيز جاويز (١٩١٠ — ١٣٢٨) فقد عنت بتفسير القرآن (أسرار القرآن ، النسخ فى القرآن ، نزول القرآن) .

وقد أولت اهتماما كبيرا لأحوال المسلمين في العالم فتحدثت عن مسلمي بلغاريا وروسيا والبوسنة والهرسك وانتشار الإسلام في أفريقيا وبين روسيا وفارس والإسلام في الهند وعن وفد مسلمي الصين إلى السلطان ، كما أولت اهتماما للغة العربية وأنشاء نادي دار العلوم للغة العربية واهتمت بإحياء التراث الإسلامي ، والكلام عن الشريعة الإسلامية ، وموقف العرب من مذهب دارون وهذه عبارتها :

(تزود عن الدين الحنيف وتزيل الشكوك التي يروجها المشككون وتدحض مزاعم الطاعنين من القساوسة والراهبين وتدعو إلى التمسك بتعاليم دينهم وبالأخلاق الكريمة :

يقول الأستاذ عبد العزيز جابوش : كان حقا على كل مسلم نور قلبه الإيمان أن يهيب بالمسلمين داعيا إياهم إلى السبيل القويم ناصحا لهم أن يعضوا على دينهم بالنواجذ مستمسكين منه بالعروة التي لا تنفصم ، مستعصمين منه بالحياة التي تؤمن كل معتصم مفندا ما يأتي به الطاعنون فيه من التشبه التي تقوى ضعاف اليقين فقد طوى سيلها وسكت عن تفنيدها الذين من أخص خصائصهم أن يفندوها ويدحضوها حتى كثر سواد الطاعنين من القساوسة والرهبان ولم يعذر السفهية إلا أن يؤتى دواء وقلم ، رأينا وسمعنا ذلك فمن لنا أن ننشئ مجلة تفرغ بعضها لإذاعة (أسرار القرآن) الذي هو دستور السعائين .. ولرد تلك الشبه وإدحاض ما يكيلونه جزافا من الأكاذيب وبيان أن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وتفرغ من بعضها قسما لتعاش لغة العرب من عفارها مما نأتى به من التحقيقات التفوية والإشارات الأدبية فقد أصبحت اللسنة ترتضح عجمه ليست الأصل والدخيل ونودع ما بقى من فراغ المجلة أبحاثا أخرى » .

وقد مضى الشيخ عبد العزيز جابوش وهو تلميذ الشيخ محمد عبده أيضا إلى إصدار مجلته ولكنه توقف بعد قليل — وإن كانت له مثل فريد وجدى مؤلفات مشهورة — أما الذي صمد في الحقيقة من تلاميذ الإمام الثلاثة فهو رشيد رضا .

المرحلة الثانية : من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية

(١٩١٩ — ١٩٣٩)

وهذه هي أدق مراحل العمل الصحفي الإسلامي فقد صدرت فيها مجلات إسلامية خيرة أبرزها :

- ١ - مجلة الفتح : مطبوعتين ١٩٢٦
- ٢ - مجلة الزهر : صدرت تحت اسم نور الإسلام ثم عدلت
- ٣ - صحف الإخوان المسلمين : [١٩٢٢ أسبوعية (الإخوان)
الأنفيل ١٩٢٨ السلود ١٩٢٨]
- ٤ - الشباب المسلمون ١٩٢٩ (جماعة الشبان)
- ٥ - مجلة الشهاب (عبد الحميد بن باديس) قسنطينة ١٩٢١ .
- ٦ - التمدن الإسلامي : دمشق ١٩٢٥ / ١٩٥٤ - أحمد مظهر العظمة
(وما تزال مستمرة الى اليوم) وهي من أمثل المجلات التي يجب
دراستها

- ٧ - الاعتصام (أحمد عيسى عاشور) ١٩٢٩
- ٨ - الهداية الإسلامية (محمد الخضر حسين) ١٩٢٨ .
- ٩ - الهدى النبوى - ١٩٢٧ - محمد حامد الققى
وفي أثناء العالم الإسلامي صدر عدد من المجلات الإسلامية منها :
الهدى - ماليزيا - عبد الواحد الجبالي العلوى ١٩٢١
مرآة المحمدية - جاكارنا - محمد على قدس ١٩٢٧ .
المرشد - بغداد - محمد الحسنى / صاحب الشهرستانى ١٩٢٥ .
الاصلاح (مكة المكرمة) محمد حامد الققى ١٩٣٠
الاعتصام (حلب) عبد الله المعتز ، عون الله الاصلاحى ١٩٢٩ .
أم القرى (يوسف ياسين) ١٩٢٥
شمس الإسلام (تونس) محمد الصالح بن مراد - ١٩٢٧ .
القضايا التي عالجتها الصحافة الإسلامية :
وقد تناولت هذه المجلات مختلف القضايا الإسلامية المثارة في هذه
المرحلة :

قضية الدعوة الإسلامية : صحف الإخوان

قضية الخلافة (المنار)

قضية التفريب : طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق (المنار

والفتح)

قضية الفلسفة : الأزهر (فريد وجدى)

قضية العقائد : مصطفى صبرى - فريد وجدى - محب الدين الخطيب (الفتح)

قضية فلسطين : صحف الاخوان والفتح .

قضايا التحرر السياسى الاسلامى ، قضايا المغرب الباكستان ، فلسطين (الفتح وصحف الاخوان)

قضايا الاقتصاد الوطنى : (صحف الاخوان)

قضايا الشريعة الاسلامية : (صحف الاخوان والفتح)

قضايا بناء المجتمع الاسلامى بالتربية (صحف الاخوان) .

كما تناولت الصحف الاسلامية في هذه الفترة قضايا النفوذ الاجنبى وقضايا الدعوة الاسلامية ، واللغة العربية والتاريخ وتركت تراثا ضخما واسعا في حاجة الى عرض وتقييم واسعين نرجو ان نتمكن من القيام بجانب منه في دراستنا للصحف الاسلامية .

[المنار - الفتح - صحف الاخوان - الأزهر]

تتميز هذه المرحلة بالجرأة في معالجة قضايا التبشير والاستشراق والتعريب وبروز عدد كبير من اعلام الفكر الاسلامى

٣ - المرحلة الثالثة : من الحرب العالمية الثالثة الى اليوم :

في هذه المرحلة صدرت صحف اسلامية عديدة ابرزها :

الدعوة - مصر - صالح عثماوى - ١٩٥١ (ثم توقفت ١٩٥٦)
وعادت الى الصدور ١٩٧٤

المجتمع - الكويت - جمعية الاصلاح ١٩٧١

جوهر الاسلام (تونس) .

دعوة الحق (المغرب) .

الأصالة (الجزائر) .

اللواء الاسلامى : احمد حمزة .

- البصائر — الجزائر — محمد البشير الابراهيمي ١٩٤٧
الشهاب — مصر — حسن البنا ١٩٤٧
جريدة الاخوان المسلمين (اليومية) ١٩٤٦
المسلمون : سعيد رمضان ١٩٥١
الوعى الاسلامى : الكويت
الرابطة الاسلامية : محمد شاهين حمزة ١٩٤٤
منار الاسلام : ابو ظبى
منبر الاسلام : (وزارة الاوقاف) ١٩٤٨
البريد الاسلامى : محمد توفيق احمد ١٩٤٣
الامة : قطر
حضارة الاسلام : سوريا (مصطفى السباعى) .
صوت الاسلام : محمد عطية خميس ١٩٥٤
رابطة العالم الاسلامى : محمد سعيد العامودى (رابطة العالم الاسلامى) مكة
وواصلت الثبان المسلمين ، الاعتصام ، الأزهر ، الفتح صدورها .
البلاغ : الكويت (عبد الرحمن الولايتى) ...
الدعوة : المملكة السعودية ..
المسلم : محمد زكى ابراهيم ١٩٥١
- هذه عجالة لاستعراض رموس موضوعات واسماء الصحف ، تقديمها بين يدى الدراسة الاولى عن (العروة الوثقى والمنار) على ان نعد فى نهاية المطاف بحثا مستقيضا مفصلا عن نتائج دراسة الصحافة الاسلامية وتحليل لواقعها وآثارها على ان تبدأ من اليوم فنضع هذه الخطوط العامة :
- اولا : هناك صحافة دعوة وصحافة فكر :
- اما صحافة الدعوة فهى التى تتحدث عن التربية والتكوين الخلقى

والاجتماعي للشباب المسلم ولا تقدم له الا الابحاث الناضجة البعيدة عن الخلافات والتيارات الفلسفية ، رغبة في اعداده اعدادا سليما .

اما صحافة الفكر فهي التي تعنى بالدراسات الفلسفية والمنطقية وغيرها على النحو الذي نراه واضحا في المرحلة الاولى من مجلة الأزهر خلال تولي فريد وجدي رئاسة تحريرها (١٩٣٥ - ١٩٥٦) حتى وفاته .

اما مجلة الفتح وصحف الاخوان ومجلة الدعوة فهي صحافة دعوة . وهناك صحف جمعت بين الدعوة والفكر .

ثانيا : هناك صحف اعلنت في المراحل التالية لها واخذت وضعا اشد قوة وحمية مما كانت في اول امرها ، كما ان هناك صحف توقفت تحت ضغط الظروف السياسية او وفاة منشئها .

ثالثا : هناك صحافة شعبية وصحافة حكومية :

الصحافة الاولى التي يقوم بها افراد او جمعيات اسلامية وهي اكثر حرية واكثر تعقدا في معالجة المشاكل والقضايا وابرار وجهة نظر الاسلام اكثر من الصحافة الاسلامية الحكومية التي ترتبط بمواقف الحكومات من هذه القضايا او بمواقف بعض الاقطار بالاقطار الاخرى .

رابعا : ولم تتوقف الكتابات الاسلامية على كتاب الاسلام العرب ولكن ظهرت اسماء كثيرة من الكتاب الاسلاميين من الهند وباكستان واندونيسيا وماليزيا وايران وتركيا .

خامسا : غطت الصحافة الاسلامية جميع القضايا الاسلامية المثارة في العصر والبيئة مما ووصلت بعض الصحف الاسلامية الحرة الى القدرة على الكشف عن وجوه النقص والقصور في تلك القضايا .

سادسا : ابرز القضايا التي عولجت هي قضية فلسطين ثم قضية فلسطين والقدس وقضايا الربا والتعليم الغربي ومختلف قضايا المجتمع الاسلامي والاقتصاد والسياسة والتربية وقد قدمت فيها دراسات خصبة واوراق عمل نافعة .

صدرت في السنوات الاخيرة مجلات اسلامية اخرى خاصة في القاهرة :
الوأم الإسلامي والنور والتصوف الإسلامي .

سابعاً : غطت الصحافة الإسلامية جميع المؤتمرات الإسلامية التي عقدت لدراسة مختلف القضايا وخاصة قضايا التضامن الإسلامي والملتقيات الإسلامية في الجزائر والرياض وجاكارتا ومكة المكرمة . ومؤتمر السنة والسيرة في اسلام آباد واستانبول والدوحة .

ثامناً : كشف مخططات الاستشراق والتعريب في عديد من مؤتمراتهم ودراساتهم ، وزيف تلك التشبهات وأبانت عن وجه الحق كما كشفت زيف الديمقراطية والاشتراكية والوجودية والعلمانية ، وواجهت النحل المنحرفة كالقاديانية والبهائية .

تاسعاً : صحافة اسلامية مختلطة : كالاسلاميات في مجلات الرسالة والهلل والثقافة .

والصفحات الإسلامية السياسية التي كانت تنشر في الصحف اليومية : البلاغ وكوكب الشرق والجهاد .

وفي المرحلة الثالثة تلك الصفحات الإسلامية الأسبوعية في الاهرام والجمهورية وأخبار اليوم ، ومدى الدور الذي تقوم به (مع ملاحظة ان الجمهورية أصدرت ملحقاً دينياً بتوجيه مصطفى بهجت بدوى واشراف صلاح عزام خلال فترة الستينات) ثم توقف ، كذلك فإنه يجب دراسة ظاهرة صدور صحيفة يومية اسلامية وكان هذا اهل من آمال المصلحين خلال نصف قرن فلما صدرت صحيفة الاخوان اليومية (١٩٤٦ - ١٩٤٨) ثم توقفت لم يتجدد التفكير في اصدار صحيفة يومية اسلامية مرة اخرى .

كتاب الصحافة الإسلامية

كشفت هذه الصحافة الإسلامية عن عدد كبير من الكتاب الذين اشتغلوا بالصحافة والدعوة الإسلامية في مقدمتهم :

أحمد حمزة : لواء الإسلام	محب الدين الخطيب :
أحمد عارف الزين : العرفان	الزهراء ، الفتح ، القبلة
أحمد مظهر العظمة :	محمد الهياوى :
التمدن الإسلامى	محمد أبو زيد عثمان : التنوير
أحمد عيسى عاشور : الاعتصام	محمد شاهين حمزة :
أحمد الشاذلى الأزهرى :	الرابطة الإسلامية
الإسلام	محمد البشير الإبراهيمي : البصائر
أمين الرافعي : الأخبار	محمد حامد الفقى : الهدى النبوى
أمين عبد الرحمن : الإسلام	محمد الخضر حسين :
أحمد أنس الحجاجي :	الهدى الإسلامى
منزل الوحي	محمد عطية خميس : صوت الإسلام
حسن البنبا :	محمد زكى إبراهيم : المسلم
(صحف الأخوان) و (الشهاب)	محمد رشيد رضا : المنار
حسن عبد المقصود : الانتصار	محمد محمد علوان :
سعيد رمضان : المسلمون	الإسلام والتصوت
صالح عثمانوى : الدعوة	محمود أبو الفيض المتوفى :
على الفياثي : منبر الشرق	العالم الإسلامى ، لواء الإسلام
عمر التامساتي : الدعوة	محمد سعيد العامودى :
عبد الحميد الزهراوى : الحضارة	الرابطة الإسلامية
عبد الحميد بن باديس : الشهاب	محمد توفيق أحمد :
عبد العزيز جاويش :	البريد الإسلامى
العالم الإسلامى والهداية	مصطفى السباعي :
فريد وجدى : الحياة	حضارة الإسلام
لبيبة أحمد : النهضة النسائية	

(ولقد أفرزت الصحافة الإسلامية خلال هذه المراحل الثلاث عددا ضخما من كتاب المدرسة الإسلامية هم جديرون بدراسة خاصة مستقلة عنهم)

وبعد فهذا استعراض سريع هو بمثابة إطار للتحرك من داخله في إصدار هذه الموسوعة عن تاريخ الصحافة الإسلامية ، هذا وبالله التوفيق ،
أنور الجندى

البَابُ الْأَوَّلُ

العروة الوثقى

الفصل الأول : أثر العروة الوثقى في منهج الصحافة الإسلامية

الفصل الثاني : من العروة الوثقى إلى المنار

الفصل الأول

اثر (العروة الوثقى) في منهج الصحافة الاسلامية (بين العمق التاريخي والأثر المستقبلي)

صدر العروة الوثقى في باريس (٥ جمادى الأولى ١٣٠١) الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ وتوقفت في ١٦ أكتوبر ١٨٨٤ (وأصدرت ثمانية عشر عددا) فكانت هذه الاضامة بمثابة دستور جامع شامل للعمل الصحفي الاسلامى لم يلبث أن نما واتسع بعد خمسة عشر عاما بصدور مجلة المنار عام ١٨٩٩ حيث امتدت ستة وثلاثين عاما ، وقد كانت المنار بمثابة منار حقيقى للصحافة الاسلامية التى حملت لواء الفكرة السلفية بكل نقائهما وایمانها وقد امتدت الى المغرب غزبا والى اندونيسيا وأرخبيل الملايو شرقا عبر جميع الاقطار الاسلامية من الجزيرة العربية الى الشام الى العراق الى الهند الاسلامية والباكستان وأفغانستان .

ولقد كانت هناك صحافة سياسية قبل العروة الوثقى تتحدث عن قضايا العالم الاسلامى من أبرزها مجلة الجوائب التى كان يصدرها أحمد فارس الشدياق منذ ١٨٥٠ ميلادية (١٣٠٤ هـ) حتى وفاته ١٢٧٧ هـ (١٨٨٧ م) فعاشت ثلاثة وعشرين عاما ولكنها لم تقدم منهجا اسلاميا للصحافة على النحو الذى عرفناه في العروة الوثقى .

لقد صدرت العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ (وبعد الاحتلال الفرنسى للجزائر ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١) ، وكانت خلقية العروة الوثقى ممثلة في أمرين :

اولا : كان امام محمد عبده وجمال الدين تجربة الامام ابن تيميه في الحروب الصليبية ومواجهة الغزو الخارجى .

ثانيا : حركة التوحيد في الجزيرة العربية بقيادة الامام محمد بن عبد الوهاب .

وكانت هذه المرحلة قد تجاوزت الوقوف عند قضية تحرير الفكر الاسلامى من قيد التقليد التى قامت بها حركة التوحيد ، الى العمل لمواجهة الغزو الاستعمارى للعالم الاسلامى ، هذه القضية التى بدأت باحتلال

الجزائر بعد جهاد الامام عبد القادر خلال سبعة عشر عاما ، وهى المعركة التى واجهت الامام محمد بن على السنوسى فطاف البلاد العربية والاسلامية للبحث عن مواجهة الخطر ، وكان جمال الدين الافغانى قد قدم من ارض افغانستان وايران والهند حيث كان النفوذ الأجنبى (الانجليزى) يتحرك هناك بقوة ، وقد واجه هو شخصا فى بلاط امبراطور فارس هذه التجربة وحاول التصدى لاصدار الدستور الايرانى ، ومن ثم واجهه النفوذ الاستعمارى بالاضطهاد فقدم الى مصر « قلب العالم الاسلامى » ليوافقه هذه الغزوة الاستعمارية ، وكانت كلمته المعروفة دائما :

هى « تنكيس اعلام بريطانيا فى العالم الاسلامى » .

وكانت بريطانيا قد سيطرت على الهند عام ١٨٥٧ وامتد نفوذها الى ايران وافغانستان عام ١٨٦٨ .

ومن هذا فقد جاء صدور العروة الوثقى بعد الاحتلال البريطانى لمصر مضيفا مبدا جديدا للعمل الصحفى الاسلامى وهو قضية الوحدة الاسلامية التى كان يحمل لواءها السلطان عبد الحميد حاكما ، والسيد جمال الدين الافغانى داعيا ، وقضية تحرير الأوطان الاسلامية من النفوذ الأجنبى .

وهكذا انشأت « العروة الوثقى » ذلك المنهج الجامع الصحيح الذى سارت عليه الصحافة الاسلامية منذ ذلك اليوم والى اليوم من خلال أهداف واضحة محددة أهمها :

اولا : ايقاظ الروح الكامنه فى النفس الشرقية ومحاربة اليأس ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف .

ثانيا : التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين .

ثالثا : تنبيه الأمة الى ذاتيتها الاصلية التى انشأت الحضارة الاسلامية الزاهرة وقدمت صفحات التاريخ الوضئى والتذكير بعظمة التراث الاسلامى .

رابعا : محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الاسلامى .

خامسا : الدعوة الى امتلاك اسباب القوة والتقدم والعلم والتمدن

دون التخلّى عن الجذور في دائرة مفهوم الاسلام القائم على العدل والرحمة والاءاء البشرى .

سادسا : مقاومة التبعية والحيلولة دون الذوبان في الامة او الفكر العالمى .

وبذلك دخلت الصحافة الاسلامية الى اطار الاسلام السياسى والحضارى والاجتماعى وكانت قبل ذلك تقف عند كتابات حول العقائد والعبادات .

ومن قبل صدور العروة الوثقى ومنذ وصول جمال الدين الى القاهرة عام ١٨٧٩ ، فقد كان له دوره الواضح الخطير في الصحافة المصرية والاءاء الصحفى بالتحول عن أسلوب السجع والمحسنات اللفظية والمقدمات المستطردة الى أسلوب جديد اقرب الى الاءاء العلمى المبسط ، وهذا ماظهر في كتابات تلاميذه والءسحف التى صدرت في عهده وفي كتابات محمد عبده وابراهيم اللقانى وسعد زغلول .

ولقد كان اثر العروة الوثقى واضحا على مستويات متعددة :

في بيان الزعماء والمصلحين وكتابات الكتاب وفي الحركات الاسلامية وفي الصحف التى صدرت منذ ذلك الحين .

وقد كان اكبر مظاهر هذا الاثر في مصر عن طريق المنار التى تعتبر الامتداد الطبيعى للعروة الوثقى من حيث أن الشيخ محمد عبده الذى كان المحرر الاول للعروة هو بمثابة المشرف على المنار (مع ملاحظة تغيرات العصر والمسائل المتجددة) حتى وفاته ١٩٠٥ .

وفي هذه المرحلة صدرت صحيفتى المؤيد (الشيخ على يوسف) اللواء ، والعلم (الحزب الوطنى وأبرز محرريها الشيخ عبد العزيز جاويش) ، وذلك حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثم صدرت صحف سياسية تقدم صفحة اسلامية تحت عنوان العالم الاسلامى او العربى ، وذلك في صحف كوكب الشرق (أحمد حافظ عوض) ، البلاغ (عبد القادر حمزة) ، والجهاد (توفيق دياب) ، وجريدة الاخبار (أمين الراعى) .

ثم صدرت بعد الحرب مجلات : الأزهر (١٩٣٢) تحت اسم « نون

الاسلام» أولا ، ومجلة الفتح ١٩٢٧ (محب الدين الخطيب) ، ومجلات الجمعيات الاسلامية : الشبان المسلمين ، والاخوان ، والهداية الاسلامية وغيرها عشرات المجلات الاسلامية الأخرى التى لم تخرج على هذا النسق الذى رسمته العروة الوثقى وطبقته المنار .

وفى أوربا (فى جنيف) صدرت مجلة الأمة العربية (شكيب أرسلان واحسان الجابرى) ، وصدرت منبر الشرق (على الغاياتى) لمعالجة قضايا الاقطار الاسلامية .

أما فى المشرق الاسلامى فقد صدرت المجلات الاسلامية الآتية :
تونس : شمس الاسلام ١٩٣٧ ، مجلة المعارف ١٩٠٧ (محمد صادق المحمودى) .

الحجاز : مجلة مكة المكرمة (هاشم يوسف الزواوى) ، الاصلاح ، ام القرى ١٩٢٥ ، القبلة .

حلب : الاعتصام

دمشق : التمدن الاسلامى .

تسليطية : الشهاب ١٩٣١ (عبد الحميد بن باديس) .

ماليزيا : الهدى ١٩٣١ (عبد الواحد الجبلانى العلوى) .

الجزائر : البصائر (محمد البشير الابراهيمى) .

وصحف أخرى كثيرة يخطئها الحصر .

أما عشرات الاعلام الذين تعلموا على « العروة الوثقى » والمنار ، فهم كثيرون ، فى مقدمتهم عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عاشور فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس فى الجزائر ، وعلال الفاسى فى المغرب وفى دمشق ، الشيخ حسين الجسر ، وطارق الجزائرى ، والكواكبي ، وجمال الدين القاسمى ، وعبد الرازق البيطار ، وفى العراق محمود شكرى الالوسى .

فهذه المدرسة السلفية التى انشأتها العروة والمنار امتدت الى كل هذه المناطق ، وكان محمد عبده قد أقام فى بيروت فكون بذرة صالحة هناك لاذاعة مفاهيم التوحيد الخالص ، كما أنه زار تونس والجزائر وترك فيها بذرة العمل السلفى الذى انبثقت منها الحركة الوطنية فى الجزائر والمغرب وتونس

في سبيل مقاومة النفوذ الاجنبى ونشأ على ذلك جيل قاوم هذا النفوذ مقاومة صامدة حتى تحقق له النصر .

واينما تلتفت في اقطار الاسلام الى المجاهدين في سبيل تحرير الاوطان تجدهم من تلاميذ العروة الوثقى والمنار ، وقد امتد هذا النفوذ الى ارجيسل الملايو حيث يقول المستشرق ك . ك . برج . (في كتاب وجهة الاسلام) تأليف هاملتون جب وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة ما يلي :

« ولم يشرق منار القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه اشرق على العرب في بلادهم وخارجها وعلى مسلمى ارجيسل الملايو الذين درسوا في الجامعة الازهرية وعلى الاندونيسى المنعزل الذى ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الاسلامى بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعا راوا الاسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود وراوه الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل الاعنى لكل زمان مضى ، المثل الجديدة لكل زمان آت ، وهو شباب متجدد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في التسامح ، وقد أصبح الذين اقتبسوا من نور المنار منارات صفرى في اندونيسيا بعد أن عادوا اليها » .

وقد أشار مؤلف كتاب « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا »

الى اثر الشيخ محمد عبده والمنار في الحركة السلفية في تونس والجزائر والمغرب على اثر زيارته لتونس عام ١٨٨٣ ثم زيارته للجزائر عام ١٩٠٤ ثم كانت المنار التى تصل الى كل مكان في العالم الاسلامى وقد تأثر بها الدعاة المسلمون هناك وكان خطها واضحا في مجلة الشهاب التى اصدرها الامام عبد الحميد بن باديس عام ١٩٣٠ على نفس النهج ، ولقد حدثنى الأستاذ احمد توفيق المدنى الذى هو أحد ثمار ما سمى في الجزائر وتونس جماعة العروة الوثقى أن الجماعة اصدرت عام ١٩١٥ أول صحيفة اسلامية في الجزائر تحت اسم الفساروق بقيادة السيد عمر بن قدور الجزائرى وانها تصدت للاستعمار الفرنسى بمقاتل كتبه المدنى كان من نتيجته أن حكم عليه بالسجن هو ومؤسس مجلة الفاروق من ١٩١٥ الى ١٩١٨ في زنزانة ضيقة .

وفي الجزيرة العربية كانت العروة ثم المنار موضع تأثير كبير في مجالس العلم ، ويتحدث الأستاذ مبارك الخاطر في كتابه عن القاضى الرئيس قاسم ابن مهزغ حيث يصور الحركة الفكرية في البحرين فيقول : ان شباب البحرين الذين درسوا في الأزهر بمصر وكلية عليكرة في الهند وعادوا قد اعتنقوا آراء

السيد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وأحزابهم فى مصر والشام والعراق الذين وجدت آراؤهم صدق لها هنا بين الشباب اذ ذلك عبر ما يقرأونه هنا من صحف هؤلاء المصلحين المجددين أمثال العروة الوثقى للأفغانى ومحمد عبده ، والمؤيد لعلى يوسف ، والمنار لرشيد رضا ، واللواء لمصطفى كامل ، وقد كانت هذه الصحف تحمل آراء هؤلاء الى كل أبناء المسلمين فى كل الأرض وكانت عناوين مقالات تلك الصحف من مثل (أخبار الجاويين) أى مسلمى أندونيسيا وجمعيات المسلمين فى الهند ، والمسألة الشرقية ، فقد كتب التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ، الجامعة الاسلامية ، المسلمون الروس فى مجلس الدوما السوفياتى ، الاستعمار فى جزيرة العرب ، الفارة على العالم الاسلامى .

وكان من ظهور هذه الصحف العربية الاسلامية وآخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كردة فعل جاءت بالفكر الاسلامى الاصلاحى الجديد وكسلاح فكري اسلامى لوقف الأخطبوط الماسونى التبشيرى الذى غزا الأمة الاسلامية على حين غرة مهدين السبيل للهجمة الصليبية الاستعمارية الجديدة التى استهدفت عقيدة هذه الأمة وتراثها ليسهل أمر استعبادها فكريا وبالتالي ليستمر استعبادها جسديا ، وقد كان .

وكان الشيخ قاسم بن مهزح زعيم الفكر الاسلامى فى البحرين يقرأ مجلة المنار ويقول انها تعبر عن الأقوال الفاصلة بالحق .

ولقد امتدت المنار حتى عام ١٩٣٦ حيث توفى السيد رشيد رضا ولكن مجلة النتج التى أنشأها السيد محب الدين الخطيب الذى يعتبر خليفة السيد رشيد رضا فى هذا المجال امتدت حتى عام ١٩٤٨ ، كذلك فان السيد فريد وجدى تلميذ الأستاذ الامام قد أشرف على مجلة الأزهر (١٩٣٤ — ١٩٥٢) ثم تولاها السيد محب الدين الخطيب ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وقد امتدت جماعة العروة والمنار من تلاميذ الأستاذ الامام فى مجموعة أخرى ، منها الشيخ سرور الزنكونى والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبد المجيد سليم ، ثم فى مجموعة تالية أو طبقة تالية ، منها الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الجليل عيسى .

وفي الهند الاسلامية امتدت هذه المدرسة في الشاعر محمد اقبال والسيد المودودي وأبو الحسن الندوي ، وفي أفغانستان وإيران لا نعدم الكثيرين من تلاميذ المدرسة السلفية التي كونتها العروة والمنار .

وقد أحصى المغفور له الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه (مدرسة الأستاذ الإمام وأثرها في اللغة والأدب) عددا كثيرا ممن تأثروا في أسلوبه ومنهجه وهم تلاميذ العروة والمنار على الأصح ، سعد زغلول ، حفنى ناصف ، محمد المهدي ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، على يوسف ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، عبد القادر المغربي ، عبد الرحمن البرقوقي ، أحمد لطفى السيد ، مصطفى عبد الرازق ، أحمد تيمور ، محمد مصطفى المراغى ، أحمد فتحي زغلول ، إبراهيم اللقاني ، عبد الكريم سلمان ، إبراهيم الهلباوى ، عبد العزيز جاويش ، حافظ إبراهيم ، اسماعيل صبرى ، رفيق العظم ، أحمد إبراهيم ، حسن منصور ، عبد الوهاب النجار ، مصطفى العنانى وغيرهم .

أما في الحاضر فان مدرسة العروة والمنار غما تزال ذلك اثر واضح في الصحافة الاسلامية القائمة الآن التي لم تخرج عن نفس الأصول العامة التي وضعتها العروة قبل مائة سنة بل ان القضايا التي ظهرت في سنوات ما بين الحربين وما بعدها كسقوط الخلافة الاسلامية وإنشاء اسرائيل ، وظهور حركات التبشير والتغريب والغزو الثقافى فاتها كلها تدخل تحت تلك الأصول وقد كانت مؤامرة النفوذ الأجنبى واضحة تماما لصالحى العروة وكتابها رحمهما الله رحمة واسعة وأجل مؤيديهم جزاء ما قدما ويمكن لكل العاملين على طريق الصحافة الاسلامية الأصيل .



مراجع البحث :

- تاريخ الأستاذ الإمام (الجزء الثالث) : محمد رشيد رضا .
- اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار : أنور الجندى .
- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا : أنور الجندى .
- المنار والأزهر : محمد رشيد رضا .
- الشيخ طاهر الجزائري : الدكتور عدنان الخطيب .
- مدرسة الأستاذ الإمام وأثرها : الدكتور أحمد الشرباصي .
- القاضى الرئيس قاسم بن مهزح : مبارك الخاطر .
- وجهة الاسلام : هاملتون جيب وآخرون .

الفصل الثاني

من العروة الوثقى الى المنار

تحدث السيد رشيد رضا في (المنار) عن (العروة الوثقى) وكيف كان لها أثرها في تكوينه الثقافي والاجتماعي وفي منهج المنار ، في أكثر من موضع وعلى مر السنوات الطوال . فأشار الى الدور الذي قامت به في توجيه الرأي العام الاسلامي ، كما نقل فصولا متعددة من العروة الوثقى في مناسبات متوالية وأعلن أنه وجريدته امتداد لهذه الحركة التي أطلق عليها « حركة الإصلاح الاسلامي » كما قارن بين العروة الوثقى والمنار فقال : كل ما صدر من « العروة الوثقى » (١٨ عددا) هزت القلوب وأيقظت انعمول وكان الغرض من انشائها : اثارة العالم الاسلامي وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الأوربي وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى في ظل حريتها ما يجب من الإصلاح الديني والدنيوي وكان من رأى السيد جمال الدين أن اثورة أقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد في ضل الاستقلال والقوة . أما عرض (المنار) فهو اعداد الأمة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الأمة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون في المعالجة المطلوبة وكان الأستاذ الامام أول من ناطق أمله به في الإصلاح المطلوب كله وكان يصرح به في مجالسسه لمن يراهم أهلا لفهمه واستعداد لطلبه وهو الذي أغناه عن كتابة وصيته للأمة ، إذ الوصية لا تكون الا كلاما مجعلا ، لما أنشئ « المنار » لبيان مفصلا والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفقهه والاعتبار به ولا يكون ذلك الا بالتدريج .

وقد مضى « المنار » لطيته وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته يرتقى في كل معراج من معارج عمله ، ودون كسبه نظام معيشته فمئشؤه قد نشأ وشب وشاب على الزهد في الدنيا وجدانا وعملا لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب الى التقصير في الكسب ، لكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ميسر لما خلق الله » متفق عليه ، وروى بزيادة (اعملوا) في أوله ، وبهذا الزهد يسر الله له أن يتصرف بكل قواه الى الإصلاح والتجديد الاسلامي علما وبحثا ودعوة وحجة ودفاعا

واقناعا حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الجغرافيين في العالم الاسلامي كله في اصلاحهم كما قال الأستاذ المراجي شيخ الاسلام وخليفة الأستاذ الامام على اصلاح الأزهر لمولوى مشير قدوائى من كبراء مسلمى الهند وقد سأله أن يروى عنه لمسلمى الهند كله فيما يجب عليهم من اصلاح فقال ما خلاصته : « ان المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذى يفسره به المنار » تلك فائدة زهد منشى المنار في دنياه له وللناس وهى علمية خالصة ، اما مضرة هذا الزهد له فهى مالية خالصة به ، ذلك أنها أوصدت امامه باب طلب الرزق وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضى على المنار الذى كان مفتاح كل خير فانى لم أستطع أن أعنى بنظام ادارته وضبط حساباتها ولا مراقبته بنفسى ، وانما تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق النفقة لأجل أن أوفيههم حقهم وحق الأمة كاملا بقدر استطاعتي .

(٢)

وفى موضع آخر عرض للعروة الوثقى وأثرها في المنار فقال :

انشأ (الأفغانى ومحمد عبده) جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحفية ، وأن يجعلوا امامهم الأعظم « القرآن الكريم » أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اماتة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المخلفين في المذاهب (كأهل السنة والشيعية) الى الاتحاد والاتفاق ، وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعى في الدين من أسباب التفرق والانقسام الذى يقضى على الجميع فاهتز لها العالم الاسلامى هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا لو طال الأمد على جريدة « العروة الوثقى » لحدث في العالم الاسلامى انقلاب مهم ، ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم ، ولقد بلغ من غرام نبهاء المسلمين بهذه الجريدة أن حفظها بعضهم عن ظهر قلب . كانت العروة الوثقى تبسملن نور القرآن ونعمة من روحه ، وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ، لم تذكر فيها الشؤون الاسلامية العامة في الجرائد الا ما يجىء في عرض القول ، حتى انشأ نابغة الكتاب عبد الله نديم مجلة الأستاذ ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الريانية في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم وبمسائر الشرقيين فتر بعدها الكلام عن (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنى الله لانشاء المنار لاهياء تعاليم العروة

الوثقى فوضعنا قاعدته على أساسها ، وأضأنا قمة نبراسها الا ما كان فيها من السياسة التى تتعلق بالنسألة المصرية والتحريض على الانجليز فهذا امر ذهب بذهاب وقته .

قلنا أن (المنار) وافق (العروة الوثقى) فى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التى وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها فى وجهيها السياسية المصرية . ونقول أيضا : أنه زاد عليها البحث فى حرفيات البدع وتفصيل القول فى التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المتيدة ونحو ذلك .

ولهذا يقول قراء المنار أنه لم توجد قبله جريدة فى موضوعه وقال صاحب الأهرام ان فى طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى عن وجهة الدين (ناقشه صاحب المؤيد وصاحب المنار) وفى هذه السنة (١) كثرت الكتابة فى شأن المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين فى الشرق والغرب منهم الفقير منشىء هذه المجلة : جريدة زمان التركية فى قبرص ، جريدة محمدان الهندية ، جريدة معلومات العربية فى الأستانة ، ثرات الفنون ، جريدة انحاضر التونسية ، وفى هذين الأسبوعين كتب الأهرام بعنوان الجامعة الاسلامية ثم كتب المقطم ، وناقشهما المؤيد وكتب اسماعيل عصبرنسكى فى جريدة ترجمان فى القريم ، الأهرام والمقطم متفقان على أن الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضره وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقى الأمة الاسلامية الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان (المسلمون ثلاثمائة مليون) أما المؤيد فقد اقترح عقد مؤتمر اسلامى ودعا الى الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية ومن الآراء تعميم التربية والتعليم وانشاء الجمعيات والشركات والمننديات العلمية والأدبية وتكثير الجرائد التى ينطق بها المسلمون والعناية بأمر القوة الحربية وتعليم النساء .

واقترح المنار تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها مكة المكرمة ولها شعب فى سائر البلاد وجريدة مخصصة وتقوم الأصول على التوحيد فى العقائد والتعاليم الأدبية والاحكام القضائية والتربية والتعليم وتلافى البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين .

والنتائج هى اتحاد الحكومات الاسلامية ، ان سبب النهضة التى

تجميع الأسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وأكبر عقبة في سبيل ذلك هو ندرة الرجال القادرين على التعليم الذى نريده والتربية التى نبتغيها .

(٣)

كذلك فقد نقل السيد رشيد رضا كلمات كثيرة من العروة الوثقى الى المنار فى مناسبات مختلفة مجددا هذه الدعوات الحارة ومن ذلك ما نقله فى المجلد الثانى من فهم صاحبى العروة للاسلام وذلك قوله :

الديانة الاسلامية وضع اساسها على طلب القلب والشوكة ، ورفض كل قانون يخالف شريعته ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ احكامها ، فالناظر فى اصول هذه الديانة ومن يقرأ سورة من كتابها المنزل يحكم حكما لا ريب فيه بأن المعتقدين بها لابد ان يكونوا اول ملة حربية فى العالم وان يسبقوا جميع الملل الى اختراع آلات المقاتلة واتقان العلوم العسكرية والتبحر فيما يلزمها من الفنون كالطبيعة والكيمياء وجسر الأتقال والهندسة وغيرها ومن تأمل فى آية (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ايقن أن من صبغ بهذا الدين فقد صبغ بحب القلب وطلب كل وسيلة الى ما يسهل لها سبيلها والسعى اليها بقدر الطاقة البشرية فضلا عن الاعتصام بالمنعة والامتناع من تغلب غيره عليه ومن لاحظ ان الشرع الاسلامى حرم المراهنة الا فى السباق والرمية انكشف له مقدار رغبة الشارع فى معرفة الفنون العسكرية والتجرب علىها . ولكن مع كل ذلك تأخذ الدهشة من احوال المسلمين المتسكين بهذا الدين لهذه الأوقات اذ يراهم يتهاونون بالقوة ويتساهلون فى طلب لوازمها وليست لهم عناية فى فنون القتال ولا فى اختراع الآلات حتى ناقتهم الامم سواهم فما كان اول واجب عليهم واضطروا لتقليدها فيما يحتاجون اليه من تلك الفنون والآلات .

(مقدمة الجزء الثانى من العروة الوثقى)

البَابُ الثَّانِي

مجلة المنار : محمد رشيد رضا

- مدخل : عرض عام لخطة المنار واهدافها .
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .
- الفصل الأول : من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام .
- الفصل الثالث : الى سقوط الخلافة الاسلامية .
- الفصل الرابع : المنار الى وفاة الشيخ رشيد .

مدخل

عرض عام لخطة المنار وأهدافها

صدرت من ٢٢ شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م واستمرت الى ٣٠ محرم ١٩٥٤ الموافق مايو ١٩٣٥ (٣٤ مجلدا) خلال ثلاثة وثلاثين عاما ، أصدرها السيد محمد رشيد رضا في القاهرة وظل يصدرها الى حين وفاته (في نفس العام) وقد نوه على صدر صفحتها الأولى أنها « مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران » .

وقد كشفت منذ عددها الأول عن هدفها الذي يتمثل في العناصر الآتية :

- الإصلاح الدينى والاجتماعى لأمتنا الاسلامية .
- اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لمصالح البشر في كل قطر وكل عصر .
- ابطال ما يورد من الشبهات عليه وتنفيذ ما يعزى من الخرافات انفيه .

— الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي البدء طبع الف وخمسمائة نسخة من كل عدد أرسلت الى البلاد المصرية والسودانية وكانت لا تلقى رواجاً في أول الأمر ، حتى كانت السنة الخامسة للمنار ١٩٠٢/١٣٢٠ مبدأ رواجه وسعة انتشاره ، وقد بدا على هيئة جريدة أسبوعية ذات ثمان صفحات كبيرة كانت تحمل برقيات الأسبوع وبعض الأخبار ثم وضع في شكله المجلد (الحجم ٧٠ في مائة المعروف الآن) في السنة الثانية وأعيد طبع السنة الأولى وفق هذا الحجم الذي استمرت عليه المجلة الى نهايتها .

يقول : وما زاد المشتركون عن ١/٣ الألف الا قليلا ، وما كان انتفاص على منتقاصا شيئا من أمالى ولا زهد آلامه في المنار باعثا على جعله طعاما للنار بل كنت أحرص عليه حاسبا أن الناس سيعودون اليه ، وقد عاد الناس فعلا ويدعوا يطلبون مجموعات السنين الماضية .

قال السيد رشيد رضا في افتتاحية العدد الأول :

فأنشأت هذه الجريدة اجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لاصلاح الخلل ومشايعه للساعين في مداواة العلل ، الذين ارشدتهم تعاليم الدين وهداهم النظر في الآيات الكونية . فتكون الجريدة وصل بينهم وبين الأمة تبعث بارشادهم روح الهمة في أفرادها ، وتحى ميت العبرة في نفوس احادهم . ان غرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون واصلاح كتب العلم وطريقة التعلم والتنشيط في مجارة الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة ، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة والتي افسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التي البست الغى بالرشاد والتاويلات الباطلة التي شبيها الحق بالباطل حتى صار انجر توحيدا وأنظار الاسباب ايمانا وترك الاعمال المقيدة توكلًا ، ومعرفة الحقائق كنرا والحادا .

ويقول : اقتبسنا أسلوب الاجمال قبل التفصيل ، وقرع الازهان بالخطابيات الصاعدة عن القرآن الكريم . فافتتاحيات المنار زواجر منبهة وبينات في الاصلاح مجملة ترشد المسلمين الى النظر في سوء حالهم وتندهرهم الخطر المهدد لهم في اشتغالهم وتذكرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين وما اضاعوا من مجد آبائهم الاولين » .

« صاحب المنار »

ولابد لمعرفة آفاق مجلة المنار من التعرف على صاحبها السيد محمد رشيد رضا : ذلك الشاب الذى ولد في بلدة القلمون (طرابلس الشام) الذى تعرف على الدعوة الاسلامية من خلال المدرسة السلفية المبثوثة في الشام من أمثال الشيخ حسين الجبر ، هذه المدرسة التى تعرفت الى جمال الدين الافغانى ومحمد عبده والى كتاباتهما في مجلة العروة الوثقى التى كانا يصدرانها في باريس في مطالع القرن الثالث عشر الهجرى وقد قرأ رشيد رضا فصول (العروة الوثقى) وتأثر بها وحاول الاتصال بالسيد جمال الدين الافغانى خلال اقامته في استانبول ، فلما سبق القدر بوفاته أتجه الى الاتصال بالشيخ محمد عبده في نفس العام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م في القاهرة ولم يلبث ان عرض وجهة نظره في اصدار مجلة اسلامية على الشيخ الامام فأصدرها متوجهة في العام الثاني في شوال ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م ،

وبذلك ارتبطت الدعوة الإسلامية بين (الشام ومصر) على هدف واحد ، ومن خلال هذه المدرسة ظهر عديد من الدعاة أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، والقاسمي ، والرائعي ، و (الزهراوي) صاحب مجلة الحضارة وظاهر الجزائري .

وقد امتدت حياة الشيخ رشيد رضا مع مجلة المنار الى نهاية المطاف خصبة عامرة بالعمل الاسلامي ، عن طريق الصحافة الاسلامية ونشأت في خلال هذه المرحلة المجالات الاسلامية التي سارت على نفس الطريق ،

ريادة المنار للصحافة الاسلامية

وكانت المنار رائدة حقاً في رسم الطريق الصحيح للصحافة الاسلامية من حيث عنايتها بالجوانب المختلفة :

اولاً : دراسة العقيدة الاسلامية : في مجال تفسير القرآن والسنة والفقه والفتاوى .

ثانياً : دراسة أحوال المسلمين في العالم الاسلامي كله وخاصة البلاد الاسلامية في معركتها المواجهة للاستعمار .

ثالثاً : ظهور حزب الاصلاح الاسلامي الذي قاده الشيخ محمد عبده ومضى فيه رشيد رضا وتلاميذ الامام ، وتبلور مفهوم واضح للاسلام من خلال الفهم المنبعث من المنابع الاصلية .

رابعا : متابعة أحوال ونشاط الجمعيات الاسلامية في مصر وتونس والعالم الاسلامي .

خامساً : دراسة المجتمع الاسلامي وأحوال المرأة واصلاح المحاكم الشرعية ومختلف ما يتصل بالقمار والخمر والزنا والترف والفساد الاجتماعي جملة .

سادساً : التربية الاسلامية واصلاح التعليم والجامع الأزهر وثنونه

سابعاً : مواجهة التحديات والاحطار المنبعثة من الدعوات الهدامة

كالبهائية والقاديانية والرد على كتابات الغربيين من خصوم الاسلام .

ثامناً : المؤلفات الاسلامية والتراث المجدد . وقد عنيت المنار بتقديم

عرض للمؤلفات الاسلامية الحديثة وما يتجدد من كتب التراث التي كان

للمنار وللشيخ محمد عبده دور كبير في احياائه .

تاسعا : (الاهتمام باللغة العربية) التعرض للأدب والشعر والبلاغة وفنون الأدب المختلفة ونشر قصائد الشعر الجيد .

عاشرا : التعرض لوجهة نظر الصحافة الإسلامية من المجلات والصحف اليومية وخاصة ما يتصل بصحف الحزب الوطنى وغيرها .

رسالة المنار

ولم تتوقف المنار عن التعريف برسالتها فأشار محررها الى ما امتازت به جريدة المنار بالتنويه المتواصل [بأن الاسلام جاء بتعاليم كافية لعروج الامم الى سماء السيادة العليا وبلوغها مراتب السعادة القصوى لانها ابطلت جميع الاعتقادات التى تحول بين الانسان وبين كماله ، ان امة هذه قواعد دينها لا يصلح حالها الا بالتمسك بها وما كنا ممن يسند الى الاسلام ما ليس فيه فان الدين نفسه يحظر علينا هذا ، كيف وقد اعترف للاسلام بمزاياه الشريفة جميع الناظرين فى التاريخ والباحثين فى الملل والشرائع بالانصاف من غير المسلمين حتى ان ذلك ليفيض من انابيب اقلامهم فيما يكتبون] م١/

ويقول : انشأنا المنار من أجل الإصلاح الدينى والاجتماعى لامتنا الإسلامية وبيان اتفاق الاسلام مع العلم والعقل ومواقفه لصالح البشر فى كل قطر وابطال ما يورد من الشبهات عليه وتقنيده ما يعزى من الخرافات انيه .

ويقول : « اننى لم أنشئ المنار ابتغاء ثروة أو ائامها ولا رتبة من أمير أو سلطان أعمل بها ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهى بها الأقران بل لأية فرض من الفروض ، يرجى النفع من اقامته وقائم الأمة كلها بتركه فلم أكن ابالى بشيء الا قول الحق والدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكنت اذا أصبت هذا بحسن عملى واجتهادى فسيان رضى الناس ام سخطوا ، قبلوا المنار ام رفضوا » .

الفصل الاول

من نشأة المنار الى وفاة الأستاذ الامام

المجلد الأول (١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م)

تمثل المنار في هذه المرحلة نموذجا من الصحافة الاسلامية المرتبطة بمنهج الأستاذ الامام وتحركاته وصدقاته ووجهة نظره في مختلف القضايا وخاصة بالنسبة للحركة الوطنية والتصر والنفوذ الانجليزى وخطته في العمل في سبيل انشاء حزب الاصلاح الاسلامى ، وقد اشار السيد رشيد رضا الى اهداف المنار في العدد الاول على هذا النحو :

- ١ - الحث على تربية البنات والبنين .
 - ٢ - الرغبة في تحصيل العلوم والفنون .
 - ٣ - التنشيط في مجارة الامم المتقدمة في العلوم النافعة .
 - ٤ - طروق ابواب الكسب والاقتصاد .
 - ٥ - شرح الدخائل التى مازجت عقائد الامة والاخلاق الرديئة أنتى افسدت كثيرا من عوائدها والتعاليم الخادعة التى ليست الفى بالرشد والتاويلات الباطلة التى شبهت الحق بالباطل .
- وكان رشيد رضا يكرر دائما عبارته : ان الصحيفة الناجحة لا تكون كذلك الا « اذا جاءت بمشرب جديد » ، وقد اعترف صاحب هذا الراى بأنه جاء ببيان الامراض الاجتماعية التى طرات على الامة الاسلامية والشرق كله والبحث فى اسبابها وعلاجها ، والاطار التى تتهدد الشرق كله والمسلمين فيه والاعتصام بالدين التويم ، والاعتصام بحبل الخلافة ، وعلم العلماء ، وتاليف الشركات المالية ، وتعميم المدارس للبنين والبنات وطبع المؤلفات النافعة وانشاء المنتديات العلمية ، كما اشار الى مضرة مذهب التصوف ، من الافراط فى الزهادة وترك العمل للدنيا ، وان شدة زهادتهم فى الدنيا كانت سببا لزهادة المسلمين فى الدنيا والاخرة .
- وكان سببا فى تزايد النزعات الوثنية فى المسلمين بسببهم (م ١ - ١٨٩٨) .

المجلد الثانى (١٣١٦ - ١٨٩٩)

وفى العام الثانى تابع الشيخ رشيد رضا دعوته على نفس الاهداف التى رسمها فى العام الاول .

وكان ابرز أحداث العام مظالم هولندا فى جاوه والحديث عن الاسلام فى البرازيل واليابان ومستقبل الاسلام فى الصين ومراكش والهند ، ومقدونيا والمسلمون فى روسيا .

وكان من أهم ما أولته اهتمامها ثورة الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية ، وتأيد كتاب تحرير المرأة لقاسم امين ، والحديث عن الجامعة الاسلامية وتاريخها .

وقد اثار صاحب المنار الى اهداف المنار مجددا وعرضها فى أربعة عناصر :

١ - تبين البدع التى مازجت العقائد والمناسد التى عرضت للنسجيا والعوائد .

٢ - وتهدى لعلاج هذه الامراض الروحية والادواء الاجتماعية بكشف الحجاب عن وجوه التربية النافعة وتسهيل سبل التعاليم الناجعة .

٣ - وتختار من الآثار العلمية والادبية والنوادر الفكاهية ما ترتاح له النفوس وتنجلي على نزاهة الهموم والبؤوس .

٤ - أما جوانب الأخبار وحوادث الاقطار والامصار فنذكر منها أهم ما يعين ، سائقين منهج المؤرخ العادل من غير طعن ولا تحامل .

فالخدمة الصحيحة للدولة والامة انما تكون بتبين الرشيد من الغى وتمييز الخطأ من الصواب والتزييل من النافع والضار .

المجلد الثالث (١٣١٧ - ١٩٠٠)

واصلت المنار مهمتها بحماس وإيمان شديدين ، فى مختلف المجالات وأولت اهتمامها للتربية فأفردت لها باب واسعا تحدثت فيه عن تربية الاستقلال ومضار القهر والالزام ، وتحدثت عن التربية وعلم الأخلاق وعن التعليم فى الأزهر وعن الجمعيات الاسلامية التى بدأت تنمو فى مصر وخاصة الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد بدأت المنار مواجهة الدعوات

الهدامة وخاصة البهائية ، كما جاء رد الشيخ محمد عبده على اتهامات هانوتو .

وفي هذا العام جرى العفو عن محمود سامي البارودي ، وتوفي عثمان باشا الفازي وظهرت الدعوة السنوسية وتحدثت عنها المنار .
وقد وضعت المنار على صدرها رمزا متهملا في الحديث الشريف :
« ان للاسلام صدوى ومنارا كمنار الطريق » .

وفي مجال الإصلاح الاسلامي تحدثت المنار عن دعوة الشيخ محمد عبده ومطالبه بوضع تقرير يشخص من امراض الامة الاسلامية كلها ويصف دواءه ، وقد وعد الاستاذ بتأليف كتاب خاص في هذا الغرض يسميه « الاسلام والمسلمون » ونم تزل عوائد الزمان وصوارف البيئسة والمكان تحول دون الشروع فيه ، كما اقترح السيد رشيد رضا عليه تأليف تفسير على الوجه الذي يقرأه في الازهر يبين فيه امراض الامم الروحية والاجتماعية ويرشده الى علاجها .

ومن ابرز معالم هذا العام بدأ نشر تفسير الشيخ محمد عبده الذي كان يقرأه في الرواق العباسي بالازهر مع مقدمة تهديدية له .
وقد كان من ابرز أبحاثها في هذا المجلد ما كتبه تحت عنوان : إعادة مجد الاسلام : تساعلت فيه كيف يعود للاسلام مجده .

المجلد الرابع (١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م)

في العام الرابع للمنار واصلت المجلة رسالتها على النحو الذي رسمته منذ اعدادها الاولى وكان الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية في هذا العام بارز الاثر في حركة الإصلاح الاسلامي ومضى رشيد رضا على اهتمامه بالدولة العثمانية ونقدها نقدا خفيفا متصلا دون ان يكشف خصومته لها أو ولاته للاتحاديين الذين كان لهم في القاهرة تجمع يرأسه السيد رفيق العظم ، ومضى في مهادنته لنورد كرومر وفي نشر دروس التفسير التي يلقيها الامام في الرواق العباسي ، وفي متابعة تامة للبدع والخرافات والتقاليد ومهاجمتها وفي العناية بالجماعات الاسلامية ، وقد اهتم المنار بالرد على مشروع التعليم باللغة العامية الى مرضه القاضي ويلمور والذي شغل الصنخانة طويلا .

وفي هذا العام بدأت الحديث عن الصهيونية (يناير ١٩٠٢) حيث
تكشفت بعض الوثائق عن الجمعية الصهيونية في أوروبا ومساعدتها في إعادة
السلطة والملك الى شعب اسرائيل وعرف أن هذه الجمعية بدأت منذ
عام ١٨٩٧ حيث عقد مؤتمر بال ، كما نشرت في هذا العام فصول الكواكبي
التي هاجم فيها السلطان عبد الحميد ، والتي لم تلبث أن توقفت عندما أجرى
الخدويو الصلح مع السلطان في سبتمبر عام ١٩٠١ ، وفي هذا العام
أيضا توالى مؤلفات محمد طلعت حرب ومحمد غريد وجدى في الرد على
قاسم أمين ووقف المنار في صف قاسم أمين وانشأ الزهراوى كتابه عن الفقه
والتصوف ، وفي هذا العام أيضا نشرت رسالة القس اسحق طيلر الضافية
عن الاسلام في إنجلترا ، وكان قد كتبها في إنجلترا (ابريل ١٨٨٨) .

وقال السيد رشيد رضا في ختام العام : قبله المنار الاصلاح اندينى
واقامة القرآن ومذهب السنة وسيرة السلف الصالحين والائمة المجتهدين
وهو خصم الد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التى التصقت
بالدين وفى يقينه أن الشرق لا يصلح الا بصلاح المسلمين وان المسلمين
لا يصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غير زيادة
أو نقصان ومجاراة الامم الحية فى دنياهم وأخذهم بجميع فنونها وعلومها
وصنائعها ، فالاصلاح الدينى هو الذى ينفخ منهم روح الاتحاد الاجتماعى .

وركز على « غريضة الدعوة الى الحق والأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر » وان يوفق امرأنا وحكامنا للبذل والامداد واصلاح حال البلاد
وعلماعنا للهدى والرشاد وأغنياعنا للبذل والامداد وأن يوفق الوالدين لتربية
الأولاد وتنفع فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد .

المجلد الخامس (١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م)

واصلت المنار رسالتها فى عزم وقوة فوالى كتاباتها عن قضية
المسلمين الكبرى : قضية ضعف المسلمين وأسبابه ، والاصلاح الاسلامى
وعرضت لأمرأ المسلمين واهمالهم الدين وأولت اهتمامها بالتربية الاسلامية
وكشفت عيوب التعليم العصرى وفساده وحاولت أن تتحدث عن بديل له
تقدمه الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولم تتوقف عن الحديث عن اصلاح
التعليم فى الأزهر ، وعارضت أفكار الصوفية وما يتعلق بالجن والخوارق
والشفاعة والقولب والكرامات ، وهاجبت الفلسفة الالهية والمفاهيم

العقلية المنحرفة التي جاء بها الاعتزال والكلام ، ودافعت عن مفهوم السنة الناجمة الصحيحة ، كما عرضت لمقارنات الأديان في باب متصل عن شبهات المسيحيين وحجج الاسلام ، كما تناولت الرد على الكتاب الغربيين الذين يهاجمون الاسلام وكشفت في فصول متعددة فضل المسلمين على الحضارة .

وكان أبرز موضوعاتها الرد على الاحتفال بتذكار مرور مائة سنة على محمد على باشا فنشرت فصلا مطولا (بدون توقيع وان عرف ان كاتبه هو الشيخ محمد عبده) قال : محمد على لم يؤسس دينا ولم يكن امام مذهب في دين ، وانما أسس ملكا عضودا بسفك الدماء والقوة والحروب . ان تأسيس محمد على حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالها اياها . فان محاربة الدولة العثمانية كانت مصدرا لظهار ضعفها للبرية ، ومحاربة الوهابيين وخضد شوكتها وابطل امتداد دعوتهم . كانت دولة محمد على دولة ظالمة منذ أسست الى ان تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم مصدرا لزوالها وقد زالت دولة المماليك الظالمة الفاشمة . هذا النظام كان مقدمة وتمهيدا لدخول مدينة أوروبا الى أوروبا ونشر مدينتهم والقضاء سيطرتهم عليها بالاحتلال الانجليزي والخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها واطهار ضعفها . والخواص يعلمون ان الوهابيين كانوا قائمين باصلاح اسلامي لو تم لعاد للاسلام مجده الأول والذين وسوسوا ل محمد على بمحاربتهم هم الأوروبيون الذين ينظرون الى غايات الأمور وعواقبها ، أما ما شاع في بلاد الشام والحجاز ان الوهابيين خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسبب بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المضانون للحكام ، وقد كتب أربعة من الاعلام مقالات في أول العام الهجري ١٣٢٠ عن مستقبل الاسلام : فريد وجدى ، رشيد رضا ، محمد عبده ، أحمد توفيق البكرى . ودخلت المنار في هذا العام في مساجلات مع صاحب الجامعة ، مع الكاتب الفرنسي رينان ، مع هانوتو .

وفي هذا المجلد تناول صاحب المنار الترجمة للكواكبى ومحمد على

الكبير .

المجلد السادس (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م)

وفي العام السادس كانت أبرز الأحداث زيارة الشيخ محمد عبده لأوروبا والجزائر وتونس ونصيحته لأهلها كما توغلت الأبحاث في كشف حلقات التغريب والفرو الثقافي في ميادين ثلاثة :

أولا : دراسات عن بولس وتغييره دين المسيحية نقلا عن كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوى ، وعن النصرانية وزلازلها في أوروبا .

ثانيا : بحوث في نقد التوراة .

ثالثا : بحوث عن البهائية والبابية بفارس .

رابعا : الماسونية واليهود .

كما اتسعت الأبحاث حول صلة العرب بالدولة العثمانية : والعرب والخلافة وسكك حديد الحجاز والخلافة والسلطان والعرب والدولة .

كما بدأ رشيد رضا في التنبيه الى ما في روايات جرجى زيدان من أخطار ونقد روايتي فتاة غسان وفتح الأندلس .

وقد أشار السيد رشيد رضا في افتتاحية العام الى ما أسماه : انتقال من طور الحذر والسببات الى طور الحيرة والشكوك . والحيرة والشكوك خير من خدر الحواس وفقد الاحساس لأنها من علامات الحياة . فقد ذهب قوم الى أن وقاية المسلمين من الخطر انها تكون بالاعتماد على الأمراء والسلاطين والاستمانة في الخضوع لهم وتقديس سلطتهم وملوكنا وان جاروا هم القابضون على بقايا ما عندنا من القوة التي تطامح بها تلك القوى . وذهب آخرون الى أن الملوك والأمراء قد استبدوا بسياسة الأمة بدون مشاورتها قرونا طويلة ، فما كان منهم الا أن أوقعوها في هذا الضعف والهوان والفقر والخراب والجهل بأمر الدنيا والدين . وواجب على الأمة مقاومة استبدادهم ، ومقاومة استعبادهم والزمامهم المشاورة في الأمر وتقييد السلطة في الحكم (والمعتقد أن هذا الكلام موجه الى الدولة العثمانية) .

يقول وقد أنشئ المنار لمساعدة العقلاء على السعى في تكوين الأمة عن طريق التربية المالية والتعليم النافع وقد ركزنا الحث على التربية والتعليم ويجب على العلماء والكتاب أن يوجهوا عنايتهم الى تكوين الأمة ويجتهدوا

في ذلك قولاً وعملاً . لهذا كان الإصلاح الدينى شرطاً في الإصلاح المدنى أو شرطاً منه في وضع الاسلام ، ومن مقدمات الإصلاح احياء اللغة اذ لا امة بدون لغة حية ومنها ازالة حجب الغرور عن حقائق الأمور ، ويقول : ان المنار قد جاء بمشرب جديد يستعذبه الأثلون ويمجه الكثيرون ، أولئك هم أسرى التقليد .

المجلد السابع (١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م)

والى المنار اهتمامه بأخبار العالم الاسلامى واتسع بريده في عرض قضايا المسلمين في أجزاء كثيرة من العالم فضلاً عن أخبار بلاد العرب وتجد والسودان والدولة العثمانية ، فان هناك رسائل متصلة عن مراكش وسيراليون وفارس وزنجبار والهند وفارس والعراق والحرب الروسية اليابانية والقوقاز واليمن .

والت اهتمامها بالدعوات الهدامة فقدمت أبحاثاً مطولة عن البابية في فارس وكشفت شبهات التبشير فعرضت لكتاب (تنوير الأفهام في مصادر الاسلام) وتحدثت عن الإصلاح في فارس . وعن الامتيازات الأجنبية والأسطول الثانى وعن الدروز وعقيدتهم وعن شريف مكة وعن فرنسا والأزهر حيث نقلت مقالاً كتبه أحد الفرنسيين وردت عليه وأولت اهتمامها بالدولة العثمانية كما ركزت على الإصلاح الاسلامى وخاصة في مصر وفي شأن التعليم والتربية الاسلامية وشئون الأزهر والقضاء الشرعى . ولم تتوقف عن معارضة مفاهيم الطرق الصوفية ، ومفاهيم أهل البكلام في نفس الوقت في محاولة لتقديم مفهوم أهل السنة والجماعة صحيحاً .

وتحدثت المنار عن علماء العصر ، والدين والسياسة .

وتحدثت عن أحداث نجد وانتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، وإعلان عبد العزيز آل سعود الولاء لدولة السلطان عبد الحميد الثانى ، ودعوته لإقراره على إمارة نجد الموروثة له والالتقى الدولة العلية في بلاد العرب ما يزعمزع ثقتهم فيها وإذا وثق بها أهل نجد سهل عليها حل عقدة اليمن كذا عقدة الكويت ، وقد وضع اهتمام المنار بانتصار ابن سعود وتأييده له ودعوة الخليفة لقبول ولايته ، كما أولت اهتمامها بالفتاوى ، فقدمت الردود التى كتبها الشيخ محمد عبده عن الأسئلة الباريسية والزنجبارية والهندية ، وكانت الفتوى الفرنسية في حل ذبيحة النصارى

في تلك البلاد ، وحل لبس القلنسوة الافرنجية لحاجة أو ضرورة ، وكيف تحل صلاة الشافعى خلف الحنفى ، وعرض لتراجم المتوفين في هذه الفترة والقضايا المثارة حول الشخصيات البارزة امثال قضية على يوسف ، واستعراض عباس لجيش الاحتلال والى جواره كرومر ، واقتراض سلطان مراكش من فرنسا واقامة جوقة من المطربين والمطربات ، كما أشار الى الوفاق الودى الذى عقد بين بريطانيا وفرنسا وقال ان الوفاق قضى فيه على مصر بسوء سياسة الامراء الحاكمين الذين استبدوا في الأمة واذلوها حتى فقدت الاستقلال الشخصى والقومى ثم سلطوا عليها أوربا واعطوها من الامتيازات . وعرض المنار لعدد من الكتب الاسلامية الجديدة وكتب التراث والصحف وكشف أخطاء جرجى زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الاسلامى) وكشف عن اهتمام شاهين مكاريوس بكتابه تاريخ اليهود وتاريخ الماسونية العميلة ، ومما يذكر أن جرجى زيدان لم يلبث أن كتب عن الماسونية ايضا . وتحدث المنار عن نمو الجمعية الخيرية حيث بلغت ايراداتها ١٣٣١ جنيهها بالاضافة الى ١٢٢٣ جنيهها من ريع الاطيان (٢٨٠ فدانا) وانفق على التعليم ٢٤٥٩ جنيهها ، واعانة الفقراء ٣٧٣ جنيهها .

وفي فاتحة المنار اشار السيد رشيد رضا أنه انشئ لخدمة الأمة والدفاع عن الملة . وقال : انتشر المنار في جميع الاقطار ولا يزال انتشاره في نمو مستمر من غير سعى ولا دعوة تذكر وبدا لنا من الناس ما علمنا به علم تجربة واختيار أنه لا ينبغى أن يوثق بكلام أحد في أمور الجد والأعمال العامة التى لاحظ فيها أهواء الأفراد الا من شهدت له الأعمال والأخلاق بالاختبار الصحيح وقليل ما هم . وقال : ان من يريد أن يحترم دين الله وعياله أن لا يعتمد في نجاح عمله الا على تحرى الحق والخير والعلم بحاجة الأمة الى خدمته .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لثلاثة : على يوسف ، ومحمد شاكر ، وحسين الجبر .

المجلد الثامن (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م)

واصل المنار رسالته في تحرير العقيدة الاسلامية من التحريف وذلك بكشف الفرق المنحرفة امثال البابية والبهائية ومعارضة البدع التى تقوم بها الطرق الصوفية وخاصة فيما يتعلق بالتأويل والخرافات

وتحدث عن مشايخ الطرق ، وعلماء الرسوم ومذهب السلف ، كما تحدث عن ذم الخوض في علم الكلام ، كما أولى اهتمامه بالتعليم الاسلامى ، وتعليم اللغات .

وكتب عددا من الفصول عن كشف زيف دعاوى التبشير المسيحى في مواجهة مفاهيم الاسلام وتصدى الدكتور محمد توفيق صدقى لمقارنات الأديان في فصول تحت عنوان (الدين في نظر العقل الصحيح) وتداول ٤٠ شأهاذا من الكتاب المقدس على تناقضه واختلافه (ص ٧٤٣) كما عرض للشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية بمناسبة كتاب على بك أبو الفتوح الذى قال ما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكبر مناسبة للزمان والمكان وإثارة الى كتاب الخراج للإمام أبى يوسف المتوفى عام ١٨٢ ، ومن أكبر أحداث هذا العام وفاة الشيخ محمد عبده (مايو ١٩٠٥) وكان هذا الحدث هاما بالنسبة للمنار التى قدمت أبحاث متعددة عن الشيخ المفتى الذى كان قد استقال تبيل وقت قريب من المجلس الأعلى للأزهر بعد (يأسه من الإصلاح وادخال العلوم الحديثة) ، وذكرت الصحف ان النفوذيين الفرنسى والانجليزى يعاديان الامام فى الإصلاح ، وكان الشيخ محمد عبده قد حاول اصلاح التعليم فى الأزهر وقد قرأ فيه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز كما قرأ شرح التلخيص للشيخ البرقوتى . وقد اشار المنار الى :

- ١ — التفسير والاستاذ الامام .
- ٢ — الامام والثورة العربية .
- ٣ — جمعية احياء العلوم العربية التى أنشأها الشيخ محمد عبده .
- ٤ — الانجليز والشيخ محمد عبده .

واهتم المنار فى هذا العام بانتشار الدعوة الاسلامية فى العالم وخاصة فى الصين واليابان .

واهتم بمذهب السلف وزد على أخطاء الفرق وتحدث عن علم الكلام ، وتحدث عن اعداء الامام فى الأزهر كالشيخ عليش ، وغيرهم ممن أساءهم المنار علماء الرسوم ، كما عرضت لعدد من المؤلفات الجديدة .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد للشيخ محمد عبده ، وعلى أبو الفتوح .

وفي افتتاحية المجلد الثامن يتحدث الشيخ رشيد رضا حيث قال :
انه ما وقع تغيير الا بدعوة ، وان دعاة الخير والاصلاح في كل أمة
كانوا مقوتين من أصحاب السلطة مضطهدين من رؤساء الأمة ، أولئك
الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن وجلدوا
الامام مالكا والزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة واضطروا الامام
الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه ووطنوا الامام أحمد
بالنعال وما زالوا من تلك انعمور يفتنون اهل العلم والتقوى حتى تم لهم
بطول الزمان انفساد الدين والدنيا .

وقال : ان انتقال الأمم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين
ولا يأتي باختيار الأمراء والسلاطين ، وانما يكون بتغيير أفراد الأمة
ما بأنفسهم من الأفكار والعقائد والأخلاق والسجايا .

فاذا غير المسلمون ما بأنفسهم بالتدريج يغير الله ما كان بهم من عرة
العلم والقوة وسيادة العدل والفضيلة ولن يغير ما هم الآن فيه الا بعد
الرجوع الى ما كانوا عليه وشرطه قلع جرائم التقليد واجتثاث شجرة
التعصب للمذاهب وأساسه جمع كلمة الأمة وتحقيق معنى الوحدة ،
ولا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك بن أنس
صلح أول هذه الأمة بهدى كتاب الله وسنة نبيه ، وهداهم ذلك الى كل
اصلاح صوري ومعنوي .

قطع الآمال من السياسة والسياسيين وترك الاتصال بالرؤساء
والحاكمين والانخداع لانصارهم وأشباعهم لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح
النفس الى الهزل بارضاء الحس فانهم طلاب مال وجاه وطلاب رتبة ووسام
وأصحاب أوهام .

ادعوك الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين .

وأشار الى ما كان قبل صدور المنار من حيث كانت الصحف تطعن
في القرآن وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة اسلامية
ترد شبهات الطاعنين وتؤيد العقائد بالحجج وتبين حكم الأحكام وانطباقها
على مصالح البشر في كل زمان ومكان حتى اذا انشأ المنار تقم منه المتجربون
بالدين ونقده المبتدعون وهاج عليه أصحاب المذاهب المفضون لأنه يقول
ان الوهابية السلفية والأشاعرة والماتريدين والشيعة والاباضية كلهم

مسلمون وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه مختلفون
ان الدين من حاجات البشر الطبيعية وقوة من اعظم قواهم المعنوية .
ان الاعتقاد في الأمة قوة لا تغالب .

وأشار الى ما ذكرته المؤيد عن المنار : امضى سنوات هذه المجلة
منابرا على الخدمة المالية الصحيحة محاربا البدع المضللة ، يبارز المبتدعين
غير هياب ويعتمد في ابحاثه غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة
والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على انواق الذين يخطئون الدين بغيره
ويظنون او يزعمون أنهم أئمة أهله .

الفصل الثاني

المنار : الى الحرب العالمية الاولى

بعد وفاة الأستاذ الامام مضى المنار في طريقه حاملا لواء رسالة الإصلاح كما بدأها الشيخ محمد عبده وعلى هدى من الخطة الجامعة بينه وبين جمال الدين الأفغاني ، وقد صمد السيد رشيد في هذا المجال صموداً قويا وواصل اتمام التفسير والفتوى ومواجهة أحداث العائيم الاسلامى وقضاياها والكشف عن سموم التبشير والتفريب والغزو الثقافي على نحو قوى ، وحاول الاستفادة من الدولة العثمانية لتحقيق هدفه في بناء مدرسة الارشاد وتخريج الدعاة بعد سقوط السلطان عبد الحميد وقيام الاتحاديين ولكنه ما لبث أن اكتشف عداء الاتحاديين للاسلام فهاجمهم هجوما عنيفا وقصر عمله على مصر وان ظلت أجنحته ممتدة بالدعوة والارشاد من جلاوة الى المغرب في قوة واتصال .

المجلد التاسع (١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م)

توسع اهتمام المنار بتصحيح العقيدة وبيان مذهب أهل السنة والجماعة بمراجعات واسعة مع كل الفرق والآراء ومهاجمة الطرق وتقاليدها ، والكشف عن الفوارق بين المقلدين والمصلحين في تصحيح العقيدة ومناقشة الشيخ محمد بخيت عن نظرياته في الفونوغراف والسكرتاه .

ومتابعة تاريخ الأستاذ الامام ونشر ما ذكره كرومر في تقريره عام ١٩٠٥ عن حزب الشيخ محمد عبده والامل المعقود عليه .

ويواصل رسالته في التربية الاسلامية والعناية باللغة العربية ومهاجمة الفكر الوائد والاستشراق والتبشير ، وبدع المتصوفة وفرق الباطنية والبهائية ويطلق عليها اسم (الباطنية) كما يتعرض للكتب القديمة ناقدا اياها . ويتحدث عن الاسلام في العالم وانتشاره في اليابان والصين وموقف الغرب من العالم الاسلامى ومن الدولة العثمانية ، وقد عرض لكتاب مرجليوت من النبى صلى الله عليه وسلم وينقد ما جاء في هذا الكتاب ويعنى بانباغ حزب الإصلاح فيهم بتولى سعد زغلول وزيراً للامانة

كما نقد ادريس راغب من سروات المصريين الذى اعترض على تعليم الدين في المدارس ، والمعروف ان ادريس راغب هو رئيس المحفل الماسونى في القاهرة .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : للشيخ محمد بخيت ، سعد زغلول ، احمد خان الهندى .

وقد تحدثت افتتاحية السنة التاسعة من المنار عن احوال المسلمين فقال :

ان المسلمين امسوا كاثريش في مهيب الحوادث وكالفشاء في مجرى سيول الكوارث لا راي لخواصهم فيما يراد منهم ولا شعور لجوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب في تصرف حكامنا في سياستنا ويد في تصرف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ويد تطيع الأرواح بأخلاق وعادات تناق آداب ملتنا وتوقع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، غاى شئ بقى في أيدينا من شؤون امتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقى له أذن تسمع وعين تبصر وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له إرادة تتوجه الى عمل للأمة وثبات فيما تحاول من كشف الغمة . انه لم تستيقظ أمة من نومها ولم تبعث دولة من موتها الا بضيحة نفر من أولى الأسباب وتستغنى العقول والآداب للذين يفسر الله ما في نفوس أقوامهم بما يلقيه من الحكمة في ذلقة السننهم ونفثات اقلامهم فيستبدلون الاعتصام بالانفصام والاتفاق بالشقاق والوحدة بالفرقة ، وبذلك يشعر الأفراد بمعنى الأمة ويعملون بالتعاون فيكونوا أمة : « سنة الله التي قد خلت من قبل وخسر هنالك الكافرون » وما (المنار) الا صحيفة أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها سواء منهم من دعا الى الإصلاح معها ومن يدعو اليه معها ولتكثير سواد الدعاة الذين يتعلمون للأمة ويعملون للأمة ، ويحيون للأمة ويموتون في سبيل الأمة ، مهتدين بهدى كتاب الله المتين وسنة خاتم النبيين والمرسلين الذين هما ينبوع الهداية واتباعهما عنوان السعادة .

ويقول : القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر بما أصابهم وأصاب دولهم من الخسر الذى جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وبأخذ الأم والدول ايهم اخذا وببلا (وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) .

نعم : ان المؤمن يبطل ويفتن ، ولكنه لا يهن ولا يحزن ، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

نعق ناعقون بأنه لا نجاة لكم الا بفناء ارادتم في ارادة حكامهم ، ولا يتغير ما في انفسكم من اوهام وخرافات ، وصاح خطيب فقيه الوطنية انه لا حياة لكم بالرابطة الملية لأنها ممقوتة في نظر اهل المدنية الغربية الذين سادوا بترك العصبية الدينية . انهم لا بغون بدعوة الوطنية الا العصبية الجاهلية والهوى : اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل واخذنا الاجانب من ناحية سلطنتهم اخذا وبسلا فما اغنت عنا ذلة العبودية لهم مثيلا . لا سبيل اليه الا باتباع هدايته والسير على سنته في خليفته ، عليكم ان تجيبوا داعي الله وتكونوا من حزب من اعطى العفو من ماله لاعلاء كلمة الله ومواساة عياله واتقى اسباب الفتن والمحن والفواحش ما ظهر منها وما بطن .

واستطرد صاحب المنار يقول : هداية القرآن : الذى دعا الى جميع الاصول التى فيها سعادة الانسان فجعل البرهان العقلى اساس العقائد امام بناء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفسد ، وارشد الى ما لثئون البشر الاجتماعية من السنن الثابتة او النواميس الطبيعية ، واثبت ان الدين القيم الذى جاء به الاسلام هو اقامة سنن فطرته التى فطر عليها الانام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية .

اما حزب الشيطان وانصار الظلم والعدوان فيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن هى اجتهد اقل بابه فى هذا الزمان والداعى انيها عدو مبين لاهل الايمان . ومن هؤلاء من يلقى تبعة هلاك المسلمين وضياح الاسلام على عواتق اهل السلطة المستغلين على الاحكام ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ومن ورائهم قوم آخرون مرقوا من الدين وانكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين . يقولون لا رجاء للمسلمين بحياة مليّة ولا امل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحبوا حياة وطنية فلا حياة لهم . واذا لم يعتنقوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، ولم نر دعوة انكرها الرؤساء

الرسميون والامراء المستبدون الا دعوة هذه الأمة الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار وآزوا اهل والانصار .

المجلد العاشر (١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م)

يتميز هذا العام العاشر من عمر مجلة منار الاسلام بأحداث هامة منها استقالة اللورد كرومر وتوسع في عرض صفحات مجهولة من تاريخ حزب الاصلاح وخاصة ما يتعلق بتاريخ الجامعة الاسلامية ودور جمال الدين ومحمد عبده فيها وكتاب التاريخ السرى للاحتلال الذي افه بنيت .

وواضح الاهتمام بأصدقاء الشيخ محمد عبده : حافظ ، وسعد زغلول ، ومعارضة مصطفى كامل والنواء ، والخلاف بين المنار واللواء والاهتمام باللغة العربية ونادى دار العلوم حيث ظهرت دعوة العامية وقاومها الندريون والفيت ابحاث هامة لأحمد السكندري ، والشيخ محمد الخضرى وقصيدة حافظ ابراهيم : رجعت لنفسى فاتهمت حصانى ، كما تناول قضية التعريب والترجمة ، كما أولى اهتمامه بمقارنات الأديان ، وقد ترجم هذا العام انجيل برنابا الذى طبعه المنار وقدم له السيد رشيد رضا وتحدث عن قضايا اهل الكتاب ، وتناول الحديث قضايا اجتماعية على جانب كبير من الأهمية ، منها الربا وودائع البنوك ، وقد توسع فيها ، والاصلاح الاجتماعى والبغاء ، وقدم المنار كتابا عن البغاء في مصر الفه الدكتور بورفالييس باللغة الفرنسية وترجمه داود بركات وحديث عن مراقبة العاهرات وعدد المصابين) . وأولى اهتمامه بالسلطان عبد الحميد والشاه ناصر الدين شاه الفرس ، هذا فى الجانب السياسى ، أما فى جانب العقيدة الاسلامية فقد مضى فى طريقه الى تأصيلها والى الدعوة لمذهب اهل السنة والجماعة فكتب فصولا مطولة عن الامام الغزالى ، والخلاف بين معاوية وعلى ، وتناول مذهب اهل السنة والجماعة لابن تيمية .

وتناول الاصلاح الدينى واصلاح الأزهر وتاريخ أول مصحف طبع ، وتناول التربية الدينية فى مصر وزيارة اسماعيل صبرنسكى مصر ودعوته الى الجامعة الاسلامية وقدم شهادات لكتاب الغرب عن عظمة الاسلام منها شهادة مسيو وامبرى ، وقد احتفل فى هذا العام بمرور عقد (عشر سنوات) على ظهور المنار وما لاقاه رشيد رضا من الصعوبات فى نصرة الحق .

وقد افتتح المجلد العاشر بافتتاحية اشار فيها الى عمل المنار وخططه :

١ - تربية البنات والبنين .

٢ - اصلاح كتب العلم وطريقة التعلم .

٣ - شرح الدخائل التى مازجت عقائد الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الأعمال المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتعلق بالخرافات صلاحا واختبال العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الأعمى علما واتقانا .

٤ - درء الشبهات الراردة عن الشريعة الاسلامية ودحض مزاعم من زعم انها حجاب بين العاملين بها وبين المدنية .

٥ - اقناع ارباب النحل المتبائنة بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان .

وقد استهل حديثه بهذه العبارات :

ايها الشرقى المستغرق فى منامه قد تجاوزت حسد الراحة فغتنبه من سباتك وانظر الى العالم انجديد فقد بدلت الأرض غير الأرض واستولى أخوك الغربى المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار وأوقدهما البخار واستخرج الكهرباء والنور وأخترق الجبال وأختر أعماق البحار . ويقول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضتان فى الدين حافظتان لجميع الفرائض ومرغبتان فى جميع الفضائل وتركهما معصيتان كبيرتان مسهلتان للنسوق والعصيان .

وواضح من خطوات المنار :

١ - خلاف حزب الشيخ محمد عبده والمنار مع الحزب الوطنى ومصطفى كامل .

٢ - مدحه لكرومر وللطفى السيد وسعد زغلول باعتيارهما من مدرسة سعد زغلول .

٣ - متابعة رشيد رضا لنقد الأناجيل ونشر نباب الأناجيل للفيلسوف تولستوى ونشر فصول من انجيل برنابا .

٤ - أولى اهتماما كبيرا لموقف دار العلوم من اللغة العربية والحرب المشنونة عليها عام ١٩٠٧ وقد تبين بعد انشاء نادى دار العلوم أن المهمة

الأولى هي خدمة اللغة العربية ، ومراجعة مسألة أسماء الأجناس الأعجمية التي يراد ادخالها في اللغة العربية ، هل تعرب تعريباً أم تؤخذ بالترجمة وقد نشر خطابين للشيخ محمد الخضري (الذي طالب بانشاء مجمع اللغة العربية) وخطاب للأستاذ أحمد السكندري .

٥ — الانتقاد على فريد وجدي في كتابه (كنز العلوم واللغة) .

٦ — وجه عناية الى قضايا المجتمع في ضوء الاسلام وخاصة بالنسبة لعمل المرأة في التمثيل .

ترجم صاحب المنار في هذا العدد للشخصيات الآتية :

حسين عبد الرازق ، كرومر ، سعد زغلول ، بلنت .

المجلد الحادي عشر (١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م)

في هذا العام من المنار بدأ الشيخ رشيد رضا يتلقى بقوة ، فقد استطاع أن يتخلص من المواصفات الخاصة التي كانت تحد من صراحته وجرائته وعلان كلمة الحق بعد أن توفى الشيخ محمد عبده وأخرج كرومر وعزل السلطان عبد الحميد ، فقد بدأت أوراق كثيرة كانت مخدورة ، تتكشف عن حقائق كثيرة مرت في السنوات الماضية ولكنها عرضت في تحفظ شديد ، وأهم ما في ذلك موقفه من مفهوم أهل السنة والجماعة الذي حرره بعيداً عن الفلسفة والكلام والاعتزال والمنطق ورجع به الى أصوله الحقيقية التي عرفها الأئمة الغزالي وابن تيمية وابن القيم ومن تابعوا طريقهم .

وقد أولى اهتمامه بخمس قضايا أساسية :

الأولى : الرد على شبهات المستشرقين ومن تابعهم من كتاب العرب وفي مقدمتهم كانياني وجرجي زيدان الذي واصلت المنار الرد على أخطائه وتجاوزاته في مختلف كتبه عن التمدن الاسلامي والأدب العربي .

الثانية : الرد على شبلى شميل ومفاهيمه المادية .

الثالثة : عرض أعمال حركة الاتحاديين في الدولة العثمانية وآماله في الالتقاء بين العرب والترك واهتمامه بصمود الدستور العثماني .

الرابعة : الرد على كرومر في كتابه الذي نشره بمسند سفره من مصر تحت اسم مصر الحديثة وقد حاول الشيخ رشيد رضا مراجعة مختلف القضايا

الخاصة بموقف النفوذ البريطانى وكرومر من الاسلام وخاصة فيما سبق النظر فيه على نحو من التحفظ لوجوده في مصر اذ ذاك ممثلا للسلطة البريطانية التى كانوا يطلقون عليها السلطة الفعلية .

الخامسة : متابعة ابحاثه في كشف الباطنية (البهائية والبابية) كما يتابع دراسته حول اخطاء الطرق الصوفية (النقشبندية والرفاعية) .

السادسة : اهتمامه باللغة العربية والدراسات المتصلة التى قدمها فتحى زغلول وحفى ناصف في مواجهة الحملة المركزة التى قام بها خصوم الاسلام ، كما تناول في ابحاث اخرى العربية وانتشارها .

السابعة : عرض ما كتبه بعض علماء الغرب عن الاسلام ، وقد عرض بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاه في مؤتمر افريقية الشمالية عن الاسلام والمدنية .

الثامنة : عرض قضايا الاسلام المتصلة بالمجتمع والحياة العامة وخاصة ما يتعلق بالربا والقرآن والعلم ، ومبادئ الاقتصاد السياسى والدعوة الى علم تدبير الثروة ، كما عرض الدكتور محمد توفيق صدقى لليات العلمية في القرآن (الرياح والجبال والثمرات والليل والنهار) .

التاسعة : واصل دراسة آثار الشيخ محمد عبده وتلاميذه ومواقفه وصلته بجمال الدين الأفغانى .

العاشرة : متابعة نقد الشبهات المثارة حول الكتب القديمة المقدسة ، كما كتب مقدمة لاتجيل برنابا الذى اكتشفه وأعاد طبعه بالعربية ، وفي هذا العام تحدث عن المسلمون والقطب بمناسبة مؤتمر الاقطاب ومؤتمر المصريين ورد الشبهات التى يرددها الافرنج على بعض آيات القرآن والعلم ، وقد قدم الدكتور محمد توفيق صدقى فصولا متوالية عن قضايا مثارة في القرآن والكتب المقدسة ، منها : ذو القرنين ، والسامرى والعجل ، وميراث بنى اسرائيل ، وموت سليمان ، ويفسر آيات عدم صلب المسيح ، وهامان وزير فرعون ، واموال قارون ، والبعث الجسمانى .

ويعد العام الحادى عشر أخطر سنوات المنار فقد برز فيه مفهوم حزب الإصلاح في بهاجيته السياسية للحزب الوطنى ، وللاتحادين في تركيا ، ومهاجمة الخرافات والدجاجلة والمقلدون والانطلاقي تحت لواء السنيّة والتنزيل على حد تعبير رشيد رضا :

« لا خوف على الحق الامع الاستبداد ، بمنع حرية العلم والارشاد »

وقال لا تخاف على دعوة الاصلاح في هذه البلاد — يقصد مصر .

وقال : ان للاسلام ثلاث مراتب او مظاهر (١) التقليد : وعليه اكثر المسلمين المعتقدين (٢) البصيرة : وعليها نفر من العلماء المتخصصين (٣) والجنسية : التى تشمل المارقين من المتفرجين ، ويقول : ان المتفرجين يفتنون العامة عن تقاليدهم باسم المدنية وشبه العلوم والفنون العصرية ويحلون جنسهم الاسلام بدعوتهم الى الجنسية الوطنية ، وقال ان مصارعة الجنسية الوطنية للجنسية الاسلامية : مجهولة العواقب ويقول : لا تفرنكم عوامل المدنية ولا تفتنكم سلطة الامم الاوربية وان الفساد قد طرا على جسم هذه الامة منذ زمن بعيد فهو يحتاج الى تكوين جديد « ومن البشرات ان نرى المسلمين قد تنبهوا الى الحاجة الى هذا التكوين ولكن اختلفت فيه الآراء وعشت به الأهواء . الى ان ينهض زعيم من الامة يدعو المنار الى اقامة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفتح باب المناظرة التى تعلم كل واحد من المناظرين ما لم يكن يعلم ، وقطع السنة اهل الدعوى والمعتنقين للهوى من غير بيعة فيها يقولون ، ودعا الى انتقاد المنار بتحري الحق والارشاد فى كل ما يكتب ، ويعتقد اننا عرضة للخطأ مهما بذلنا من الجهد فى تحرى الاصابة ، وغرضنا من الانتقاد تكميل أنفسنا ومساعدتنا على ما نتوخاه من الارشاد .

وقد توفى الزعيم مصطفى كامل رئيس الحزب الوطنى فى هذا العام ونعاه رشيد رضا وحياه بتقدير بالغ بالرغم من خلافهما السياسى والثقافى وأشار الى « أن دعوته كانت موجهة لجعل الوطنية جنسية للمسلمين فأكثرتها فى المنار بالبرهان البين وأكثرت من الكتابة فيها ، وقال كما انتقدت عليه الارجاف بمسألة الخلافة العربية اذ كان كتب ان فى مصر من يسمى لها سعيها وبينت وجه الضرر فكبر ذلك عليه وقطع المبادلة الصحفية » .

وفى خاتمة المنار عرض السيد رشيد رضا الى خطة العمل خلال العام الحادى عشر من المنار فقال . انها خير سنة مرت بنا نعددها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، كيف لا وهى سنة حكومة الشورى والدستور ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ويعلق على الدعوة المثارة الى اقامة تمثال للزعيم مصطفى كامل فيقول : المقلدون للفقهاء وهم السواد الاعظم وفتهاء

المذاهب الأربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل والثاني المتبعون للدليل .
ان نصب تماثيل لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثنى الذى يعترف المنتقد
بأنه على خط نصب التماثيل ، ويقول : ان كثيرا من الأصنام التى عبدت
كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عدت
وصار يتوسل بها الى الله ، وتطلب منها الحاجات ففسد الدين هذا الباب
سدا محكما .

ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، خير الدين
التونسى ، فتحى زغلول ، حنفى ناصف ، سليم البشرى ، قاسم أمين .

م ١٢ (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م)

فى هذا العام يقع أعظم حدث فى تاريخ المنطقة وهو اسقاط السلطان
عبد الحميد ، ويولى المنار الاهتمام البالغ لهذا الأمر ويظهر فرحته الشديدة ،
ويكشف عن تاريخ طويل كان بداية فى السنوات الماضية حينما كان يتحدث
عن الاستبداد وسلطان الملوك والحكام وكان يقصد به السلطان عبد الحميد،
وتتابع المنار وقائع الأحداث بتوسع كبير فالمعروف أن السيد رشيد رضا
من أقليم الشام الذى كان له خلاف عميق مع الدولة العثمانية لن ينتهى
بسقوط عبد الحميد بل ربما يكون قد بدا فى عهد الاتحاديين الذين خدعوا
صاحب المنار كما خدعوا كثيرين بمظهرهم فى أول الأمر ، ولذلك فقد سارع
السيد رشيد رضا بالسفر الى الأستانة لبحث أمور الدعوة الإسلامية
والتعرف على وجهة الاتحاديين وكان هدفه من ذلك التقريب بين العرب
والترك وانشاء مدرسة الارشاد الإسلامية العليا لتخريج دعاة اسلاميين
ليبشروا فى البلاد الإسلامية وقد جامله الاتحاديون دون أن يحققوا به أى
هدف ولم يكشفوا عن أوراقهم ولا أهدافهم التى تكشفها الأيام من بعد .

وفى هذا المجلد دراسات وافرة عن الاتحاد والترقى ، والعرب
والترك ، وعن السلطان عبد الحميد ، وعن آل عثمان وملكهم ، والولايات
العثمانية واستقلالها والانتقال العثمانى وصداه فى الصحف الهندية وغيرها،
وعشرات الموضوعات حول هذا الشأن وعن السلطان محمد رشاد خليفة
المسلمين الجديد وشريف مكة وشيخ الاسلام ، والعرب والعثمانيون والشغف
العربية مما ينتفع به أى دارس لهذه المرحلة .

ولم يمنع هذا من استمرار المنار في ابوابها العامة وموضوعاتها التي سبق أن طرقتها وواصلت دراساتها وخاصة ما يتعلق بمقارنات الأديان وأهل الكتاب ، وما يتعلق بالباطنية والمتصوفة ، وبالتعصب الدينى عند الأمرنج وعن أوربا والاسلام وعن الدعوة الى الإصلاح الإسلامى وما يتصل بالقرآن واللغة العربية والتعليم والتربية الإسلامية وأدب المرأة وكتابات باحثة البادية ، وعرض بعض كتب التراث الإسلامى المجدد وخاصة ما يتعلق بالتوحيد وتحرير المفهوم الإسلامى على النحو الذى يؤمن به أهل النسنة والجماعة ، كما عرض للتبشير ومدارسه وللمدرسة الكلية الأمريكية فى بيروت ومدارس النصارى ،

وواصل دراسته للإمام الغزالى وكتب عن ابن تيمية والشافعى ، وقضية النسخ فى القرآن ، وفتاوى ابن تيمية ، كما عرض لسندات البنوك وموقف الاسلام منها ، وموقف الاسلام عن نظرية دارون وقدم دراسات عن شخصيات مختلفة منها حسين الجبر بمناسبة وفاته ، والأستاذ الامام وسليم البشرى شيخ الأزهر وشبلى شهيل ومحمود شوكت قائد الانقلاب .

وأصبح المنار يولى اهتماما بموقف اليهود من البلاد الإسلامية والقضايا التاريخية وقد كتب عن رحلة القسطنطينية فصولا اضافية أشار فيها الى أن رحلته كانت « من أجل أمرين عظيمين أحدهما وهو إجلها خدمة الدين الإسلامى وتجميع المسلمين ، وثانيهما خدمة للدولة العلية من حيث هى حكومة الدستور القائم على العدل والمساواة ولعنصرى الأمة العثمانيين الكبيرين : أما الأول فهو انشاء معهد دينى علمى فى العاصمة العثمانية للتربية الإسلامية الصحيحة الكاملة بالتزام آداب الاسلام العالية والجمع بين هذه التربية والتعليم الإسلامى ومن منافع المعهد الإسلامى تعزيز دولة الخلافة وتأييدها بجعل عاصمتها منبعا للاسلام وكعبة مغنوية لطلاب علومه وآدابه وتخريج العلماء الذين يقدرون على الدفاع عن الدين على النحو الذى كان يدفع به محمد عبده مثل رنان وهانوتو وتخريج الدعاة الى الخير والمرشدين للأمة . ليس الغرض أن تكون الحكومة العثمانية هى التى تنشئ المعهد الإسلامى فان الحكومات تعجز ، وانما الغرض أن يقوم بهذا العمل جمعية من محبى الإصلاح العلماء الصالحاء . عرضت المشروع على رئيس حكومتها الصدر الأعظم حسن حلمى ، ومنهم محمود شوكت وأعضاء

مجلس الأمة وأشهر رجال جمعية الاتحاد والترقى فكلمهم أظهروا الإعجاب به والاعتراف بفوائده .

أما الأمر الآخر « فهو إزالة سوء التفاهم بين عنصرى الدولة ، الأكبرين : العرب والترك . وقد شرحت هذا فى مقال مطول نشرته جريدة اقدم نصادف استحسانا والمشهور عندنا عن سياسة الترك أنهم يخافون ويحذرون من قيام العرب بتكوين دولة عربية أو خلافة عربية فى جزيرتهم وأن هذا الخوف قديم وقد قدمت الأدلة على كذب هذا الادعاء .

« أن جميع من أعرف من عقلاء العرب مثقفون معى على وجوب تدارك ما قوى الآن من سوء التفاهم ولما جئنا الأستانة رأيت كثيرا من عقلاء الترك يميلون الى هذا . وبلغ من سوء ظن بعض سياسة الترك بالعرب ما اشرنا اليه ولاسيما مساله الشام ، بلغ من سوء ظن العرب بالترك أن قال لى أكثر من واحد من أذكيائهم ، وأهل الراى منهم بمصر والأستانة أن وزراء الدولة ورجال جمعية الاتحاد والترقى لا يقدرون مشروعات الإصلاحين حق قدرهما ولا يعرفون فيه اخلاصك لآنك عربى » .

● نرجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : رفيق العظم ، حسين الجبر ، جمال الدين القاسمى ، سليم البشرى .

م ١٢ (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م)

تابع السيد رشيد رضا فى هذا المجلد خطته الإصلاحية فى مجالاتها المختلفة فأولى اهتمامه للقضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوطن الاسلامى كله وسافر خلال هذا العام الى القسطنطينية ليكتشف الحكومة الاتحادية التى تولت شئون السلطة بعد عزل السلطان عبد الحميد وكان من المؤيدين لها فى حماس شديد غير أنه لم يلبث أن غير رايه بعد أن اكتشف حقيقة موقفهم من الاسلام وتابع قضية الدولة العثمانية كقضية اساسية (باعتباره سوريا فى الأصل) وباعتبار أن الدولة العثمانية هى مفتاح السياسة الاسلامية كنها لوجود دولة الخلافة بها ولارتباط البلاد العربية معها كما عرض لموقف أنكثرا من الاسلام .

وتابع انتشار الاسلام فى افريقية وأمريكا وأوربا وكشف صفحات عن تعصب أوربا عن الاسلام كما عرض لبعض شهادات المنصفين وعن مهدى

السودان ومسلمو جاوه وروسيا والنمسا والهند ، كما عرض لفضية
الاصلاح الاسلامى ، وتحدث عن الشريعة الاسلامية والحكومة الاسلامية
والاقتصاد ،

كما اولى اللغة العربية اهتماما بالغا وقدم عددا من الأبحاث وما يتصل
بالتربية الاسلامية والازهر ودعاوى اصلاح نظم التعليم فى المدارس الدينية
وتابع مقارنات الاديان بالرد على المبشرين من خلال نشراتهم وكتبهم
المهاجمة للإسلام وتعرض لما قدمه علماء الغرب من حقائق جديدة حول
الكتب المقدسة (التوراه والانجيل) وما يتصل بأهل الكتاب وما يتصل
بجريدة الوطن القبطية وموقفها من العرب ومن التراث الاسلامى وتنول
ما يتصل بتجريف التوراه وضياعها .

وتناول الزنادقة أمثال جيبيل الزهاوى فى حملته على الشريعة
الاسلامية ودعوته الى سفور المرأة كما تناول صلته بشبلى شميل .
كما تناول البابية والبهائية والباطنية وتحدث عن المجوس ونبوذة
زرادشت .

ومن ناحية أخرى واجه المتصوفة وأفكارهم وحجج المعتزلة أيضا فى
محاولة للكشف عن جوهر مفهوم أهل السنة والجماعة وتناول التأويل
ومعناه فى القرآن ، والمذاهب واختلافها ودعا الى توحيد المذاهب الاسلامية .
وعرض لأحوال المجتمع الاسلامى فى مصر وحرية الفتيات والبعاء
وتحدث عن المتفرنجون والنساء النواشز .

كما تحدث عن المرأة المصرية وباحثة البادية .

ومن ناحية أخرى فقد قدم عرضا لكل كتب التراث المجددة والمؤلفات
الاسلامية التى ازدادت واتسع نطاقها على مدى الأيام ومن هذه الكتب :
الاسلام ومسترسكوت والفرق بين الفرق ، والحصون المنيعه ومبادئ
الفلسفة القديمة وميزان العمل .

كما قدم محاضرة المستشرق مونتيه عن الاسلام ودراسات عن ابن
تيمية وابن حجر الهيئى وابن خلدون .

وكانت دعوة المنار فى افتتاحية هذا العام الى التعاون على البر
والتقوى والاجتماع على توحيد طريق التربية والتعليم ودعا المسلمين الى

الجمع بين علوم الدنيا والدين « قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المادية المضطربة والتعليم التقليدية ، أولئك الذين تحولوا عن التقاليد الإسلامية الى التقاليد الأفرنجية الصورية فهم يدرجون الأمة من تقليد الى تقليد ويقذفون بالغيب من مكان بعيد » .

ويقول : « لا نجاد أعداء الإصلاح بسيف ولا أسنان وإنما نجادهم بالحنة والبرهان ونحاكمهم الى السنة والقرآن ونصبر على ما أؤنا ولكنا لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم » .

وينادى : « يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار حجة عليكم . أخبركم الله ان الأرض يرثها عباده الصالحون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فما بال الناس يرثون أرضكم ويخلفونكم في ملككم وأنتم لا ترثون أرضا ، بل لا تحفظون أراثا ومالهم يسلكون كل سبيل للافتيات عليكم وما بالكم تخربون بيوتكم بأيديكم وأيديهم ، كيف ذهبت عزتكم ، لقد تنبه الوثنيون وأنتم غافلون ، واجتمع اليهود وأنتم متفرقون ، وسبق النصراني وأنتم متخلفون ، وما أنتم هؤلاء تستيقظون فان سرتهم الهوينا فالناس مجدودن ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم ، وبأحوال الأمم في عصركم ، وتدبروا القرآن وما فيه من سنن الله في نوع الانسان وفقدان الأقران واستدارة الزمان » .

ويقول : كتبنا ثلاثة أرباع هذا المجلد في القسطنطينية ، تارة في فنادقها وتارة في المراكب البخارية التي يجول في رفاقها (انبسفور) ولم يتيسر لنا تصحيح أكثر ما كتبناه .

وفي هذا المجلد دعوات واضحة :

١ - الى مسألة العناية باللغة العربية في البلاد العثمانية وتقوية الرابطة بين الترك والعرب التي سعى لها سعيا منذ قدم دار السلطة وبعد أن تقرر أن تكون اللغة العربية رسمية في الدولة كاللغة العثمانية بحيث يكون للدولة لغتان رسميتان كما اهتم باصلاح الخط العربى وقدم بحثا لجبر ضومط في هذا الصدد وبحث في أطوار اللغة العربية للخضر حسين وقد وضع الاهتمام باللغة العربية في هذا العام .

٢ — السعى لحسن التفاهم بين العرب والترك ، كان أحد القاصدين من رحلتنا الى دار السلطنة ، والرد على صاحب جريدة اقدام على ما كتب في شأن العرب وعرض مقالات عليه في حسن التفاهم بين العنصرين اللذين هما قوام الدولة العثمانية وقد نشر المقدمات وامتنع عن نشر المقصد الذي فيه بيان اسباب سوء التفاهم وطرق تداركها ومنها مسألة تنقيح اللغة التركية وحذف الالفاظ العربية منها وقال ان هذه أمور ليس له حق البحث فيها واستهراره في نشر مقالاته الجنسية بقلمه وقلم اعوانه في الطعن على العرب ، وقد دفع الحراسة بعض السكان العرب الى اقتحام ادارة جريدة اقدام واهانة صاحبها وتحقيره .

٣ — بالنسبة لمشروع دار العلم والارشاد ، حدث ما أيسسنى من مساعدة الحكومة العثمانية بعد وعدّها انقطعى او كاد .

٤ — تناول الرد على هجوم الجريدة القبطية على مشروع احياء الآداب العربية ، كما تناول الرد على تسبلى شميل والمقتطف في شأن الاتحاد ورد على سلامة موسى ودحض آرائه في كتابه مقدمة السبرمان التى تتلخص في نظريته نيتشه في محو الضعفاء وتنمية قوة الاقوياء ، وقد اشار سلامة موسى الى آراء نيتشه وبليك وشوينهور من أصحاب الفلسفة الشاذة : وقال : المترنجون منا يرون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بقاع الشرق ناصبين انفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين ، وانما هم من المفلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تميز الفث من السمين .

٥ — كشف عن تعصب أوربا الدينى بالنسبة لمسلمين النمسا والمجر . وارغامهم على احكام الزواج والطلاق المسيحية ، وأشار الى عمل الاستعمار في ايقاظ الفتن وتغريز العرب واغرائهم باخوتهم الترك ، والقاء الشقاق بين المسلمين والنصارى والتفخ في روح العصبية الدينية بين الفريقين وعرض لبحث الفرنسى بوجيه في الهجوم على الاسلام وأخطائه وسخافاتة في التعبير بكلمة (جمال مكة) وقد رد عليه الدكتور أحمد الشريف من تونس كما تقدم بحثا للدكتور كارل كوم الذى يرى أن افريقيا عما قريب ستكون قارة اسلامية محضه ما عدا جنوب افريقيا واوغنده والحبشة .

المجلد الرابع عشر (١٣٢٩ هـ — ١٩١١ م)

اتسع نطاق البحث في المنار بالنسبة لقضايا الإصلاح الاسلامي وان ظل الشيخ محمد رشيد رضا هو كاتب معظم صفحات المنار غير أنه في هذا العام ظهرت كتابات لأسماء لامعة ، منها : شكيب أرسلان ، عبد العزيز جاویش ، محمد توفيق صدقي ، محمود سالم ، محمود شوكت ، هبة الله الشهرستاني .

وكان أبرز أحداث العام : (١) المؤتمر القبطي والمؤتمر المصري . (٢) طلائع الماسونية . (٣) دخول إيطاليا طرابلس الغرب . (٤) احتلال فرنسا للمغرب . (٥) اتساع نطاق التبشير في السودان وجاوه . (٦) متابعة الباطنية والبهائية .

هذا وواصل المنار اهتمامه بقضايا الاسلاميه وخاصة : (١) التعليم والتربية والأزهر . (٢) الآداب العربية احيائها وتدريسها . (٣) مقارنات الأديان . (٤) الاستعمار وأثره في العالم الاسلامي وموقف البلاد الاسلاميه امثال جاوه وجنایة هولندا عليها ، والجزائر وكيف فتحتها فرنسا ، وإيران بين انكلترا وروسيا وما يتعلق بروسيا في التركمان وبخارى ومسلمو بلادها .

كما أولى اهتمامه بالإصلاح الديني والاجتماعي فتحدث عن التقليد للفرننج والتفرنج ومضاره واللغة العربية ، وكان للدولة العثمانية وللاتحاديين قدر وافر في الأبحاث ، فقد تكشفت حقائق كثيرة عن صلتهم بالماسونية وتسليمهم طرابلس الغرب وتورطهم في أعمال كثيرة تكشف حقدهم على العرب والاسلام ، والمؤلفات الجديدة وكتب التراث المبتعثة .



وقد استهل المجلد الرابع عشر على هذا النحو :

أحمد اللهم عودا على بدء ، أن وفقني لتأييد المصلحين والدعوة الى الاتحاد والائتلاف بين المسلمين فقد تم بفضلك وتوفيقك للمنار ثلاثة عشر عاما يدعو الى ذلك بدليلي النقل والعقل والأساليب المتنوعة من القول الفصل واضرع اليك أن توفقني على رأس العام الرابع عشر في السعي انيه بالفعل ، وأن تظهر هذا الدين في الآخرين كما أظهرته في الاولين ، فقد بدأ غريبا وعاد كما بدأ في غربته فأتم اللهم التشبيه باستتباع ذلك لظهوره وقوته وانصر دعائه الصادقين على أعدائه المنافقين ، الذين يلبسون

لباسه ويجهلون حقيقته ، المنكرون له حتى صدق عليهم ما قلته في المتفريين قبلهم : « يخربون بيوتهم بأيديهم » و « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » كلما داووا جرحا ظهرت جروح ، وكلما رقعوا فتقا ظهرت لهم فتوق ، وكثرت الدعاوى بالباطل ، وتطلعت رعوس الفتن واشتملت نارها في البانيا فخوران غاليين ، يلبسون الحق بالباطل ويتصدون من يتبع أهواءهم من ظلوم أو ظالم يؤيدون المفسدين والجرمين ويتحرقون على البرءاء الصالحين .

يا أهل القرآن : اقيموا القرآن واقبموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان قد غلبتم على ما فرطتم فيه من حنك ، فنزا على مصالحكم الملاحدة والفاستقون من قومكم ، وكاتوا هم المنافذ والكوى لدخول سلطان الأجانب على أرضكم ، تركتم لهم دنياكم فطمعوا في دينكم ، يريدون اطفاء نوره والاطاحة بوليّه ونصيره » .

وهكذا نجد السيد رشيد رضا يقظا واعيا لكل التيارات التى تهب من حوله غيورا على الدعوة الاسلامية ، يقول كلمة الحق بقدر المستطاع المسموح به فى هذه الظروف التى كان النفوذ الأجنبى مسيطرا على الرقابة الصحفية ، راسما بهذا العمل صورة حقيقية رائعة للعمل الإسلامى الذى يحمى مفهوم السنة والجماعة ويقاوم كلا التيارين : تيار الجود والتقليد والجبرية الصوفية ، وكذلك تيار التبعية والتفرنج والتفريب والغزو الثقافى فى صورته المختلفة : من تبشير واستشراق ودعوات باطنية ومؤامرات اتحادية واباحية ، وهو على ضعف المنار الشهرية التى لا توزع الا عددا قليلا يرسل بالبريد لمن يطلبه وليس لها نفوذ فى سوق الصحافة اليومية والأسبوعية التى تصدرها جهات أخرى فانه ثابت قوى متمشيت بالدعوة غير طامع فى جاه أو مال أو شهرة ، وانما يضحى بكل شئ فى سبيل اثبات هذا الصوت الإسلامى واستمراره فى عناد واصرار .

وفى هذا العام يتفتح الكلام عن الصهيونية حيث تنشر جريدة الكرمل (نجيب الخورى) كتابه عن جمعية اليهود الصهيونية التى تسعى لتملك اليهود بلاد فلسطين ، وما يتصل بالمشروع الأصفر (أى تمكين اليهود من زراعة أرض فلسطين) كذلك فان فى هذا العدد تنويه واسع بخط الماسونية فى البلاد العثمانية بمعد أن تكشف دورها فى مؤازرة الاتحاديين

وفى سيطرتهم على الدولة العثمانية ، وهو فى نفس الوقت يواصل قضية البهائية ويتحدث عن تطوراتها وخطورة الدور الذى تقوم به وما يتصل بميزرا محمد على الباب وادعائه النبوة ، كما يفصح دور الاتحاد والترقى والذى كان خافيا فى السنوات الاولى للانقلاب العثمانى والملىء بالحقن على العرب والعربية والاسلام والمندفع فى طريق العصبية والعنصرية وراء فكرة العودة الى الطورانية ومحاولة تتركب العرب وسحق لغتهم مع الاشارة الى دور اليهود الخطير .

ويعاود الحديث عن الجمعيات السرية التى لا يجوز للمسلم ان يدخل فيها ويتحالف مع اهلها وكيف ان ذلك مخالف للشرع ، فانه حين ذلك يطيعهم فيما يأمرونه به ، وهو مخالف لدينه ولوجهة امته ، ويقول : لا ينبغى ان تدخل فى جمعية لا تعرف مقصدها ، لانه ربما كان مقصدا محرما ، ولانه لا يليق بالمسلم القيام بما يجهل حقيقته وعاقبته ، فان دخل فى جمعية على انه ليس فيها شئ مخالف للشرع الثابت ثم ظهر له فيها ما يخالفه لم يستطع ازالته وجب عليه ان يتركها ويتبرا منها .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد : هبة الله الشهرستانى ، شكيب ارسلان ، جاويش ، محمد توفيق صدقى ، محمود سالم ، رياض باشا .

المجلد الخامس عشر (١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م)

تميز المنار بالتوسع الدائم والقدرة على تحديد ابحائه عاما بعد عام مع تتابع حركة التغريب والغزو الثقافى ، ويرجع ذلك الى قدرة فائقة فى المتابعة فى مجاله ، فان المنار استطاع ان يحصل على عدد وافر من الدوريات التى تصدر فى اجزاء مختلفة فى العالم الاسلامى ، فهو يعلق عليها ويستخرج منها ما يخدم هدفه وليس ادل على ذلك من انه يتابع اخبار المسلمين من المغرب الاقصى الى جاوه ، بتدقيق وتفصيل لكل الاحداث التى تمر به ، وهناك عدد من القراء المثقفين يرسلونه ويقدمون له القضايا المثارة ، فهو لا يغفل عن اى تطور سياسى او اجتماعى فى هذه الاقطار على مستوى العالم الاسلامى كله ، هذا فضلا عن انه يقدم ابواب متعددة يحشد لها قدرا آخر من المادة الاخبارية محولة الى فكر وخاصة باب (فتاوى المنار) التى يقدم فيها ظواهر البدع المثارة ويرد عليها ، وهو دائما مستفيض ، لا يمل تكرير المعانى العامة لفناهم الدعوة الاسلامية فى كل

مناسبة ، كما يقدم أهم الكتب وخاصة التراث المبتعث ، وأهم الوفیات وأهم الاحداث وعينه دائما على الأزهر والتعليم والتربية وعلى مقارنات الأديان وعلى مادة كتب النصارى والتبشير وما يكتبون ضد الإسلام ، ونجده في هذا المجلد يولى اهتمامه بعدد من القضايا :

أولا : التبشير الغربى فى عالم الإسلام ، وقد اخذ ينشر كتابا من أخطر الكتب التى صدرت فى هذا الصدد وهو كتاب (الغارة على العالم الإسلامى) أو فتح العالم الإسلامى نقلًا عن المؤيد .

ثانيا : النقد الموجه الى مؤلفات جرجى زيدان وفى مقدمتها كتاب التمدن الإسلامى وتاريخ آداب اللغة العربية ، وهما لباحثين كبيرين أحدهما شبلى النعمانى والآخر أحمد السكندرى .

ثالثا : بشائر عيسى ومحمد فى التوراة والانجيل وهى مجموعة مقالات هامة تتعلق بمقارنات الأديان يكتبها الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى آمن بالإسلام واخذ فى مراجعة تراث أهل الكتاب والكشف عنه وتابع هذا بنقد كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) كما تناول قصة بولس والمسيحية وبختنصر وتنكيله باليهود ودعاة النصرانية فى أفريقيا وقصة زويمر كبير المبشرين .

رابعا : متابعة أحداث العالم الإسلامى وفى مقدمتها الحرب الصليبية فى البلقان وأحداث فرنسا فى تونس وانجلترا فى مصر والمسألة الشرقية والمسلمون فى مجلس الدوما الروسى والانجليز فى جنوب إيران والخليج الفارسى والجامعتان الإسلامية والعثمانية ودعوة أحمد الشريف السنوسى لجهاد الايطاليين فى طرابلس الغرب .

خامسا : فى هذا المجلد انتهى ما قدمه الشيخ محمد عبده من حلقاته لتفسير القرآن ، حيث بدأت مقالات السيد رشيد رضا .

سادسا : أولى اهتمام كبيرا لقضية الدولة العثمانية والعرب وجماعة الاتحاد والترقى .

سابعاً : تناول قضايا البهائية ، والفحش والمجون فى كتب اليهود ، والفلسفات وابن المقفع ، والتصوف واحصاء المسلمين ودعاة النصرانية ومصطفى كمال والجامعة الإسلامية وطريقة السنوسية وزواياها المبتدة من الاسكندرية الى درنة ، كما تحدث عن المستشرق غامبرى الذى خسده

السلطان عبد الحميد ثم هاجمه بعد عزله ، وتحدث عن رحلة صاحب المنابر الى الهند ، كما تحدث عن المستشرق لويس ماسينيون .

ثامنا : تناول بالعرض أغلب الكتب الصادرة والتي تتصل بالدعوة الاسلامية : ميزان الجرح والتعديل للقاسمى - الحراب فى صدر البهاء والباب - رباعيات الخيام - العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : مصطفى كامل ، شبلى انعمانى ، أحمد الشريف السنوسى . وقد استهل العدد الأول من المجلد الخامس عشر بافتتاحية قال فيها :

قطع المنار هذا الطور الأول من حياته وحده فدرج درجان الطفل غادر مهده الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ولا أعمته وزير ولا أمدّه غنى كبير اللهم الا مصطفى رياض باشا تغمده الله برحمته (اشتراك فى خمسة عشر نسخة) ، ورياض باشا هو الذى أخذ بأيدى الصحف الكبرى أيام وزارته سواء كانوا من نصارى السوريين أو القبط المسامحين فهو صاحب الفضل الأول على الأهرام والمقتطف وجريدتى الوطن فالؤيد ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذ ارادته المسموعة كلمته .

والسيد رشيد يشكو دائما مطلّ المشتركين وخاصة من رجال الطبقة العالمية كالمدرسين والمؤلفين والقضاة . ويقول : ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبل الراحلة من أبى بكر يوم الهجرة الا بثمانها . وكان النبى يحتاج الى النفقة على أهله أحيانا فيقترض من اليهود وكان يجزى على الهدايا ولا يقبل الصدقة البتة .

ويقسم الناس الى أقسام ، فمنهم من هو ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله . ويقول : ان المصلحين هم الأمة الوسط التى تجمع بين مطالب الروح والجسد وتقيم أمر الدنيا والدين كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب الذى يزداد إهله نموا فى الأرض .

المجلد السادس عشر (١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م)

تميز هذا المجلد بدراسات أساسية :

أولا : دراسة كاملة عن الاتحاديين حكام الدولة العثمانية وتفریطهم في بلاد الاسلام (طرابلس الغرب ، البلقان ، البلاد العربية ، الخليج) ودراسة عن عناصر المملكة (الأرمن والأرناؤوط) وجمعية الاتحاد والترقي وحزب اللامركزية وحديث عن الحرب البلقانية وموقف مسلمي روسيا من السلطان عبد الحميد وتفریط الاتحاديين في حقوق الدولة في خليج فارس والعراق .

ثانيا : الاهتمام بدراسة تاريخ الجهمية والمعتزلة (جمال الدين القاسمي) وحديث مطول عن واصل بن عطاء ، وما يتصل بالجمعة بن درهم والمأمون ودعوته الى مذهب الجهمية وخلق القرآن وواصل بن عطاء .

ثالثا : مقارنات الاديان ، والمسيحية وقضاياها ، وبولس والتثليث ، وانجيل برنابا والتوراة والانجيل ، والسيد المسيح وكتبي اهل الكتاب والبارقليط المذكور في الكتب القديمة (سيدنا محمد) وقصة صلب المسيح وقيامته ، وعقائد النصرانية .

رابعا : احاديث كثيرة عن الشيخ محمد عبده ، وعلى يوسف ، ومصطفى كامل ، واحمد حشمت ، وادريسي عسير ، ومحمود شوكت ، ومحمد فريد ، ومحمد عبده ، وخريستونوس جبارة ، وابن الرشيد ، واحاديث عن الشيخ عبد العزيز جاويش واصداره المجلة العربية في الآستانة .

خامسا : دراسات عن قضايا العالم الاسلامي مع الاستعمار وحديث عن الاتفاق التركي الانجليزي على خليج شط العرب وفارس واثره على بلاد العرب واستيلاء ابن سعود على الاحساء ، وقضية الأمة الهندية الشرقية مع الحكومة الهولندية وتحويل الأوقاف في مصر الى نظارة .

سادسا : حديث عن المسألة العربية عند الاتحاديين والمؤتمر الدولي في باريس وسياسة الأمة العربية في حرب اللامركزية وقضية الجنسية واللغة ، والعرب والعربية وتترك مسلمي العثمانيين .

سابعا : احاديث عن الكتب وفي مقدمتها كتاب فتحي زغلول : سر تقدم الانجليز والاحتفال بمؤلفه .

● ترجم صاحب المنار لـ : أمير على ، أدريس عسير ، على يوسف ، مصطفى كامل ، عبد العزيز جاويش ، محمد فريد ، جمال الدين القاسمي ، فتحي زغلول ، محمود شوكت .

وفي فاتحة المنار قال السيد رشيد رضا :

ان صوت الإصلاح الديني قد علا كل صوت في الأقطار الإسلامية التي بلغت دعوته وهزتها صيحته ، فخفتت دونه أصوات الحشوية الجامدين والدجاجة المحترفين وقد خذل الله بيروت في العام الماضي أشدهم افكا وتحريفا .

وتحدث عن الاسلام التقليدي ، والاسلام البرهاني فقال : أصحاب الاسلام التقليدي يفتنون بالشبهات المادية التي يبنونها فيها حملة عشور العلوم العصرية ومنهم من يشككون في الاسلام بمطاعن دعاة النصرانية ولا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وقصارى ما عندهم أن يقولوا للعوام ان جميع العلوم الطبيعية باطلة وان تعليمها كفر وتعلمها زنادقة . ويزعم هؤلاء الدجالون ان الضلال كل الضلال هو ما يدعو اليه المعلمون من هدى الكتاب والسنة على النحو الذي كان عليه الصدر الأول من الأمة ونبيذ كل ما استحدثه الخلف مخالفا لما كان عليه السلف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » . وتحدث عن ظهور الفئة الباغية الإسلامية في الظاهر والباطن اذ تمدح الاسلام وتنفر من الاعمال التي تحييه وتطمع في القائمين بها وتدعو الى الجامعة الإسلامية وتلقى الشقاق بين العاملين لها وتزاحم أهلها المصلحين وهم المفسدين .

وقال ان الأمر يحتاج الى ضروب من الإصلاح يد بعضها بعضها وأصولها خمسة : (الديني - العلمى - الاجتماعى - السياسى - المالى) وقد تداعت هذه الأصول كلها في العالم الإسلامى ولا يسهل إقامة بعضها الا بإقامة باقيها . وأشار الى أنه ما ان لاحت من الاستقانة بارقة الأمل في الإصلاح السياسى حتى أردنا أن ننشئ فيها عملا كبيرا من الإصلاح الدينى والعلمى الذى هو أكبر عون على غيره ولاسيما الإصلاح الاجتماعى : ثم أصبح سرايا هذا الانقلاب الذى حسبنا أن وراءه ما نرجو من الإصلاح فكان بسوء تصرف ذويه عن الفساد وقد أنذرنا الأمة سوء عاقبته ، والخطر

الأكبر هو افسادهم السياسى الذى فتح علينا باب المسألة الشرقية حيث فقدت المملكة طرابلس الغرب الافريقية وثبتت بولايات الدولة الأوربية ونخشى أن تقلت الولايات الآسيوية .

المجلد السابع عشر (١٢٩٢ هـ - ١٩١٣ م)

تابع السيد رشيد رضا قضايا الساعة ، وفي مقدمتها :

١ - قضية الدولة العثمانية والاتحاديين وموقفهم من العرب وتناول قضية الجنسيات في المملكة العثمانية والامتيازات الأجنبية وكيف دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية .

٢ - قضية الصهيونية والبروجرام الصهيونى السياسى (بقلم أوستكين) وتحدث عن العقبات الحائلة دون امتلاك اليهود للبلاد المقدسة ، ونصوص التوراة في كون البلاد المقدسة لنسل ابراهيم .

٣ - الرد على المبشرين والمستشرقين : حيث قدم عددا من الأبحاث في مقدمتها كتاب (الرد المتين على مقدمات المبشرين ، مقام عيسى عليه السلام في النصرانية والاسلام ، وناقش دعاة النصرانية ونشر كتاب كريستان سنوك هونجرج الهولندى (الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية) وتحريف التوراة .

٤ - رد على البهائيين ودعاة البهائية ، والباطنية وعلاء الصوفية ، وتقديم فصول من كتاب مدارج السائلين لابن القيم الجوزية عن التصوف الاسلامى الصحيح .

٥ - تركيز الدعوة الاسلامية وتصحيح العقائد ، وانرد على الجهمية والمعتزلة ، والحلاج والحديث عن دعاة الاسلام الأبرار أحمد ابن حنبل وابن تيميه وأبى حنيفة والامام الشافعى ، والغزالي والأشعرى في أبحاث مستفيضة عن تاريخهم ودورهم .

٧ - الحديث عن لورد كرومر ورايه في الشيخ محمد عبده ، ولورد هدلى واسلامه ، وترجمة أحمد فتحى زغلول بمناسبة وفاته ، كما ترجم لعلى يوسف ومصطفى صادق المنفلوطى وجمال الدين القاسمى ، .

٨ - نقد آراء تنصوم الاسلام والرد عليهم : رد على يوسف الخازن ولويس شنيجو وسلامة موسى ،

٩ — تحدث عن الشريعة الإسلامية وموقفها من الامتيازات الأجنبية ،
وتفنيد مزاعم كاتب أمريكى عن الشريعة الإسلامية ، كما تحدث عن المعازف
وآلات اللهو ، وعن التمثيل ، وتحرير المرأة والفرنج .

١٠ — قدم عددا من الكتب وخاصة كتب التراث المبتثثة منها كتاب
الاعتصام للامام الشاطبى ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة ، ودين البهائية
وانصاره ، والكشاف والبيضاوى ونقدهما .

١١ — ترجم فى هذا المجلد للشخصيات التالية : عزيز المصرى ،
على يوسف ، عبد العزيز جاویش ، فؤاد سليم المصرى ، مصطفى
المنفلوطى ، أحمد فتحي زغلول ، محمد جمال الدين القاسمى .

وقد افتتح مجلد المنار الاول من العام السابع عشر بافتتاحية جامعة
جاء فيها :

نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشر على نحو ما ذكرناهم به
فى السنة الخالية من سوء عاقبة الافراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم
الجاهلة الغافلة ، والافراط فى عبادة الهوى واتباع الشهوات والانهاك
فى الفواحش والمنكرات والمحافظة على البدع وسيئ العادات والتفريط
فى حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدى الكتاب والسنة
ومجارة الأمم بما يستطيع من حول وقوة ولاسيما قوة الاعتصام والوحدة
وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة ، ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر
وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به كل عام ، وما تسلب من ملكهم
الأمم والاقوام وبيان سنن الله تعالى فى النطاغين والمسرفين . تركت هذه
الأمة هداية القرآن ففاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان ، والعلم
والوفاق ، والبسطة فى العمران ، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق
وذلك الخذلان ، بل التى عليها أحقاد من الزمان لا تشعر بكنه هذا
الخرسان ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها قبل الشعور
بما كان سببا له من فساد أمر دينها وبما خسرت من سلطانتها وأملكها
قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكاتها . ولما شعرت بالخطر على
حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية ،
شرعت فى شئ من الإصلاح الصورى بدون أن تؤيده بروح الإصلاح المعنوى
فبعد السلطان محمود مصلحا بتغيير الزى الرسمى ونظام الجندي والسلطان

عبد المجيد مصلحا باعلان التنظيمات الخيرية والسلطان عبد الحميد مصلحا
بانشاء نظارة العدلية ومصطفى رشيد باشا مصلحا بادخال الدولة العثمانية
فى سلك الدول الأوروبية ومدحت باشا وأعوانه مصليين باقتباس القوانين
الغربية الغربية ، ومحمد على وأحفاده مصليين بغرطنة البلاد المصرية ،
والامير عبد الرحمن خان مصلحا بالتأليف بين القبائل الأفغانية ، ولم تتوجه
همة أحد الى اصلاح العادات والأخلاق وإزالة البدع والمنكرات وجمع
الكلمة التى فرقته المذاهب واللغات فما زاد الأمر هذا الإصلاح الصورى
الاضروباً من الفساد ولا أفاد الدولة الا اضعاف الاستقلال واضاعة البلاد .
ان أكثره كان ضروريا ولم يعد يمكن علاجاً لهذه الأمة من طبيب اجتماعى
عرف من أمراضها الظاهرى والباطنى فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة
ويحفظ البنية ، لذلك رأيناها بعد هذه المصالحات لم تزدد الا مرضاً ،
وكان ما أدخل عليها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها كالجسم الغريب
الذى يدخل فى البنية فيفسد مزاجها لأنه لم يكن على حسب استعدادها ،
وحاجتها ، بل كان تقليداً صورياً أو عارضاً وقتياً ، فنهى ما كان ضاراً
ومنه ما كان نافعاً ، فاما الضار فأكبر ضرره التقاليد والقوانين الأفرنجية
التي قطعت كثيراً من روابط الأمة المليية وأزالت من مقوماتها ومشخصاتها
الاجتماعية والأدبية ، ولم يستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم
الأوروبية بل صارت عيالا عليهم فى جميع الشؤون ، أما ما كان نافعا فقد
كان نفعه موضعياً وعارضاً لا دائماً فكان عداوة بعض أغراض الظاهرة
بما يزيلها مع بقاء العلة فى الباطن ، وكلما داوت جرحاً سلك جرح . بنى
محمد على ركضى الثروة والقوة على أساس العلم ، ولو أتم أحفاده ما بدأ
ببناء ركضى الأخلاق والآداب على أساس الدين وسنن الاجتماع لثم لهم
تكوين الأمة ولاستقام لهم بالأمة أمر الدولة ، فهذا العصر عصر الأمم
والشعوب لا عصر الأمراء والملوك ، ولكن جميع أقبال المسلمين كانوا
ولا يزالون عن هذا غافلين . لا صلاح للدولة الا بصلاح الأمة ، ولا صلاح
لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولى الرأى والعزم يأمران بالصلاح وينهون
عن الفساد فى الأرض ، زماننا زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية
والشركات الزراعية والصناعية والتجارية .

الا وإن أمر « التربية والتعليم » هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات
ولا يجوز أن يترك الى الأفراد ولا الى الحكومات لأن المدارس للأفراد

دكاكين لكسب المال والحكومات معامل لسبب العمال ، فكل من الفريقين يتوخى من التعليم منفعتة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وشر ما ابتلى به جماهير المسلمين من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين فأتى تصلح أمة تركت تجديدها وتكوينها الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها والأمة تصلح بالتربية ونحن قد أفسدنا المربون — الافرنج المقتربون — وترتقى بالعلم ونحن قد ولانا العلماء المقلدون المقتنون ، وتقوى وتعزى بجميع المدارس لكلمتها ونحن قد أوهننا وشقت عصانا المدارس لأنها اما معاهد سياسية والحداد واما اديار وكنائس قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية وفنتها بالأهواء والشهوات الحيوانية وسرى سم تقليدها الى المدارس الأميرية والأهلية ، فالمقتربون منها أقلهم الذين يسلمون ومنهم الملاحدون ، واكثرهم الفاسقون يجرفون ثروة الأمة الى الأجانب ويقذفونها بالفجور والنسوذ الأجنبي من كل جانب ويتقلبون فيها على المناصب فينالون منها جميع المآرب يحقرون لها سلفها ويعظمون في نفسها كل ما هو أجنبي عليها فيقطعون جميع روابطها المالية ويزينون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التى يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التى يستعين بها الأجانب على ادارة البلاد لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنعة معاملهم أو انجيش السلمى لثكناتهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه « الفتح السلمى » بدونهم ولأجل هذا ربوهم هذه التربية المذبذبة وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة فلا هم صاروا بها أوربيين ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ويزعمون انهم المصلحون لتسائها ، ولنذكر ما قالته مجلة العالم الاسلامى الفرنسية :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوى التى أسسها الأوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذى قامت به دول اوربا كلها (الغارة على العالم الاسلامى) .

اننا في أشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما يتوقف عليه من العلوم والفنون العملية والى الاعتبار بتاريخهم وأطوار حكوماتهم وجماعاتهم ، ولكن يجب أن تقوم باقتباس ذلك جماعات منا يجمعون بينه

وبين حفظ مقوماتها ومشتخصاتها . واركناها اللغة والدين والشريعة والآداب
(المراد بالشريعة احكام المعاملات فى السياسة والقضاء والادارة والحرب)
ولنا ان نستعين باهل الفضيلة والاستقلال من رجالهم الذين ليس لهم فينا
اهواء دينية ولا مطامع سياسية استعمارية وبهذا نكون مهتدين بما امرنا
(الله) به من السير فى الارض والاعتبار بأحوال الامم ونسبة سلفنا « ا . ه .

ولك انت ايها القارئ اليوم بعد سبعين عاما ان تجد ما قاله السيد
رشيده رضا لا يزال صالحا لنا ونحن مطالبون به وتجد هذا الكلام منطبق
على اجيال كثيرة رباها الاستعمار فى عصره ، سعد زغلول ولطفى السيد
وعبد العزيز فهمى ومن بعده طه حسين وسلامة موسى ومحمود عزمى وعلى
عبد الرازق ثم الاجيال التالية من اتباع الماركسية والشعوبية .

الفصل الثالث

المنار : الى سقوط الخلافة الاسلامية

في هذه المرحلة واصل المنار عمله وان كانت الحرب العالمية قد اثرت في حجه وفي انقطاع موارده المالية ولكن عزم السيد رشيد رضا وتصميمه كان فائتافاته تحمل ذلك في قوة ومضى الى اداء رسالته في عزم شديد وعنى بأحوال المسلمين خلال الحرب وحاول بعد الهدنة معالجة آثارها على مصر وعلى البلاد الاسلامية وأفاد من رفع الحظر على الصحافة وتخفيف الرقابة فعمد الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاستعمارية التي لم يكن قادرا على كشفها في وقتها وقد مضى يواجه الاتحاديين ومن بعدهم الكماليين حتى سقطت الخلافة الاسلامية وقامت بعدها دعوات خطيرة الى التغريب في البلاد العربية وفي العالم الاسلامي وكان من أكبر ما أهله قضيتي : البهائية والقاديانية في هذه المرحلة .

م ١٨ (١٣٣٢ هـ - ١٩١٥ م)

يوصل السيد رشيد رضا نشاطه في دعم الدعوة الاسلامية والاصلاح الاسلامي الديني والاجتماعي بابتعاث المفهوم الاسلامي الصحيح : مفهوم اهل السنة والجماعة ، وقد توسع في هذا الاتجاه فقدم أبحاث الشوكاني : وتحقيقه مسألة القياس ، ودرس انظاهرية وأصول الفقه عندهم وابن القيم وتحقيقه مسألة القياس والرأى وما أمتاز به على أستاذه ابن نيمية ، وقدم ابن حزم (مجدد القرن الخامس) في المحلى ، وابن حجر العسقلاني وخدمته للسنة ، كما قدم الفخر الرازي وضعفه في الحديث والنصاحة ، وقدم ترجمة أبو هريرة ، كما قدم ترجمة أبو الحسن : منذر بن سعيد البلوطي ، والشاطبي وما حرره في مسألة المصالح ودراسة الامام الشافعي وتناول ترجمة عمر بن عبد العزيز واجتهاد عمر بن الخطاب وقصة سليمان الحلبي وقصة الامام مالك ، ومذهبه في التزام النصوص ، كما تناول الاسرائيليات وخرافاتهما ، وتناول مفاهيم الاسلام ازاء الربا والفتح الاسلامي وسر أحكامه العسكرية ، ومن ناحية أخرى تناول كتب النصارى وقدم نقدا لها وتنزيه عيسى لربه وتنزيهه لنفسه وعرض لاختلاف الفرق وتناول الجهمية وتعطيلها

للنصائت ، كما تحدث عن وحدة الوجود وأخطائها واليهود وما نزل بشأنهم في سورة المائدة .

● ومن ناحية أخرى تحدث عن رجال العصر : محمد عبده وجملة آراء له في العلم والدين ، ولقائه مع سبشير وتجاوزهما ، كما تحدث عن تاريخ علامة الاسلام في الهند الشيخ شبلى النعماني وعرض لآراء أحمد كمال بك عن اللغة العربية واسماعيل عاصم وجمال الدين القاسمي وعبد الفتاح عباده ومحمد توفيق صدقي ، كما قدم أبحاثا عن القلقشندي والجرجاني والفتح بن خاقان . وتعد قضايا اللغة العربية والجروف العربية اهم مواد هذا العام حيث تناول الحديث حروف الهجاء العربية والخط الكوفي وخط التعليق الديواني . وعن كون اللغة العربية أقدم اللغات وعن الهيلوغرافية العربية الأصل . كما تحدث عن المدينتان المصرية والبابلية وكيف أنهما عريبتان . وقدم كتاب على أبو الفتوح عن الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، كما قدم عرضا لكتاب الخراج لأبي يوسف ونشر صفحات مطولة عن احياء الكتب الاسلامية القديمة ، أمثال المحلى لابن حزم ومدارج السالكين لابن القيم وصبح الأعشى في كتابه الانشأ للقلقشندي والاحكام في اصول الاحكام للأمدى والطراز في اسرار البلاغة ليحيى بن حجي والخصائص لابن جنى والاعتصام للشاطبي .

كما تحدث عن المجتمع والمرأة وقرضى الآداب بمصر كما عرض فصولا عن رحلته الى الهند لرئاسة مؤتمر ندوة العلماء في لكهنؤ .

ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : شبلى النعماني ، أحمد كمال ، اسماعيل عاصم ، جمال الدين القاسمي ، عبد الفتاح عباده ، محمد توفيق صدقي ، على أبو الفتوح ، محمد عبده وسبشير .

وقد تضمن المنار اشارات الى جعل مصر سلطنة تحت حماية بريطانيا (١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤) بعد دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا وانضمام عباس حلمي الخديو الى أعداء بريطانيا منذ أول نشوب الحرب مع ألمانيا واعلان الحماية البريطانية على البلاد تحت يد أمير من أمراء العائلة الخديوية (السلطان حسين كامل) وفي افتتاحية المنار قال السيد رشيد :

يا أيها الناس لا خير في الحضارة المدنية إذا أقيمت على قواعد الاثرة والقوة المادية ولا خير في العلوم ولا في العمران إذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأنه بعبارة رعوف رحيم وأنه أرحم الراحمين

ان الانسداد كل الانسداد أن تحتكر الشعوب العلم وتجعله ذريعة لبغى بعضها على بعض واستغلال الشعوب الضعيفة فى الأرض وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم .

يا أيها المفررون بالعلم والقوة ، قد عرفتتم القوى المادية لا تنسو القوى المعنوية ، ولا تنكروا سنن العدالة الالهية ، اتطالبون بركم بما وعد المؤمنين ولا تطالبون أنفسكم بما غرضه وما شرطه على المؤمنين ، انما الخلافة فى الأرض بالصلاح والاصلاح ، انما يعتذر بالقدر من يبرىء نفسه ويتهم ربه .

اننا نحن سنمى هذا العصر لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ولا خلافة فى شىء من الأرض لا بحسب سنته فى خلقه ولا بمقتضى وعده فى كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي فتلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وان الله تعالى ليبلو عباده بالحسنات كما يبلوهم بالسيئات ليبلوهم أيهم أحسن عملا ، فتكون أحسن جزاء وخير أهلا » .

وفى كل مرة يعاود السيد رشيد رضا دعوة القراء الى انتقاد المنار ويذكر القراء كل عام بما يجب من الانتقاد الذى هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمساعدة فى الدعوة الى الخير وبث النصيحة ونشر العلم .

كما يدعو الى اعادة الفكر الاسلامى الى الاصاله بالارتباط بمفهوم الكلمات والمصطلحات وفق السنة النبوية وعلى نفس الأساس الذى أقامه الرسول وخذلان المصطلحات الصوفية الضالة والمنحرفة .

المجلد التاسع عشر (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م)

في هذا المجلد بدأت جولة جديدة لصاحب المنار مع الشريف حسين ، الذى تولى إمارة مكة ، كما تحدث عن الاتحاديين ، واتفاقهم السرى مع المائيسا وتعريضهم الدولة للخراب ، وعن استقلالهم عن الدين وتركهم الحروف العربية وعن جامعتهم الطورانية وعن جبال بائسا السفاك والجنسية التركية وفصلها عن الاسلام وعن الحركة الطورانية والدستور العثمانى وتقرير كيون هاهون فى الترك . كما عرض عن مرحلة من مراحل الخلاف بين الخديوى عباس والأستاذ الامام وصاحب المنار وسعى خواص الخديوى للتوفيق بينه وبين الامام وعرض موسع لاستقلال الشريف بالحجاز وما يتعلق بالمشانق التى علقها الاتحاديون لأحرار العرب فى سوريا ودراسة عن الزهراوى بمناسبة استشهاده ، وعرض لآراء الخواص فى استقلال الشريف فى الحجاز ومنشور شريف مكة وأميرها والحركة الطورانية الجديدة فى تركيا .

ولم يغفل صاحب المنار قضايا الدعوة الاسلامية فى معارضته للنصوفية المنحرفة وكشفه لشبهات المبشرين وما يتصل بشبلى شميل وأهل الكتاب .

كما عرض لمناظرة جبال الدين وحسين الجبر ، وعرض لجوانب من آراء ابن تيميه وابن الجوزى وابن القيم وأبى حنيفة والبخارى ومسلم وابن جبير الاندلسى والألوسى المفسر .

كما عرض لكتب : تاريخ سينا القديم والحديث ، وتصحيح كتاب الأغانى وتصحيح لسان العرب وكتاب جزيرة العرب منذ فجر التاريخ ، كما عرف بكتابتى منازل السائرين ومدارج السائلين لابن القيم والهروى فى الدعوة الى تحرير التصوف .

وعرض للمجمع اللغوى المأمول ، والكتب المعزوة الى غير مصنفىها . كما أشار الى دعوة مرجليوت المستشرق اليهودى فى لندن بالاشتراك من أحمد زكى أبو شادى الى انشاء جمعية آداب اللغة العربية .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : عبد الحميد الزهراوى ، شبلى شميل ، حسين الجبر ، أنور باشا ، على يوسف .

وكتب السيد رشيد رضا فصلاً مطولاً عن دور المنار في حركة الإصلاح الإسلامي فهاجم « الملاحدة المتفرنجون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » وقال إن حجبتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمرء والحاكمين وذهمهم بعصبية الدين وإن لهؤلاء الملاحدة لقوة على غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يفترون بها وإن منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها وإن للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فإذا قذف عليه دفعه ، وإن بقاء الباطل لآلى زوال (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) .

ويقول : ولقد كان ملاحدة قطرنا أجبن ملاحدة المسلمين وأخونهم من اظهار الكفر على كونهم أجراًهم على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ منهم منذ سنين أفراد على التصريح به ، أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم إلى الإلحاد والطعن في عقائد الدين وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسائس وتوجيه العناية فيها إلى نايبة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للتقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه وإن لهم لأنصاراً في القصور والدواوين وفي المدارس وأكثر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ما كانوا به أقتلام من تصدى لأحباط بعض دسائسهم من أهل الحق وإنهم ليختلبون لباب المختلبين من الشباب والشابات بما ينمقون من زخرف الشبهات (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) الآية . ولهذا فقد وجب على أهل الإصلاح أخذ الأهبّة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد فإن أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون .

(أنا لننصرن رسلنا) و (ولننصرن الله من ينصره) .

إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الإسلام بالسنتهم ، ثم لا يعدمون هناك أولياء وأنصار لهم لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال .

ويقال إن لجمعية الإلحاد الجديدة ركناً في الأزهر ركينا وإنهم بذلك

أوشكوا أن يحدثوا فيه حدثا مبينا ، ولكنهم لم يصيخوا منه الا خذلانا ونشلا مهينا .

قال أحدهم مفاكها للأستاذ الامام وهو في مرض موته : ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الأمة اشد الضرر ، قال الأستاذ : لماذا ؟ قال : لانها ابانت للناس ان الدين موافق للعلم والعلم ركن من اركان المدنية فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا ، ومنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن ، ومنهم من يبغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدماء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن حجته بتفصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته ، ومنهم من ينفر عما حرمه من آدابه الروحية والاجتماعية .

وبعد أن فرخنا بنصر الله لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين توالد من افراد من اغرار الشبان وكهول المنافقين فاذا ترك هؤلاء وشأنهم وسكت لهم اهل الحق عما ينفثون من سموم اباطيلهم تعظم جراتهم وتنتشر دعوتهم وتكبر فتنتهم ، وليس الاستظهار عليهم بالامر العسير فان حجبتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة .

ان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين والنشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالفرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوروبا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطعن في النصرانية ، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون والصناعات المدنية وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى قضاء الحرية .

المجلد العشرون (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م)

دخل المنار عامه العشرين داعيا الى : الاعتصام بحبل الله المتين والاهتداء بنوره المبين والاستمسك بسنة رسوله الامين والسير على نهج السلف الصالحين ناهيا عن الاحداث والبدع وتقليد الأحزاب والشيع ، مبينا ان الخير كل الخير في اتباع من سلف وان الشر كل الشر في ابتداء من خلف لان الله تعالى قد اكمل الدين فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه

كالنقص منه خزي وضلال . ونحى المنار باللائمة على «فقدان الاستقلال في الفهم والعلم والحكم وتقليد الآباء والأشياخ المتأخرين في جميع أمور الدنيا والدين ، وأشار الى جماعة المقلدين الذين فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع فقد ساروا بحسب الظاهر على الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهى كون علوم المتأخرين وفنونهم أجدر بالثقة والاعتبار ، مع أن سنة الله في التدرج والارتقاء على أنهم يعتقدون بحق أن متقدمى هذه الأمة خير من متأخريها في جميع العلوم والأعمال وأن الخلف لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ما هو من كسب الناس » ويقول « اننا ندعو الى عقيدة السلف ونحن بها مؤمنون ونرشد من بلغته الدعوة الى سيرتهم الدينية ونحن على طريقها ان شاء الله مستقيمون » .

ومن أبرز أعمال هذا العام انشاء المجمع اللغوى المصرى من مجموعة من اعلام العصر : سليم البشرى ، محمد بخيت ، أحمد لطفى السيد ، محمد الببلاوى ، أحمد ابراهيم ، أحمد السكندرى ، أحمد برادة ، أحمد تيمور ، أحمد زكى ، أحمد سليمان . أحمد على ، أحمد كمال ، اسماعيل رأفت ، حنفى ناصف ، عبد الحميد فتحى ، عبد الحميد مصطفى ، عبد الرحمن قراعة ، عثمان فهمى ، فارس نمر ، محمد أمين واصف ، محمد رشيد رضا ، محمد شريف سليم ، محمد عاطف بركات ، مصطفى العناتى ، يعقوب صروف . وقد انشأ المجمع عديدا من اللجان ، منها : لجنة الجغرافيا والآثار والتاريخ ، ولجنة الطب والعلوم الطبيعية (عدا النبات) ، ولجنة المنطق والفلسفة والعلوم الاجتماعية ، ولجنة الفقه والقانون ، ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة ، ولجنة اصطلاحات الدواوين . وقد أعلن أن المجمع سيمثل على وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات يستبدل بالكلمة العامية او الأعجمية التى لم تعرف من قبل ، غيرها من الالفاظ العربية الموضوعة للدلالة على معناها ، فاذا لم يهتد ، أقر الكلمة العامية او عرب الكلمة الأعجمية » .

وقد كان جل اهتمام المنار في هذا العام بحديث نهاية الحرب العالمية والصلح وقيام الدولة العربية وبروز الصهيونية في فلسطين .

المجلد الحادى والعشرون (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م)

حفل المجلد الحادى والعشرين من المنار بأبحاث فى جميع المجالات التى طرقها منذ نشأته واستكتب عددا من الاعلام أمثال : عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الراعى ، عبده ابراهيم الطبيب ، محمد توفيق صدقى ، أحمد صفوت .

وان ظل القدر الأكبر من انشاء المنار لصاحبه السيد رشيد رضا ، كما عرض لاعلام المسلمين البارزين فى هذا العصر أمثال : السلطان محمد وحيد الدين ، وعبد الحميد الزهراوى ، والشريف حسين أمير مكة ، والأمير فيصل ، وجننى ناصف .

ومن أبرز أحداث العام : ظهور البلشفية فى روسيا والتقابل بين ابن سعود أمير نجد وشريف مكة وظفر الأول ، وتناول المنار قضايا الدعوة الاسلامية فتحدث عن الجبرية وشبهاتهم وعن الجعد بن درهم أول المبتدعة وجهم بن صفوان ونقل شيئا وافيا عن الأشعرى ومناظرته للجبائى وعن علالة الأشعرى بالمعتزلة ثم خروجه عليهم ، وتحدث عن علم الكلام وابتداعه وذهبه ، وتحدث عن انتشار الاسلام فى مطالعه بسرعة ثم يعهد لها مثيل فى التاريخ .

كما تحدث عن قضايا المتفرنجين والاصلاح الاسلامى ، وأبوة آدم للبشر ومذهب دارون ونقل تقرير مشيخة الأزهر عن التعليم الأولى ، وعرض اتفاق عام ١٩١٦ على بلاد العرب ، كما عرض قضايا سوريا الكبرى ، كما تحدث عن مذهب الوهابية وعقيدتهم .

وقد استهل المجلد بمقدمة استعرض فيها أحداث السنوات الأربع الأخيرة مثل عرش قياصرة الروس القاهرين وأبعد القيصر وأهل بيته ، وتمزقت كبرى سلطانات امبراطوريات الأرض التى تصنع جمهوريات يسلك بعضها دماء بعض ، مثل عرش السلطة النمساوية وتمزقت الى عدة حكومات جمهورية وتدهور عن عرش أعز عاهل على وجه هذه الأرض بعد أن كاد يقضى على أكثر أمم الشرق مع الغرب ، وهو النافذ الحكم والارادة فى أوسع أمم الأرض علما وأدقهم نظاما فكان سقوطه كسلك انتقطع فتناثرت الفرائد اذ سقط ملوك الجرمان وأمرؤهم واحد بعد واحد وتقلص ظل الترك عن بلاد العرب

والأمرن والأكراد التى سفك طغاتهم الاتحاديون فيها الدماء واكثروا فيها الفساد .

وقد ردّد السيد رشيد رضا مبادئ المنار وهى :

١ — احياء مفاهيم السنة ومراجعة كتابات العلماء السابقة : (علم الكلام والأشعرى وغيره واعادة النظر فيها والاعتزال وغيره على نحو متحرر من التقليد ومفاهيم الصوفية المفرقة فى التقليد واعادة مفاهيم الأشعرى وابن تيمية وابن القيم) .

٢ — الرد على الجبرية والقدرية بسنن الله وآياته ، والرد على المتكلمين .

● ترجم صاحب المنار فى هذا المجلد لـ : حنفى ناصف ، الزهراوى ، الشريف حسين ، عبد الرازق البيطار ، عبد الغنى الرافعى ، عبده ابراهيم ، الألويسى .

المجلد الثانى والعشرون (١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م)

ما تزال القضية الكبرى التى يعالجها السيد رشيد رضا والتى حقق فيها نتائج واسعة المدى هى قضية مذهب أهل السنة والجماعة وتحرير الفكر الإسلامى من جمود المتصوفة وانحرافات الباطنية مع الحملة الكاشفة عن أخطاء التفريبيين والذى يطلق عليهم اسم المفرنجون .

وفى هذا المجلد حديث واسع عن الباطنية وكيدهم للإسلام والعرب ، والربط بين الباطنية والبراهمة والصوفية ، وانقسام المسلمين الى ٧٣ طبة ، والفرقة الناجية أتباع (السلف) ومنها الامام أحمد ورده على الزنادقة ، وأهل البدع واختلافهم ومطاعنهم ، وحديث عن الامام زيد وأتباعه ، وحديث عن القرآن وبراعته من الالفاظ الأعجمية ، والحديث عن الرازى وسعة اطلاعه وكثرة خطاه ، وحديث عن البخارى ومكانة صحيحه ، وتاريخ السنة ومعناه وأدواره ، وحديث عن كتب السنة ، مسلم والترمذى ، وحديث عن الشيعة وجسر الإسلام فى الإمامة منهم ودسائس اليهود والمجوس ، وحديث عن ماتم عاشوراء وانتحام الشيعة النار فيه ، وحديث عن عبد الله ابن سبأ والوثنية وانتقالها للعرب وأهل الكتاب والمسلمين ، وعمرو بن لحي الخزاعى أول من غير دين اسماعيل ووضع الأصنام فى الكعبة ، وحديث عن المجوس وكيدهم للإسلام ، وكيد اليهود فالمجوس فالافرنج للمسلمين ، وحديث عن موقف النصارى من الإسلام ، وحديث عن أن الفينيقيون غريب

والكنعانيون عرب والاراميون من العرب ، وحديث عن حقيقة التصوف ومكانته من الشريعة ، هذا بالإضافة الى احاديثه عن الأزهر والاصلاح الاسلامى .

ومن ناحية أخرى عرض المنار تاريخ هذه الفترة وأمر السياسة والحكم والدولة العثمانية فيها فتحدث عن الاتحاديين حكام تركيا وافسادهم فى الدول ويبيعهم البلاد العربية للفرنج واتفاق عام ١٩١٦ على البلاد العربية ، واستعمار الغرب للشرقيين بعد الحرب ، وانكلترا واتفاقها مع فرنسا على اقتسام البلاد العربية ، واستخدامها شريف مكة وأولاده ، وحديث عن الدولة العثمانية وغرور المسلمين بها واتكالمهم عليها وظهور الحياة فيها بعد الاحتضار، وحديث عن شريف مكة وأبائوه الاتفاق مع أمراء العرب واتفاقه مع انكلترا ودخوله الحرب معها وعداوته للترك . وحديث عن مصطفى كمال باشا منقذ الترك وزعامته لجيش الأناضول .

هناك فصل مطول عن المسألة العربية وفصل عن المسألة المصرية وسعد زغلول .

● ترجم صاحب المنار فى هذا العدد لـ : أحمد كمال باشا الأثرى ، طاهر الجزائرى ، سعد زغلول ، الشيخ بخيت .

وقد استفتح المجلد الثانى والعشرين فقال :

انذرننا اكابر السياسة فى مثل هذه الفاتحة منذ عامين ان ترك تنفيذ قواعد العدل وحرية الأمم لابد لها من احدى العاقبتين : « ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وانقلاب بلشفى شره مستطير أو تعود العرب جذعة بهذه السياسة الخدعة الخباة الظلمة (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر واتبع المنزور أهواءهم وكل أمر مستقر فهذه الأرض تضطرم نيران الفتن والفساد والانقلاب البلشفى كل يوم فى ازدياد ، ان الناس لن يكونوا أمة واحدة ولن تخضع الأمم منهم لامة واحدة ويا ايها الراسماليون والطامعون ان طلب الزيادة ينتهى بالوقوع فى النقصان وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبدا خادما لأفراد من الاعيان وان سنة رد الفعل سيكون لها القول الفصل والحكم العدل . وانت ايتها الأمة الامية التى عاودها الارتكاس فى عصبية الجاهلية الى متى هذا التشرق والانتقام بعد فلك التسعادة والوحدة والاعتصام وحتى متى تلدغن من الجحش

الواحد مرارا عديدة وقد حذرت في المراتين وسمعت النذر بالاذنين ورايت العبرة بالعينين ان كان لهم منك اى ولى وظهر ورايت في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فيقوم انى لكم ناصح امين على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ان لا تعبدوا الا الله ولا تياسوا من روح الله (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله) فقاتلوا اولياء الشيطان بها امركم به الرحمن من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن .

وما لا اخصه بالذكر لقوم وعشيرتى بما يشد امر الجماعة ويضع عنها امرها ويحكم اواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها (ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ، استدار الزمان ووقع من التطور الاجتماعى ما لم يكن في الحسبان وسيترك ما بقى من صروح الاستبداد وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد وبفضل انتصاف والتظاهر والاتحاد . انما الذل والهوان على اهل النفاق والدهان والمتفرقين في المذاهب والاديان المخدوعين بكلمة العدل والمدنية والمساواة والحرية ، انما المعاهدات حجة الاتواء على الضعفاء .

هذا هو الطريق الذى بداه جمال الدين ومحمد عبده

م ٢٣ (١٣٤٠ - ١٩٢٢)

ارهاصات الاحداث واضحة في المجلد . فهذا كتاب عن الخلافة الاسلامية للعلامة ابو الكلام ازاد ترجمة عبد الرازق المليح ابادى ، وقد جاء على اثر ذلك ان وقع الانقلاب التركى الجديد (نوفمبر ١٩٢٢) باسقاط الدولة العثمانية وتأسيس دولة تركية وجعل سلطة الخلافة العثمانية روحية بحرمان الخليفة من السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بقاعدة الديمقراطية الغربية .

وبدا اثر ذلك واضحا في مصر والبلاد العربية وحديث عن مؤتمر لوزان وفي نفس الوقت احاديث عن البهائية بعد موت زعيمهم عباس البهاء وعن القاديانية التى اسمها (المسيحية الهندية) وحديث عن مجوسية الفرس وعن السياسة وتاريخها باعتبارها الضربة الاولى التى ضرب بها الاسلام وحديث عن مدينة القوانين التى اثارها محمود عزمى والسسمى

لإلغاء الأحكام الشرعية وما يتصل بذلك من إنشاء جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها برئاسة الشيخ على عبد الرازق وأحاديث أخرى عن كوارث سوريا في سنوات الحرب وما فعله جمال باشا في سوريا للأمر شكيب أرسلان ، والاحتفال بذكرى الإمام محمد عبده وفتوى شيخ الإسلام بان الكمالين بغايا يجب قتالهم ، كما أورد الأحكام الشرعية المتعلقة بالخلافة الإسلامية .

وفي افتتاحية المجلد الثالث والعشرين حديث العام : ذهب طور الترف والفسوق المهلك للأمم والفسد للحكومات والدول وصرنا الى طور الشدائد المجهضة للقلوب المدمرة لمصابيح العقول الموحدة لنار الهمم المظهرة لاستعداد الأمم بآزالة الاحتاد وجمع الكلمة على الجهاد . ويقول : جرينا على منهج الامامين الحكيمين في الدعوة الى الوحدة وجمع كلمة الأمة بالتذكير بآيات الله المنزلة في القرآن وما هدى اليه من سنة المطردة في أطوار الانسان .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد : سعيد حليم .

الفصل الرابع

المنار : الى وفاة الشيخ رشيد

هذه المرحلة الأخيرة من حياة المنار كانت خصبة حافلة ، فقد وقف السيد رشيد ازاء تحركات التفریب والفزو الثقافي الذي قادہ على عبد الرازق ومحمود عزى وطه حسين موقفا حاسما وكشف زيف هذه المخططات ومضى في طريقه في الدعوة الى الله ومواجهة مخططات الاستعمار في مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، معارضا لجوانب الضعف والانحراف في الحضارة الغربية داعيا المسلمين والعرب الى منهج اسلامى اصيل رالى بناء المجتمع الربائى الأمل .



م ٢٤ (١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م)

لا ريب أن أضخم الأحداث التى اهتم بها المنار في هذا العام هو الخلافة الاسلامية فقد قدمت دراسة واسعة عن حقيقة الخلافة ومفهومها في الاسلام كما قدمت كتابا صدر في انقرة ضد الخلافة لعله هو أحد الكتب التى اهتمدى بها الشيخ على عبد الرازق في كتابه كما اثنى على فتاوى مصطفى كمال الدينية .

(ثانيا) أولى اهتماما بالغا لأحداث العالم الاسلامى ،

فاشار الى النهضة الأفغانية ومؤتمر لوزان كما تحدث عن الجامعة الاسلامية والجامعة الجنسية ووجوه التعارض بينهما وأشار الى ثورة الهند السياسية وانتصارها للخلافة والدولة العثمانية والخطاب الذى القاه امام المحكمة الشيخ أبو الكلام آزاد .

كما اثار الى حركة الأمير عبد الكريم الخطابى في المغرب والاستفتاء مع ملك الحجاز .

(ثالثا) أولى اهتمامه للوهابية وحققتها ومنشأ الطعن فيها ، كما

كشف زيوف « المسحة الاسلامية القاديانية » الملقبة بالاحمدية ، وتناول بالمعرض برنامج تعبير المحمديين وبرنامج كيدهم للاسلام .

(رابعا) عرض للتراث الاسلامى المنبعث واولى اهتمامه بمجموع الامام زيد المسمى بالمجموع الفقهى ، كما نشر صفحات مشرقة للأمير شكيب ارسلان عن انتداب العرب فى سويسرة فى القرون الوسطى كما تحدث عن مؤلفات ابن تيمية وابن القيم والشوكانى .

(خامسا) قدم عرضا لذكرى رينان فى الجامعة ورد على محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى رينان والاغنائى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الرابع والعشرين بتذكير قراء المنار بعبارة شئون الاجتماع والعمران وتنازع عوائل الصلاح والفساد فى الانسان وما يناسب ذلك من هداية القرآن : حجة الله بالالفه بما فيها من آيات العلم والبيان المناسبة لكل زمان ومكان ، ذلك لان « المنار » انما انشأ لابقاظ الشرق وتمدين الاسلام باعادة تكوين الامة وحياة الملة والدولة لفروع الفقه واصول العلم لا لجديليات المذاهب الدينية ولا تايد العصبيات الجنسية ولا لنشر ما يتجدد من قضايا العلوم ونظريات الفلسفة او مخترعات الفنون وعجائب الصناعة ، ولا لقصص التاريخ ونوادر الفكاهات ولا لجوانب الحوادث واخاذيع السياسة ، بل كل ما يذكر فيه مما يدخل من هذه الأبواب فانما يولى وجهه شطر ذلك الحراب لان الامة اذا احييت ، اهيئت من العلوم ما كان ميتا ، وانشرت من الفنون ما كان رميما ، واذا ماتت اماتت معها ما كان حيا ، ودرست ما كان مدروسا مرديا .

واستطرد يقول : ومن آياته الماثلة امام الناظرين فضيحة هذه المدنية المادية التى فتنت أوروبا بها المسلمين فقد ظهر لهم ما كان خفيا من فسادها وذهب بهيبتها ما كان من الفطائع فى حربها ومن آياته أن شتل عرش دولها المهورة وزلزل اركان دولها المنصورة ، وضعف ثرواتها وأوقع الاضطراب فى معيشتها ، ومن آياته أن اذل جبروت اعظم دولة قاهرة .

ويقول : لقد كان لنا جامعتان ساعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلبننا بالتفرق والاختلاف فيهما ، جامعة علمية روحية وهى كتاب الله وما فيه من سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية هى الامامة العظمى وما بينها من سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى

ومنفذة لها ، وأن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن . ثم تفرقتا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعل الملة الواحدة مللا وتفرقتا في الإمامة بالعصبيات فصارت الأمة أمة والدولة دولا ، ثم عرضنا عن كل من الجامعتين كليتهما وبطل الاقتداء بالامامين مع احترام اسميهما أو كلمتيهما فتجسدت بعضنا على ظواهر بعض الكتب التقليدية ومن تعصب بالقوانين والنظم الأوربية وروابط شعوبها الجنسية والوطنية .

يقول انه في العدد الأول من المنار كتب في بيان حق الامام على الأمة وحقوق الأمة على الامام فلما قرأتها على الشيخ محمد عبده أشار الى (ترميج) هذه الكلمة منها وقال ان المسلمين لم يبق لهم امام الا القرآن وأن البحث في الخلافة وما يجب على السلطان فتنة للناس ، وأشار الى فساد الأمراء وخروج الخلافة عن الأساس الذي أقامه عليها الاسلام في عهد الراشدين ، وقال : الا أن إقامة الامام هي التي تحيي هذه الأمة ولكن أمرها لا يزال غمة ليس وراءها غمة ، وأنها لترهق محاولها صعودا ، وتتحم به كؤودا وتجشمه مئالا بعيدا ، وان أسعد الناس بها لأزهدهم فيها ، وان أطعمهم فيها لأعجزهم عنها وان أقربهم منها لأبعدهم عنها .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : أحمد كمال باشا ، الأمير عبد الكريم الخطابي .

المجلد ٢٥ (١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م)

تعد القضايا السياسية للعالم الاسلامي هي أبرز الجوانب التي يوليها المنار اهتمامه وهذا المجلد حافل بقضايا سياسية اسلامية كثيرة :

أولا : ملف كامل عن الشريف حسين وموقفه من بريطانيا وفلسطين وزيارة ملك الحجاز لشرق الأردن ، ورسائله الى الأمة البريطانية وفساد حكم الشريف حسين في مكة المكرمة .

ثانيا : المسألة المصرية بعد تأليف الوفد المصري ووزارة سعد .

ثالثا : الاتفاق بين الأمير فيصل والدولة الفرنسية على الانتداب على سوريا .

رابعا : تركيا الكمالية والانتداب الديني والسياسي في الجمهورية

التركية والفناء الخلافة (عبد العزيز جاویش — محمد شاکر — أمين الرافعی) وموقف العالم الاسلامی من الجمهورية التركية .

خامسا : الخلافة ومؤتمر القاهرة ، والمسألة العربية في طور جديد بين ملك الحجاز وسلطان نجد ، وزحف النجديين على الحجاز (الوهابيين) وقضية الامر الخطابي والريف والمغرب .

ومن ناحية أخرى تجرى الأبحاث والدراسات :

- ١ — التفسير والفتاوى .
- ٢ — دراسات عن التراث (كتاب أساس البلاغة للزمخشري في طبعة جديدة لدار الكتب المصرية) .
- ٣ — قضايا المجتمع الاسلامی :
- (١) تزويج المسلم لغير المسلم ومسألة تحديد الزواج بقانون وتحديد سن الزواج بتشريع قانونی .
- (ب) تحريم المسلمات على غير المسلمين .
- ٤ — الرد على الشبهات وخاصة فيما يتعلق بوحدة الوجود وابطالها بقلم الامام ابن تيميه وبحوث عن الامامة والباطنية والجمعيات السرية .
- ٥ — قضايا التبشير والاغراء بين التصدي والمسلمين ، ودعوة المسلمين الى النصرانية .
- ٦ — الأزهر ماضيه وحاضره ومستقبله .
- ٧ — ترجمة القرآن وتحريف الترجمة والتشكيك فيه في تركيا .
- ٨ — وفيات الأعيان : الشيخ محمد المهدي — السيد محمود شكرى الألوسى ، الشيخ سالم أبو حاجب .

ويقول السيد رشيد رضا في الافتتاحية : ان المنار لم يكن يبلغ سن الشباب (الخامسة والعشرون) الا وكان منشته قد شاخ وشاب ونجد الله ان كان وقع الشوائب التى شيبت الرأس ولم تشيب العزم والياس ولم تشب الهمة بشائبة من اليأس ، فقد ثبت المنار على دعوته التى وضعناها في أول نشأته .

ويقول : سنتقضى بالرد على الملاحدة ومحاولة هدم الاسلام باسم الاسلام من البهائية والاحمدية المسيحية القاديانية فقد قويت دعوتهم في مصر ويؤيدهم بعض الكتاب في الجرائد والمجلات الشهورة .

المجلد ٢٦ (١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م)

كانت القضايا الشاغلة للسيد رشيد رضا خلال العام هي كبريات الأحداث في العالم الاسلامى وأبرز الأحداث ظهور كتاب على عبد الرازق (الاسلام وأصول الحكم) ينكر فيه كون الاسلام دين تشريع وامامة وحكومة وقضاء ويبيح للمسلمين ان ينتحلوا أى حكم وقانون ويتبعوا أى حكومة من الحكومات ، وقد قدم تفاصيل وافية عن أهم منكرات الكتاب كما تناول الموضوعات الآتية :

- ١ — ابن السعود واستيلاؤه على جميع الحجاز والوهابيون والافتراء عليهم .
- ٢ — أوروبا والاسلام والخلافة ومؤتمر الخلافة والاسلام في أوروبا فهمه وانتشاره .
- ٣ — سوريا وثورتها على فرنسا وموقف نصارى الشرق من المستعمرين .
- ٤ — حرب الريف التى يقودها الأمير عبد الكريم الخطابى .
- ٥ — الدولة التركية في تطورها التفريسى ، وجمعية الاتحاد والترقى .
- ٦ — الأزهر وقضايا التربية والتعليم بعامه .
- ٧ — حملات التبشير النصرانية على الاسلام وبشارات التوراة والانجيل وعرضها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعرض للمدارس التبشيرية وملاحدة المتفرنجين من العرب .
- ٨ — أسبانيا والعرب في الأندلس : صفحة عن آخر عهد المسلمين بها واكراه الاسبانين على النصرانية وعامة العرب واواخر العهد بتسليم غرناطة .
- ٩ — عرض لقضايا التغريب والغزو الثقافى ، عند ترجمة القرآن وكيف تجعله أعجميا ولبس البرنيطة كما تحدث عن أخطاء الصوفية (الرفاعية والباطنية والشعرانى وخرافاته) كما هاجم ابن عربى وابن الفارض والجعد بن درهم والشيرازى الصوفى والصدر الروبى .

وهديث عن كعب الأحبار ووهب بن منبه كما أورد مناقرة ابن تيمية

مع البطائحية الرفاعية .

كما أورد المنار عشرات من الأحاديث عن ومع الشخصيات الإسلامية

البارزة :

الشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر وأحمد شوقي والأستاذ الإمام والأمير

شكيب أرسلان وجبال الدين الأفغانى وسعد زغلول ورحمة الله الهندي

ورفيق العظم وعفاد سليم والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كما قدم عددا من الكتب الإسلامية الهامة التى ظهرت على مدار

السنة :

إيقاظ الغرب للإسلام للورد هدلى ، تقرير الدكتور فخرى عن البقاء

وحاضر للعالم الإسلامى وحواشيه التى كتبها الأمير شكيب أرسلان وخلاصة

تاريخ الأندلس وكتاب الخلافة الإسلامية ، كما قدم لكتب التراث : المفى

والمحلى (ابن حزم) وأسرار البلاغة (الجرجاني) .

وقد استهل فاتحة المجلد السادس والعشرين فقال :

إن أهم ما طرأ فى هذا العام أقدام الترك على نشر ترجمة القرآن

وتصدى حكومتهم الجمهورية لنشرها لأجل أن تحل محل القرآن العربى

الذى هو كلام الله تعالى ، فرأيت تحقيق الحق فى هذه المسألة فى نفسها

وبيان الباعث عليها ، مسألة الخلافة فى جميع وجوهها (فى المجلدين

٢٣ ، ٢٤) .

وتحدث عن توسع المطبعة وإدارتها بقوة الكهرباء .

ويقول : سيكون أكبر همة فى المجلد السابع والعشرين موجهة

إلى مجاهدة الملاحدة والاباحيين الذين نشطوا فى هذه الأيام فى تعميم دعوتهم

إلى هدم العقائد والتجربة على الفواحش والزائل وتقطيع الروابط المالية

والقومية وأعداد الأمة لقبول السيطرة الأجنبية وجميع الفتن الماحية حتى

أبليسغية وإلى جهاذة البدع والخرافات القديمة التى يئشها أهل الطرق

التي تسمى صوفية وما ولدته من البدع الحديثة كالمسيحية القاديانية ،

وكل هذا من قبيل الهدم ثم إلى تأييد دعوة الإصلاح وتجديد أمر الإسلام

بالرجوع في عقائده وعباداته الى القرن الأول والاعتماد في قوته وعزته على فنون العصر الحاضر وهذا هو البناء المطلوب ولعله لا يتم الا في جزيرة العرب .

المجلد ٢٧ (١٣٢٤ هـ - ١٩٢٦ م)

الموضوعات الثلاث الكبرى التي ما تزال تشغل المنابر في مجال السياسة الاسلامية :

— الدولة التركية وموقفها من العرب والاسلام — حكم آل سعود لجزيرة العرب وموقف الشريف حسين وأولاده — دعاة الاتحاد في مصر وقضية كتاب الشيخ على عبد الرازق التي لم تنته وظهور قضية الشعر الجاهلي لطله حسين .

كما نشر صفحات مطوية للامام الشيخ محمد عبده ، وتصدى للتحطتين :

١ — البابية والبهائية في بلاد العرب .

٢ — القاديانية في البلاد العربية .

٣ — فتنة ملاحة الترك في سوريا ومصر .

مع تحرير مفاهيم الوهابية والكشف عن اخطاء الباحثين بالنسبة لكعب الاحبار ووهب بن فينة ومذهب دارون وبطلانه والتوفيق بين الدين والعلم .
كما اورد بحثا حول ابن خلدون وعلم الاجتماع ، واحكام السفر والاقامة لابن تيمه وفتاوى حول صندوق التوفير في البريد ، وقضايا المجتمع : المرأة والحجاب ومحاربة البغاء .

كما عرض للمؤلفات الحديثة : كتاب مرآة الحرمين ، ونهاية الرب ، وكتابي الخضر حسين وبخيت الطيمى في الرد على كتاب الاسلام واصول الحكم لعلى عبد الرازق ، والموجز في علم الاجتماع ، ودروس في التاريخ الاسلامي ، ورجال المعلقات العشر وبلوغ العرب في احوال العرب ومن أهم الكتب التي صدرت في الرد على كتاب طلّ حسين كتاب مصطفى صادق الرافعي « اعجاز القرآن » .

وقد صدر السيد رشيد رضا هذا المجلد بحديث مستفيض عن احوال المسلمين فقال : بالأمس خسر الاسلام دولة كانت مبدأ الأجيال الوسطى

في تاريخه ، وأشد دولة بأسا ، وهى دولة آل عثمان ، وخلفتها دولة تركية
هى أشد دول الأرض عداوة له ، واليوم تجدد له دولة جديدة هى أرض
دولة لتجديد هدايته واعادة مجده ، اذا عرف سائر المسلمون كيف يؤيدونها
وينصرونها ويفيدونها ويعتدون منها هى الدولة العربية السعودية التى قامت
في مهد الاسلام .

ثم قال : فرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإكده أمره ،
ولعن تارك التناهى عن المنكرات التى يفعلها بعضهم في كتبه وعلى السنة
رسله ، لئلا يترك المعروف ويفشوا المنكر فيصير كالمعروف فيختل أمر
الفضائل :

« ومن رأى منكم منكرا فليغيره » (الحديث) .

ترك المسلمون تغيير المنكر بالفعل بضعف الخلافة وضيروتها لقب
تشریف ثم ترك انكاره بالقول لفشوه في الحكم المستبدین والزعماء الظالمين
وضعف الدين في جماعات المسلمين الا قليلا منهم كانوا يظهرون ضيقا
ويخفون أحيانا ولا يجدون لهم شوكة ولا سلطانا .

حتى ظهر في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة وأول ما بعده الإصلاح
الوهابي في نجد قام به عالم نجدى اسمه (محمد بن عبد الوهاب) يدعو
الى التوحيد الخالص : وهو عبادة الله تعالى وحده بما شرعه للناس
في كتابه وعلى لسان رسوله ، وقاومه الناس وآذوه كما آذوا من قبله
ومن بعده كل داع الى الحق والخير ويسخر الله من الزعماء الأقوياء من آزره
حتى تأيد القول بالفعل وانتشرت دعوته الإصلاحية بقوة سيوف البيت
السعودي في جزيرة العرب حتى استولوا على الحجاز وكادوا يجددون
للالسلام مجده وحضارته بمثل نهضته الأولى كما خرج بذلك كل من عرف
كنه حالهم من الشرقيين والغربيين لولا أن تصدت لهم الدولة العثمانية
فحاربتهم في جهة العراق والحجاز ولما عجزت عنهم استعانت عليهم بدولة
مصر الفتاة فحاربهم محمد على حتى أخرجهم من الحجاز ، ولم تكتف الدولة
التركية وأعوانها بهذه الحرب بل أثارت عليهم حربا شرا منها رأسا ،
وهى حرب الدعاية بالطعن في عقائدهم وأعمالهم وتسمية سنتهم بدعة ،
وخيرهم شرا وعرفهم نكرا .

وكتب المنزلقون في ذلك الكتب والرسائل الكثيرة وأودعوها من ثون
الكذب والبهتان ما لا يخطر الا في بال الشيطان .

والقى رجال السلطان عبد الحميد الأخير الشقاق والعداوة
بين آل سعود وآل الرشيد في نجد وما زالوا يمدون ابن الرشيد بالسلاح
والمال الى أن تمكن من اخراج آل سعود من نجد واستولى على الرياض
عاصمة امارتهم حتى كان ما كان من نهضة عبد العزيز بن عبد الرحمن
الفصيل المؤيد بنصر الله وتوفيته واستعادته لنجد ثم استيلائه على اماره
ابن الرشيد وعلى بلاد الاحساء وكل ما كان بيد الدول العثمانية من تلك البلاد
ثم على بلاد عسير ثم على المملكة الحجازية برمتها .

هذا هو الطور الجديد المرجو للاسلام ، وهذه هي الفرصة السانحة
لتجديد هديه واعادة مجده ، فهل يضيعها المسلمون كما أضاعوها أول مره .

وتحدث عن تضاعف الشكوى من انكار البدع والمحدثات التي شوهت
الاسلام في القرون الوسطى وتفاقت وطغى طوفانها في القرون الأخيرة
وتحدث عن بعض كتب التصوف المنحرفة فهاجمها وتحدث كيف تروج
في المسلمين الدعاية الظاهرة البطلان التي راجت منذ قرن ونصف بأكاذيب
أحمد زيني رحلان وامثاله عن الوهابيين والدعاية التي اذاعها الشريف
حسين وأولاده في الطعن في الوهابية ، وأشار الى « ملاحدة الأتراك »
الذين يصمون الاسلام لانه عربى ، وقد رأى بعضهم أن تكون صورة الذئب
الاعبر شعارا لهم لأن أجدادهم عبدوه وقصدوه في جاهليتهم الأولى وراينا
منهم من يفتخر بجنكيز خان وهولاكو خان أعداء البشر ومخربى العمران .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : الاديسى — شوكت على —
محمد على .

المجلد ٢٨ (١٢٤٥ هـ - ١٩٢٧ م)

حفل هذا المجلد من المنار بدراسات واسعة في مختلف المجالات
وكان أبرز اهتمامات المنار بروز الملكة العربية السعودية ، ومعاهدة جدة
بين ملك الحجاز ونجد وبين انجلترا .

كما تحدث عن علاقات العرب والانجليز فتحدث عن سياسة الانجليز
في الشرق وزعماء العرب ونشر محاضرة مستر كراين عن جزيرة العرب

كما أشار الى مشروع بريطاني لينصر جزيرة العرب وأشار الى العلاقات بين اليمن والحجاز .

وكشف عن بيان علاقة المنار بالوهابية والملك عبد العزيز ونشر فصولا من كتاب كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب .

ونشر فصولا في الرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلی ابن عبد الرازق ، كما نشر قرار النيابة في قضية طه حسين ، كما تحدث في فصول عن القاديانية الملقبة بالأحمدية وعرض لعدد من قضايا المجتمع مثل قانون الأحوال الشخصية والنهضة النسائية والزى الاسلامی والربا وحقيقته وسبب تحریمه ، وتعرض لمسألة القبور والمشاهد عند الشيعة ونشر خطاب الناشيبي في تكريم شوقي .

هذا بالإضافة الى الأبواب الثابتة : تفسير القرآن وفتاوى المنار (تعدد الزوجات ، تعدد زوجات النبي ، النبت الحرام ، سدنته وكسوة الكعبة ، تأويل آيات الصفات) وعرض للقرآن ووجوه الاعجاز والاسرائيليات وتحدث عن النهوض باللغة العربية ، وتحدث عن اتاتورك وحياته وأعماله في تغريب تركيا ، وهاجم مجلة الحديث الحلبية (سامى الكيالى) في مواقفه التغريبية وفي هذا المجلد عرض تراجم لابن تيممه في القديم وأحمد عباس الأزهري ، وسعد زغلول ، وأمين الرافعي .

وعرض السيد رشيد رضا في افتتاحية المنار للموقف العام فقال :

لو كنا نعمل للمال لصانعنا رجال المال من الأفراد والجماعات كالأحزاب والحكومات ، ولو كنا نعمل للمال لاتبعنا أهواء الجماهير في اختيار الهزل على الجد وإثارة الانسداد على الإصلاح ونحمد الله أننا لم نسلك طريقا في الإصلاح الخاص بالحكام الباذلين والأمراء والملوك والسلاطين والجماعات الدينية والسياسية . تلك سبيلنا في نقد الحكومة الحميدية ثم في التشنيع على الجمعية الاتحادية وحليفتها الحكومة الكمالية وفي جهاد الملك حسين بن على وأولاده وفي انكارنا على متبعي المذاهب من الشيوخ انجامدين ورجال الطرق الخرافيين . وقد عرضت في هذه الأيام شبهة تأييدنا للحكومة السعودية والطريقة الوهابية ، والمنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح في عقائده الإسلامية وهدايته

كما يدعو الى فنون العصر وسنن الخلق في سياسته وقوته ، ولم يكن في ذلك الوقت ملك ولا سلطان يتهم بالطمع في مساعدته بل لم يكن يومئذ يعلم ان الوهابية يعتصمون بمذهب السلف بل كنا نصدق الدعاية التركية التي ذاعت في العالم منذ القرن الثالث عشر من ان الوهابية فرقة مبتدعة معادية للسنة واهلها واول رجل سمعت منه ان هؤلاء الوهابية قوم مصلحون ارادوا اعادة هداية الاسلام الى عهدنا الاول هو محمد مسعود بك الكاتب المصرى ثم قرأت ما كتبه في نشأتهم مؤرخ عصر ظهورهم الشيخ عبد الرحمن انجبرى الازهرى ثم ما كتبه محمود فهمى المهندس المصرى في كتبه البحر الزاخر ثم صاحب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ثم ما كتبه الشيخ عبد الباسط الفاخورى مفتى بيروت في تاريخ الاسلام ، كما أنه انيخ لى الاطلاع في اثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للامام المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج واطلعت شيخنا الالهام على ذلك .

المجلد ٢٩ (١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)

ما تزال قضايا النفوذ الاجنبى في العالم الاسلامى وآثار الاستعمار في عديد من دول الاسلام هى الشغل الشاغل للممار ، وفي مقدمتها الدولة التركية العلمانية واعمالها في القضاء على روح الاسلام في الاثراك واثرك في البلاد الاسلامية الاخرى حيث ظهرت جماعات فيها تدعو بدعوته وما ظهر في مصر من كتابات وصحف تؤازر هذا الاتجاه التغريبى وخاصة كتابى طه حسين (الشعر الجاهلى) وعلى عبد الرازق (الاسلام واصول الحكم) وكتابات سلامة موسى ومحمود عزمى في نفس الاتجاه ومجلة الرابطة الشرقية ومقالاتها المسبومة .

وامتداد هذا الاثر الى فارس والافغان حيث يتحدث السيد رشيد رضا عن الحكومات اللادينية في الترك وفارس وأفغانستان ، كما يتحدث عن الانجليز وتنصير مسلمى السودان والمؤتمر الاسلامى العام في القدس من اجل قضية فلسطين وغزو الصهيونية لها وما يسمى الوطن القومى لليهود ، وفتنة اليهود بانتزاع جدار المسجد الأقصى وخطر هجوم الكنائس على الاسلام يتمثل في انقبدال الحروف العبرية بحروف لاتينية واحاديث

عن السنة والشيعة ، والوهابية والرافضة ، ورسائل اخوان الصفا ونظرية النصارى فى خطيئة آدم ، والرد على الاحمدية خلفاء القاديانية وترجمة محمد على اللاهورى للقرآن ، وفيما يتعلق بالأزهر اورد مذكرة الراغى فى اصلاح الأزهر ، وتحدث عن اصلاح فيه والتعليم ، ومطاعن البشرية على الاسلام ورد سيف الرحمن اللورد هدى واحاديث عن الوهابية والصحنى النموى يحيى بك كيف صار مسلما ، واحاديث عن الماسونية واستحضار الأرواح والمرأة المسلمة ونهضتها الحاضرة ، كما عرض لقضايا مقارنات الأديان والبروتستانت والكاثوليك .

وقد حفل العام بأسماء كثيرة من المعاصرين جاء ذكرها ، منها الامام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود والشيخ الراغى وأحمد ابراهيم وسعد زغلول ومحمود شكرى الالوسى والأمر شكيب ارسلان وسليم البخارى وسيد أمير على والشريف حسين وعبد انرحمن الدمرداش وعبد العزيز جاويش وعلى سرور الزنكلونى ، وجاءت ردود على كتابات طه حسين وعارف الزين وهيكى وسلامة موسى .

كما عرض المنار لأفكار عدد من علماء الاسلام : ابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل والبخارى واحاديث عن الصحيحين وأبو هريرة .



وقد افتتح المجلد التاسع والعشرون بحديث عن مدنية أوربا المآدى فقال انها لا تجد لها منقذا من الهلاك القريب فى التنازع بين عباد المال والشيوعيين وفى الاسراف فى الشهوات والمطامع الا بدين القرآن فعلى المؤمنين الراسخين أن يعجلوا بانقاذها به قبل أن تقضى هى على ما بقى لهم من ملك وثروة وقوة :

ويقول : « ان الاسلام لا يزال قوة عظيمة فى الشرق كله اذا وجد لها زعماء جامعون بين العقل والعلم والحزم فانه يمكنهم أن يحفظوه ويرقوه . ويحفظوا له بقية بلاده ويستفيدوا الكثير مما فقد منها بل يمكنهم أن يحلوا به عقدة مشكلة المدنية الكبرى ويعموا نشره فى بلاد الغرب كلها ، أقول هذا عن علم وخبرة اكتسبها فى بحث استمر زهاء ثلث قرن ولما أجد لها الزعماء الصالحون لتنفيذها ، وكان شحنا الأسعساذ الامام موقنا بها وصرح به

في الدرس العام بالجامع الأزهر وكان مثله حكيم الاسلام والشرق السيد جمال الدين موقنا بهذا ويحاول أن يكون بسعيه ، وما أحبط سعى هؤلاء كلهم الا الدولة البريطانية وهي تحاول احباط عمل كل عامل يعمل للاسلام ايضا ما استطاعت ولكن الزمان قد اختلف .

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لـ : سيد أمير على — سليم البخاري — عبد الرحيم الدهرداش .

المجلد ٢٠ (١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م)

سيطرت ثورة فلسطين على قضايا العالم الاسلامي ، وحدثت الحديث عن اليهود والانجليز والغرب والماسونية والجزويت واليهود والكنيسة وملك اليهود وهيكلمهم ، وحديث عن الاسلام وآراء بعض علماء الافرنج فيه وانتشاره في قرن فوق انتشار النصرانية في عشر قرون وجهاد أوروبا له بالسلاح والعلم والسياسة للدلالة منه ، وقد حفل المجلد بكتابات أسماء لامعة منها الأمير شكيب أرسلان عن ما يقال عن الاسلام في أوروبا ووجوب اطلاع المسلمين عليه ، ومحاضرات عجاج نويهض عن النهضة الاسلامية ، واحاديث للمستشرق مونتيه الذي ترجم معاني القرآن وكتب عن السنة النبوية ، كما عرض لكتاب درنيح من النبي محمد (حياة محمد) وحديث عن طنطاوي جوهرى وتفسيره ورد الشيخ طنطاوي ومساجلة عاصفة بين رشيد رضا ومحمود عزمي حول مساواة المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

وقد أولى الشيخ رشيد رضا اهتمامه بالخلافات بين السنة والشيعة بمناسبة الخلاف الجديد الوهابية والرافضة ، كما أورد سيرة شيخ السلام ابن تيمية ، وعرض تاريخ حروف الكتابة ، وعن المدارس والجمع بين الجنسين وتعليم أبناء المسلمين في المدارس الأجنبية ، كما تحدث عن نظرية دارون وموقف الاسلام منها ، وفي المحاورات الخاصة بمقارنات الأديان تحدث عن الثالوث ، ونصرانية الافرنج ولماذا لا يسلمون وهيمنة القرآن على التوراة والانجيل ، كما تحدث عن حقيقة الربا واحاديث عن اسماعيل باشا وما اذخاله القوانين الفرنسية في مصر ، وعرض لآراء بعض المستشرقين عن الاسلام والزبد عليه ، كما عرض رأي تولستوى وعقيدته

في المسيحية ، والصوفية وأخطائهم ، ولم يتوقف عن أحاديث الأزهري والتعليم فيه .

● ترجم صاحب النار في هذا المجلد - : المراعي - أمين سامي .

وقد افتتح المجلد الثلاثين بقوله : نحمد الله أن قدرنا على استمرار إصداره في تلك السنين النحسات ونرجو من فضل الله تعالى أن نثبت على هذا التاريخ في إصداره ما دمنا متمتعين بالصحة بعد أن من علينا بدار صالحة للسكنى والطبعة ، نذكر القراء في فاتحة المجلدين الثلاثين أن الحملة على الاسلام قد اشتدت في هذا العهد من خصومة في الداخل والخارج ، أعنى من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها ، ولست أعنى بهؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريون والأرمن وغيرهم بل أعنى من هم أكثر منهم وأضر ، من ملاحدة المسلمين من الترك والایرانیين والأصفهانيين ، ودعاتهم وأخوانهم من المصريين وأشباههم من البسوريين والعراقيين ومن الهنود والافريقيين وسائر الشعوب الاسلامية الذين سميتهم التربية الفرنجية وأفسدتهم الآراء المادية وجنى عليهم الأسراف في الشهوات البدنية ، ونحن نطلق لقب الاتحاد على كل من يسمى خطنة هؤلاء الكماليين الى نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم والتمهيد لحو عقائد الاسلام وأدابه وعباداته من نابذة شعبهم ، بمنع اللغة العربية جميع بلادهم وترجمة القرآن لا يؤدي بحقائق معانية من لفهمهم ، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية للاجهاز على الفاظه واساليبه المعجزة ، بل كل من يسمى هذه الخطاة اصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولى لأعدائه ، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه والكفر به ، فان كان مع هذا زنديقا يدعى الاسلام ويخفى الكفر بفساده أعم ، وأكبر من افساد الكافر الأصلي المرتد لأن الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يفترون بكلامه فيفتنهم عن دينهم .

ويقول : ملاحدة بلدنا طبقات : المجاهرون بالكفر والصد عن الدين ،

منهم صاحب مجلة ومطبعة في مصر (١) معروف وفي حلب مجلة حديثة (٢) ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين (٣) الذي كتب مقالات في تنقيح النص في الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام وطلب ان تكون حكومة معطلة (لا دينية) مقالات في سنن قانون مدنى للأحوال الشخصية ، لا يتقيد فيه بشئ من الأحكام الشرعية . وقد كان من أركان محررى السياسة ، ويقال ان له صلة وعلاقة ببعض جماعات اليهود ، وافراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون بالتعطيل ومنهم من يفخر بذلك . . أما الطبقة الثانية فهم الزنادقة الذين يظهرون الاسلام ويمتعضون اذا وصفوا بالزيف والاحاد وهم مع ذلك يضعون في أصوله ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة ويشككون في آيات القرآن . (الطبقة الثالثة) الفماليج اللامعون من مرضى القلوب المقلدين ، الذين يشايعون المؤمنين كما لو كانوا معهم ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم .

ومما يثبت بالخبر المستفيض أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر وسعاة للصد عن الاسلام ، ومنهم من يأخذ على ذلك جعلاً من جماعات التبشير بالنصرانية ومنهم يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشيفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها ، وكان الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعى أول من أنبأنى أنه يوجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام بالطعن في شريعة وفي حكومة وفي لغة وفي أئمة الاسلام وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء وكبار العلماء والأدباء ثم ظهرت آثارهم في بعض الصحف الناعمة وفيما نشروا من المصنفات الخاصة ، ولقد كادت الوزارة الائتلافية تسقط بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذى جهر ملفقه بالطعن في القرآن ترجيعاً لأصوات بعض أعوانه من المبشرين بالانجيل (٤) وقد علم الجمهور أنه تألف في مصر حزب لحرية الفكر ، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه ، وقد

(١) سلامة موسى . (٢) سامى الكيالى .

(٣) محمود عزمى . (٤) طه حسين .

نشرت جريدة السياسة الاسبوعية (مارس ١٩٢٨) مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (اسلامي) ضار وان جماعة كانوا الفوا حزبا ولما الفت في مصر جمعية الشبان المسلمين عارضوها بتأليف جمعية الشبان المصريين ، واختاروا لها من يكبر شأنها ويلقى المحاضرات في ناديبها ، وليس الاحاد في مصر حديث العهد بل نبت قرنه من التفرنج منذ اكثر من قرن ومازال يرتفع ويقوى حتى طمع اهله باطفاء نور الدين وقسد فسد الأستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته في الوقائع الرسمية . واشد خطرا ما فاه به بعض الملاحدة في مجلس النواب من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن اذ قال فض الله فاه : انه لا يحترم او قال يحترق كتابا يبيع تعدد الزوجات . ولكن هذا الماخن الاباحي لا يحترق قانونا يبيع الزنا للرجل والنسوان وتعدد البقايا والاخذان ، وطلب احدهم وقف الجلسة بضع دقائق لاداء صلاة المغرب وكان تصريحهم بأن يمنعوا الصلاة مطلقا وفي هذا المجلس .

وقد تألفت الأحزاب وتعاونت الجمعيات على بث الدعوة الى الاباحية والاحاد ونشرت الجرائد والمجلات مقالاتهم المسوخة ونشرت الكتب المنعونة لا فرق بين ملاحدة الترك وملاحدة هذا البلد الا أن اولئك اوتوا قوة عسكرية ، وما فعله ملاحدة الترك والافغان وايران سرت عدواه الى كل قطر وهو الذي اطمع المستعمرين ودعاة النصرانية في اوربا بالاجهاز على الاسلام وتجديد النصرانية وتعزيزها في الغرب والشرق :

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانجليز وغيرهم مؤتمرا بعد أخسر في القدس مهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين : وقالت صحيفة في لندن انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات الا في جزيرة العرب وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الاول .

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ما كانت صادرتها من أموالها وأوقافها لتنشيطها لها على نشر النصرانية في مستعمراتها الافريقية وسوريا .

(٣) ألغت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن في الاسلام والحث على تنصير المسلمين والعرب بالقهر والاكراه .

(٤) صالحت الدولة الايطالية دولة الفاتيكان الكاثوليكية واعادت

للبابا سلطانه السياسى فى دائرته ومئات الملايين مما كانت أوقفته من أموال دولة الكنيسة الرومانسية بعض سياستها .

(٥) نشطت الجمعيات التى تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية فى الشرق والغرب وسارت فى سعيها خطوات الى الامام

(٦) ان حركة تجديد الدين فى انجلترا تلقى فى العناية حركية ايطالية باقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع فى الكنيسة الرسمية

(٧) مسألة فوضى النساء التى تعبر عن رعايتها بتحرير المرأة وتفضيل تهتكها المعبر عنه بالشعور على حياتها وعقلها المعبر عنه بالحجاب فقد أصبح النساء من ربات البيوت ومن العذارى المتعلمات يشين فى الشوارع بالليل والنهار مخاصرات للرجال ويغشين الملاهى والمتنزهات ومنهن من يسبحن فى البحر ويختلفن الى المراقصة وهن اشد من الاجنبيات عريا وتهتكنا . ان خصوم الاسلام القاعدين له فى كل مرصد يضحكون سرورا مما أصابه من الخزي بأهله الذين يمهّدون لهم السبيل لاستعبادهم والاستعمار لساائر بلادهم .

المجلد ٣١ (١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م)

تسيطر على المجلد الحادى والثلاثين قضايا عديدة أهمها قضايا العالم الاسلامى فى مواجهة النفوذ الأجنبى وقد كانت مسألة المغرب وفرنسا وصدور الظهير البربرى الذى يحاول أن يعزل جماعة البربر المسلمين عن اخوتهم على أساس أنهم من جنس آخر ولهم مدارسهم ومحاكمهم ولهجتهم وقد أفاض المنار فى الكشف عن زيف هذه المحاولة وقد وجه علماء المسلمين من جمعية الشبان المسلمين نداء الى ملوك الاسلام ورؤسائه شجبا لهذه المحاولة وقع عليه محمد شاكى ، رشيد رضا ، عبد الحميد سعيد ، خليل الخالدى ، أبو بكر يحيى ، جلال الحسينى ، على سرور الزنكلونى ، محمود أبو العيون ، محمود شلتوت ، ميزرا مهدى ربيع مشكى ، محمد عبد اللطيف دراز ، محمود الفهراوى ، عبد المجيد الربيعى ، يحيى احمد الدرديرى ، محب الدين الخطيب ، صالح جودت الحامى ، طنطاوى جوهرى ، عبد الصمد شرف الهندى ، محمد الهلباوى ، محمود يونس الاندلسى ، الفاروقى ، السيد محمد عفيفى ، واحاديث عن محاولة

فرنسا لنصرهم وموقف إيطاليا من مسلمى طرابلس الغرب ، وقد حفلت
المنار بأحاديث وكتابات عن أعلام الإسلام في العصر :

الأمير شكيب أرسلان يكتب عن « لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم
غيرهم » .

الشريف حسين وفاته وتركته ، أحمد تيمور رثائه ومعاملته للبنوك ،
إمان الله خان ، أحمد عرفان المصلح الهندي ، إمان الله خان ، أمين الحسيني
مبتلى فلسطين ، جمال الدين وتجديده للأمة ، الخديو والاستاذ الامام ،
محمد علي وثبوت علي ، علي سرور الزنكلوني ودروسه في الأزهر ،
المرامى ومجلة الأزهر .

وأحاديث عن القاديانية والدماية لها في سموريا ، والمسيحية
واليهودية ، والمبشرون .

وأحاديث عن الشيعة والسنة ومناظرة في خلافها والوهابية عقيدتها
ومذهبها .

وأحاديث عن الأزهر ، ويوسف الدجوى ومقائمه .

وأوراق قديمة لم تنشر عن جمعية العروة الوثقى وسياستها وأصول
نظامها .

وقد شغلت المنار بقضايا التقريب والغزو الثقافي فتحدثت عن مذهب
دارون ونقضه ، وعن الزنادقة والملاحدة ، وبدع أهيل الطريق ، وحديث
عن التجديد والمجددون ، والرافضة وتحريفهم لآية النصارى .

وأحاديث أخرى عن الثورة الهندية التاريخية وأسبابها ، وجزيرة
العرب وروسية البلشيفية واضطهادها للمسلمين وأحوال مسلمي الصين
والترك وتهديدهم للإسلام .

كما خصصت أحاديث عن الزينة ، وعن مساواة المرأة والرجل
في الميراث ، ومناظرة مع محمود عزمي ، وأحاديث عن الامام ابن تيمية
عن جمع كلمة المسلمين تحت قاعدة أهل السنة والجماعة ، وأحاديث
عن الشريعة الإسلامية ونسخ الشريعة المحمدية لما قبلها ، وترجمة الامام

أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر بقلم الأستاذ أبو الحسن الندوى .

وقد استهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلة بكلمة جامعة قال فيها :
ان أنصار الجمود والبدع المؤفة وحماة التقاليد المألوفة ممن سبواهم
الأستاذ الإمام حملة العمائم وسكنة الأتواب العباب قد أثار بعضهم
في هذا العهد عصبية مذهبية هى أضر على المسلمين من أثر القبط عليهم
في مصالح الحكومة ، ومن فريقى المبشرين والملاحدة .

وقد طارت ريح الطيش بلب داعية قبطى كان أول من عاب الاسلام
وقال بتفضيل الذكور على الاناث في الميراث ودعا المسلمين الى نبذ
الفرائض المقررة في نصوص القرآن ، وهناك من عمل على اشارة العصبية
الجنسية الفرعونية .

وتحدث عن « مذهب السلف » فقال : اعلى الله مناره واعز مهاجرته
وانصاره وانشائه دولة وجعل له صولة ، وتعددت جمعياته وصحفه وكثرت
وسائله وكتبه ، فتضاوت امام التأويلات الكلامية والتقاليد الخرافية ولا خوف
على طريقة الأستاذ الإمام في الإصلاح بعد ان اتفقت الكلمة على امامته
وانكشف بموته الحجب التى كانت مضروبة امام جلالته من استبداد أمير
وحد شيخ كبير وتقليد غير جاهل .

ويقول : يهاجم الاسلام في هذا العصر جيشان تويان من محافل اكثر
اقواما جيش الملاحدة الذين صار لهم دولة ، وان كانت واحدة (تركيا)
واضعفها جيش المبشرين وان كان لهم دول متعددة ، فيجب على أهل العلم
وحملة الأتلام من المسلمين الاتحاد والتعاون للجهاد في هذا السبيل ،
سبيل الله بدلا من اضعاف الاسلام بالعصبية المذهبية التى كانت آخر علته
في عهد قوته من كل أعدائه من الكفار .

وقال السيد رشيد رضا : ان خدمة الجم العديد من علماء الأزهر
وغيرهم من المصنفين في العلوم الاسلامية المختلفة ، منذ عدة قرون للاسلام
لتصفر وتتضاءل في جانب خدمة هذا الرجل وأستاذة ، فان علومهم
ومصنفاتهم كانت في العهد الذي تهدم فيه ملك الاسلام وضعفت هدايته

ولم يكن لها أقل تأثير في العلم والعمل لأنها كلها مباحث لفظية » .

وفي خاتمة المجلد ذكر محرر المنار : « ان سوق الكتب في كساد إلا كتب المجون والخلاعة والخرافات ومكتبة المنار خالية منها وكتب المدارس واكثرها محتكرة أو كالمحتكرة » .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : الشريف حسين — أحمد عرفان — شوكت على .

المجلد ٢٢ (١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م)

كان أبرز أحداث هذا العام انعقاد المؤتمر الاسلامى العام فى بيت المقدس الذى دعى اليه عدد ضخم من اعلام الفكر الاسلامى وشارك فيه صاحب المنار بدور بارز وتابع صاحب المنار احاديثه وابحاثه فى مختلف المجالات الاسلامية سياسية وتربوية واجتماعية وتحديث عن عدة قضايا هامة :

- ١ — تعلم اولاد المسلمين فى المدارس اللادينية أو مدارس النصرانية .
 - ٢ — ترجمة القرآن وكون العربية لغة الاسلام .
 - ٣ — المناظرة بين أهل السنة والشيعة .
 - ٤ — دراسة عن المرأة تحت اسم « نداء الى الجنس اللطيف » .
 - ٥ — أخطر حادث فى وزارة المعارف وهو اخراج طه حسين وخروج لطفى السيد .
 - ٦ — موضوع البقاء الرسمى .
 - ٧ — الاحتفال بذكرى معركة حطين .
- وقد اتسع نطاق الرد على الغزو الفكرى وقضايا التفريب الذى ظهر واضحا فى عديد من الأبحاث منها :
- ١ — انكار الوحي ورأى الماديين واستعراض رأى مؤيبيه ودومنجم .
 - ٢ — الرد على كتاب محمود أبو زيد تحت عنوان « دين جديد من الباطنية والاسلام » .
 - ٣ — تترنيد ونقد شكيب أرسلان لتاريخ الأستاذ الامام وتعليق رشيد رضا .
 - ٤ — الرد على الأستاذ يوسف الدجوى فى جملة قضايا .

٥ - تصحيح موقف الشيخ محمد عبده مما ورد في مذكرات بلنت عن الحدوث والعدم .

كما تناولت الدراسات وفيات الأعيان :
محمد توفيق البكرى ، أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم .

واحاديث أخرى عن كتاب عزى عن الاسلام والمسجد من مبشر أسلم (الانجيل والصليب) وقد أولت المنار اهتمامها بالجماعات الاسلامية فتحدثت عن جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية :

قال السيد رشيد : « عندما هاجرت الى مصر في منتصف ١٣١٥ هـ لم أجد فيها غيرها (اسماعيل عاصم ، زكى الدين سسند خطيب الجمعية والمؤسس لها ، ثم أسسنا جمعية شمس الاسلام ، ونقلت الجمعية الى حي شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيها اذ كثرت جمعياتهم وتصديهم لاغواء عوام المسلمين ومجلتها مكارم الأخلاق الاسلامية كما عرض لجمعية علماء المسلمين في الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد باديس ومجلتها « الشهاب » وأشار إلى أعضائها أمثال الطيب العقبى وسعيد الزهراوى .

ولم ينس معارضته الشديدة للطرق الصوفية وقد تعرضت للنقد الطريقتين التيجانية والشاذلية .

وقد استصرخ السيد رشيد رضا قراء المنار في افتتاحيته لأداء حقوقه المحبولة منهم منقوصا منها خمسا فنصفها لثلاث تضطره العسرة والفرامة الى ترك اصدار المنار هذا العام فلم يرسل أحد منهم درهما ولا دينارا يقول : « وانى قد حبست نفسى هذه الثلاثة أشهر على اتمام تاريخ الأستاذ الامام لم أكتب فيها غيره عسى أن أجد من ثمنه ما أنفق منه على اصدار المنار ولا تقبل بعد صدور هذا الجزء حقنا الا تالما ولا نغفو منه شيئا ولا نشكوها الا الى الله عز وجل وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » ..

● ترجم صاحب المنار في هذا المجلد لوفاة : حافظ إبراهيم ، أحمد شوقي ، محمد توفيق البكرى .

المجلد ٣٣ (١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م)

أحداث المغرب (تونس والجزائر ومراكش) تكاد تكون أبرز الأحداث السياسية في هذه المرحلة ، وخاصة فيما يتعلق بالظهير البربري الذي يحاول ان يفرض الجنسية الفرنسية على البربر في المغرب ، وهو ما سبق قيام فرنسا به بالنسبة لتونس ، ويجرى هذا مع اتساع التبشير والتنصير في مصر ، ويجرى الحديث حول الاسلام ووثنية الهند ، وعن الاستشراق وأخطاره الجديدة ، ومسائل أخرى عن النصرانية والصليب والرد عليها وأحاديث البهائية والقاديانية وموقفهما من الوحي والنبوة والأنوذية ، هذا في الوقت الذي يجري الحديث فيه عن لبنان بوصفها وطن مسيحي وفي نفس الوقت الذي تستعرض الأوضاع في المملكة العربية السعودية وقد أولى السيد رشيد رضا القضايا الفكرية اهتماما واسعا .

فنشر فصولا من كتاب لغربي أسلم عن الانجيل والصليب ، ورد على كتاب فريد وجدي (الاسلام دين عام خالد) متقصيا بعض آرائه ونشر مقدمة كتاب (نقض مطاعن القرآن الكريم) للشيخ محمد عرفة الذي رد به على شبهات طه حسين ، وقدم نقدا لوثنية الهند ولزعامة غاندي ، وتحدث عن طه حسين وأخطائه ، وقدم عرضا لكتاب حاضر العالم الإسلامي الهندي ترجمة عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان .

وهناك حديث واسع عن تاريخ الدولة الهاشمية بمناسبة وفاة الملك فيصل بن الحسين ملك العراق ، كما عرض لدائرة المعارف الإسلامية وأخطائها ، وتحدث عن قضية رجال الكنيسة في ألمانيا الذين تحدوا الحكم النازي وعرض لثورة المرأة الإباحية وخطرها على الأسرة فالامة .

ولم يغفل حديثه عن أخطاء التصوف الفلسفي والهندي فعرض للشعراني والتيجاني وقدم عرضا لحياة كل من الشيخ محمد أمين الشنيطي والسيد أحمد شريف السنوسي بمناسبة وفاتهما .



واستهل السيد رشيد رضا افتتاحية المجلد الثالث والثلاثون من المنار ببيان موقف العالم الإسلامي أمام أوروبا في طورها الجديد بعد الحرب الكبرى التي كان الغبن الأكبر فيها على الشعوب الإسلامية العربية ، التي ساعدت

أعداءها من دول أوربا والربح للشعوب الأعجمية التي عادت لها وهم الترك والتي ألزمت الحياد وهم الأفغانيون والبرانيون .

وقال : ان الترك كونوا من انقراض الدولة العثمانية دولة جمهورية مستقلة تعنى أشد العناية بالقوة العسكرية والعمران المادى ولكنها الحادية (لا دينية) تهرق روح الشعب الدينى ولا يحيا شعب بغير دين وروح الاسلام كامنة فى الشعب التركى ستظهر بقوة عظيمة يفجرها الضغط عند انتهاء حده . أما الأفغان فشرعوا فى عهد الملك السابق أمان الله خان يقلدون الجمهورية التركية فى الاحاد وفى تقليد الانرج فى الحضارة المادية فأدال الله من الملك نادر خان ، أما الفرس البرانيون فهم وسط بين الأفغان والترک ، والدول الثلاث استفادت من ضعف دول أوربا وتم لها استقلالها بعد الحرب العظمى والبلاد التركية يهددها من الخطر المعنوى وتموتها بين أوربا الرأسمالية والروسية والشيوعية أما شعوب المسلمين الأعجمية التى ليس لها دول اسلامية ففيها يقظة ونهضة علمية أقواها فى الهند ومسلموها زهاء ثمانين مليوناً ولكن الوثنيين فى جبلتهم أكبر عدداً وثروة وعلماً وأوسطها فى جاوة وما حولها من الجزائر الاندونيسية والمسلمون فيها الاكثرية الساحقة (٦٠ مليوناً) وهم أقل حرية من الهند لضغط هولندا عليهم وأدناها فى الصين ومسلموها يزيدون على مسلمى جاوة عدداً ولكنهم قليل فى الوثنيين الذين يزيكون على أربعمئة مليون ، أما المسلمون فهم أرومة الاسلام الأولى ، يملكون شطر قارة افريقيا الشمالى كله من مراكش الى مصر وشطر آسيا العربى ما بين المحيط الهندى وخليج فارس والبحر المتوسط ويبلغون زهاء مائة مليون وهم أشد شعوب الأرض خضوعاً للدولتين الظالمتين (انكلترا وفرنسا) اللتين احتلتا بلاد العرب الخصبة وإطاحت بجزيرة العرب وجعلتها تحت نفوذها ، أما غرب البلاد الامريكية الذين بذلوا من أموالهم ورجالهم فى مساعدة انكلترا وفرنسا فقد جزيأهم بشدة الضغط والحرمان .

ويقول : الاسلام لا توجد له فى هذا العصر دولة تقيمه وتكفله وتجدد قوته وعدله ولا شعب يهتدى به وينشره ، وينهض بحضارته ولا مدرسة تربي النشء عليه وتعلمه وتناضل عنه ، ولا جمعيات غنية تجده وتظهره

للأمم الحية وما فيه من العلاج لادواء البشر في حضارتهم ، أما المركز الطبيعى الحقيق بالتجديد الاسلامى فهو المركز الذى اشرق منه نور الاسلام وهو الحجاز وسياحه في جزيرة العرب .

● ترجم صاحب المنار في هذا العدد لوفاة : محمد امين الشنتيطى ، احمد الشريف السنوسى .

المجلد ٣٤ (١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م)

في هذا المجلد الأخير من المنار كانت جزيرة العرب والوحدة العربية والسعى الذى قام به رشيد رضا مع بعض قادة الاسلام لعقد الاتفاق بين الامامين ملك السعودية وامام اليمن ومعاودة الطائف هو ابرز حديث وهناك احاديث عن تركيا الكمالية والشريف حسين وأولاده والملك عبد العزيز آل سعود .

وهناك تذكير دائم بشر الصهيونية (ويل للعرب من شر قد أعترب) وحديث عن الشقاق بين العرب وعن قضية فلسطين ، ثم حديث آخر عن حركة النازى اللادينية وشجاعة الفاتيكان وغاية مصطفى كمال من مراحل وخطبة الملك عبد العزيز في وفود الحج ١٣٥٣ وحديث عن ثورة الأزهر وعودة الأستاذ المراغى شيخاً للأزهر وخليج العقبة الحجازى ومطمع الانجليز فيه .

ثم احاديث عن الاستشراق ، وعن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى ونقد كتاب الشيخ أبو زيد وكتاب حياة محمد ومقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة ، وكتاب مسائل الامام أحمد ومباحث الربا والاحكام المالية ومتابعة دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها ونقد كتاب جزوينى لكتاب الوحي المحمدى في مجلة المشرق (اليسوعية) والرد عليه ومراجعة كتاب قواعد الحديث في مصطلح الحديث للقاسمى ، هذا بالاضافة الى فتاوى المنار عن أسئلة منثورة من كل مكان : حول ترجمة القرآن والاحاديث النبوية والعمل بالقرآن دون الاحاديث وقد وصل السيد رشيد رضا في تفسير القرآن الى سورة هود وسورة يوسف وقدم تفسير سورة الكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتين (ومقدمة في تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن منقولة من تفسير الشيخ محمد عبده) .

● وقدم تابين احمد زكى باشا شيخ العربوية .

وقد افتتح السيد رشيد رضا المجلد الرابع والثلاثون بحديث مطول ذكر فيه حال الشعوب الإسلامية بعد حرب الأمم الكبرى ، راغباً في أن يجعلوا نصب أعينهم ما وقع على بعضها من الغبن والخسار وما أصاب بعضها من الريح والانتعاش وما هي عرضة له تجاه دول الاستعمار وإشاراً إلى وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتها في الحرب وجاهدت معها بأموالها وأنفسها وكانت أشد وطأة على الشعوب الأعجمية التي قابلتها والتي سالتها .

يقول : ان انكترا لا تزال مثلة في ارهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين ليجدد لهؤلاء ملكاً في قلب البلاد العربية حاجزاً بين مصر وبين الحجاز وفلسطين ، وان فرنسا لا تزال جادة في جعل عرب سوريا ملأ متفاوتة في الدين وشعوباً متفرقة في الدنيا وتصره على ابقاء الاكثريين من المسلمين محصورين في سجون المادائن الأربع .

ولم تكن انجلترا في وقت ولا في مكان شراً من فرنسا وأظلم مما هي الآن في « فلسطين » ولا تزال انكترا بارزة أمام الأمة العربية بروز الفاتح القاهرة والمستعمر القاهرة تنازعها حقها القومي والديني في جزيرتها المقدسة بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة . وقد خدعت الامام يحيى حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الأحاديث فأمضى لها معاهدة أقرها فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع (أربعون سنة) وانها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الأردن بحيلة الانتداب وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب . هذه الجراة من الدولة الأجنبية على غداوة العرب والاسلام ستكون من اكبر أسباب زوال سلطانها في الشرق الأدنى والشرق الأوسط وان خليج العقبة لهو أكبر هذه الأسباب ثم اشار الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان .

وقال : ان التفرق في البلاد العربية والشعوب الإسلامية لا يدوم ، وإشاراً إلى شعب التركستان الصيني وكيف استقل بعد ثورة حامية النوبليس .

ثم قال : ان القرآن شمل نوره العالم كله حتى حجبه المسلمون

عن أنفسهم وعن سائر الناس ووضعا مصباحه المضيء بنور الله تحت
المكيال - كما قال السيد المسيح عليه السلام - ولكن قد سخر الله المصلحين
في هذا العهد لكشف المكيال عنه وتوجيه أبصار العقلاء الى اقتباس النور
منه ، الا وأن هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الأمم ومأدبته
المنصوبة لتغذية جميع البشر وان بعض علماء الاغرنج المستقلين في العقل
والرأى ليقولون في هدايته ما يدعون به قولهم اليه ، وان دولة اليابان
الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الأرض لمن سبق
الى الاهتداء به » .



ولقد توفي السيد رشيد رضا وهو يستعد لاعداد الجزء الأول من المجلد
الخامس والثلاثين من المنار وقد كتب فعلا افتتاحية هذا المجلد التي نشرت
في آخر المجلد الرابع والثلاثين فكانت ختام هذه الجولة الضخمة المباركة
التي قام عليها وتراه في العدد الأخير ما زال في حماسته وإيمانه وثقته
بالدعوة التي يحمل لواءها يقول : ما قصر من شيء المنار في شيء كما وقف عليه
حياته في خدمة الملة والأمة وأشار الى مقاصدها الجامعة في فاتحة العدد
الأول بل شمر واستبق فكان له من التأييد عند خواص العقلاء العارفين
بها أصاب الاسلام من الوهن والضعف والفرقة وما يحتاجون اليه
من الإصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد
مما لم يسبق له نظير الا في صيحة العروة الوثقى التي تجلت فيها روح موقظ
الشرق وحكيم الاسلام السيد جمال الدين وبلاغة الأستاذ الامام محمد عبده .

وأشار الي أنه فكر في وقف إصدار المنار في سنته القابلة ١٣٥٤
ولو على سبيل التجربة عسى ان أجده من يقوم بنفخته من الأوفياء منهم ،
يقول : رجحت هذا الأمر ثم عظم على وقد رباني الدين على الثبات وانتقاء
ابطال عمل اشرع فيه .

(توقفت المنار عن الصدور بالعدد الأخير من المجلد ٣٤) .

البَابُ الثَّالِثُ

النَهْضَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ (حَرَكَةُ الْإِصْلَاحِ)

كَمَا صَوَّرَهَا الْمَنَارُ

مُدْخِلٌ :	النَهْضَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
الفصل الأول :	تفسير القرآن
الفصل الثاني :	مفهوم أهل السنة والجماعة
الفصل الثالث :	الصوفية الهندية والفلسفة
الفصل الرابع :	السنة والشيعة
الفصل الخامس :	مواجهة الأخطار والتحديات
الفصل السادس :	شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الإسلام
الفصل السابع :	ما حققته حركة الإصلاح

مدخل

النهضة الإسلامية « حركة الإصلاح » كما صورها المنار

كان الهدف الأول الذى توخت المنار القيام به هو تأصيل النهضة الإسلامية أو ما كان يسمى « حركة الإصلاح الإسلامى » وما يتصل بها من ظهور حزب الإصلاح الإسلامى الذى كان يقوده الشيخ محمد عبده وقد أشار الى هذا الحزب صراحة ولأول مرة اللورد كرومر فى تقريره سنة ١٩٠٥ بعد وفاة الأستاذ الامام ، وكلمة الإصلاح كلمة غربية أساسا فهى تصور هذه النهضة بصورة حركة الإصلاح التى قامت بها جماعة المصلحين فى المسيحية ، وان كانت فى المعنى تختلف اختلافا واضحا ، ويتحدث السيد رشيد رضا على مسيرة المنار الطويلة عن الإصلاح الإسلامى ، والإصلاحان الدينى والسياسى وتلازمهما ويقول :

« ان وجهة نظر المنار فى كل ما عرضت له من قضايا كان تمثيلا حقيقيا لمفهوم حزب الإصلاح الإسلامى الذى يقوم على فهم الإسلام فهما صحيحا من منابعه الاولى » .

ومن هنا كانت معارضته الواضحة لمفاهيم مشايخ الطرق الصوفية وقد كانت قضية التصوف والطرق الصوفية من أبرز القضايا التى أولاهما السيد رشيد رضا اهتمامه على مدى سنوات المنار بالإضافة الى أمرين آخرين وهما :

- ١ - نحلة البهائية والقاديانية وما تتفرع منهما .
- ٢ - جماعات التبشير والاحاد والاستشراق وما يتصل بمقارنات الأديان وخاصة بالنسبة لأخطاء كتاب المسيحية وعدائهم للإسلام .

ويقرر السيد رشيد رضا : « ان مفهوم حزب الإصلاح الإسلامى فى استرجاع مجد الشرق لا يكون بالاعتماد على الغرب فى الإصلاح وانما يكون بقوة الإسلام وبالعودة الى أصول الإسلام وآدابه وتعاليمه الصحيحة وان انحراف المسلمين عن جادتها هو الذى سلبهم ما كسبوا فالرجوع اليها هو الذى يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم ويرجع لهم سيادتهم » .

ويقول : « ان أهم ما جاء به الاسلام هو التوجيه في العقائد الدينية والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الإصلاح الاسلامي : هو جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعى واحد لا يحكم عليهم غيره فى أى نوع من أنواع الأحكام ولغة واحدة ، ويتوقف على هذا تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب فى كل بلد اسلامى وهيئة عظمى فى مكة المكرمة واجتماعاتها فى موسم الحج تعمل على توحيد العقائد والآداب والأحكام واللغة » .

كما تناولت المنار (النهضة الاسلامية فى مصر) وهى النهضة التى قام بها الشيخ محمد عبده (م ٢ / ٢٤١) فى مجال اصلاح الأزهر والتعليم واللغة كما عرضت فصلا مطولا لنظرية الإصلاح الدينى كما يفهمها حزب الإصلاح وهو ما اقترحه على مقام الخلافة الاسلامية (م ١ / ٧٦٤) كما ناقشت بتوسع قضية الإصلاح الاسلامى الدينى وتحدثت عن الإصلاحات السياسى والدينى وتلازمهما (م ١ / ٧٦٥) وفى نفس الوقت اهتمت بمناقشة المعارضة وهم من يسمونه اتباع الطرق الصوفية سواء فى داخل الأزهر أو فى خارجه ، وتناولت الأبحاث مختلف الأحوال المثارة للطرق الصوفية وخاصة ما يتعلق بسلطة مشيخة الطرق الروحية وعقد المتصوفة (م ١) ومحاربة الطرفين والاستغاثة بزيارة القبور وعقدت المنار غصولا متواليعة عن الطريقة الرفاعية والطريقة القادرية ومولد الدمرداش ، كما عرضت لأنصار اتجاه المحافظة فى مصر من أمثال الشيخ عليش وناقشت الصوفية وأصل تسميتهم كما تعرضت للموالد والبدع كما ناقشت فساد خلة ابن عربى فى تفسيره وادعاءات الدجاجة للكرامة ، وتحدثت عن نهضة الشيخ محمد عبده ورجاله الذين سلكوا مسلك السلف فى رسالة النوحيد كما تناولت المنار فكرة الجامعة الاسلامية وهى من أكبر القضايا التى عالجتها الصحافة (م ٢ / ٣٣٧) كما تحدثت عن الجنسية والدين وقالت ان الرابطة الأولى للأمة هى رابطة الشريعة العادلة والرابطة الثانية هى رابطة اللغة ، وكانت دعوة المنار الكبرى هى جمع كلمة المسلمين على قاعدة أهل السنة والجماعة .

وهاجم المنار المقلدين والجامدين : فالمقلدون هم الذين رضوا بانحلال

رابطتهم المالية وعفاء مقوماتهم ومستحققاتهم الموروثة وانتحال جنسية لفوية او وطنية جديدة ، أما الجامدون فهم الخاملون الذين رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيراً الا ما يسمونه الموت صبرا ، وهذا هو حزب الجمود والتقليد ، وأشار الى حزب آخر وسط بين ذيتك الحزبين وهم حزب الله المعلمون الذين يطلبون المجد الطريف ليكون متحدا بالمجد الطليد ، هؤلاء الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة لانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم ليظهر خواصه ومزاياه في اكمل ما يمكن ان يكون عليه ، هؤلاء هم حزب الوسط شهداء علي الغريقين ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم .

وفي تصور آخر يقول : الأحزاب الثلاثة هم الفقهاء المقلدون الجامدون الماديون السياسيون والمصلحون المعتدلون ، وفي مراجعة من مراجعات المنار للحركة الاسلامية في مصر يقول :

« ان حزب الاصلاح هو وحده محل الرجاء لانه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ويعرف منافعه ومضاره ويريد ان يكون معتد الارتباط والاتصال بهما بارجاع كل منهما عن خطاه والسير بالامة في طريق يحفظ به مقوماتها ومشخصاتها وتعيد الموروث النافع منه الى جسد جديد وتتدرج في استبدال النافع بالضرار منه وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم لامة قائمة في هذا العصر بدونه ، وسط بين الجامدين والمتفرنجين ، ولم يكن طلاب الاصلاح الا افرادا من النابئين في بيوت حزب الجمود او حزب التفرنج ، هداهم الله تعالى باستعداد من فطرتهم وتوفيق في سيرتهم الى معرفة الطريقة المثلى لصلاح امتهم ، وعنده ان الجامدون من الشيوخ اشد حسدا وبغضا للمصلح الديني من غيرهم .

ويشير السيد رشيد رضا الى الاصلاح الاسلامي فيقول :
ان له طريقين لا ترتقى امة الا باحدهما او كليهما ، اما من تبيل الامة كاوربا واما من ناحية الحكومة كاليابان ، وان العقبات هما رجال الدين ورجال الحكم والسultan .

يقول : « ويتوقف الاصلاح الاسلامي قبل كل شيء على اقناع القلتاء ورجال الدين بأن العلوم الرياضية والطبيعية التي هي محور الثروة والقوة

والعزة ضرورية لامدوحة عنها ، ويجب ان تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين لأن تركها للمدارس الأميرية والاجنبية يجعلها خاصة بمن لا دين لهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة ولا لليلة ولا يسقط الوجوب بهم .
ان الدين لا يمكن حفظه الا بالدنيا فتعين ان يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا (الرياضيات والطبيعات) واحكام الشريعة الاسلامية تصرح بأن تعلم الصناعات التى يحتاج اليها البشر فى معاشهم واجبة على مجموع الأمة » (١) .

ومن مجمل ما نشره السيد رشيد رضا فى المنار خلال الأعوام الخمسة والثلاثين (١٨٩٨ - ١٩٣٥) تستطيع ان تصل الى نظرية كاملة للإصلاح الاسلامى تقوم على أسس تحرير العقيدة من قيد التقليد وقد أولى السيد رشيد هذه الفكرة أهمية كبرى ويرى :

« ان عادة الناس قد جرت على اتباع من يثقون به ولهذا راجت بين المسلمين بدع وضلالات كثيرة باسم المذاهب والطرق حتى خرج بها كثيرون من الاسلام باسم الاسلام ، ومن ذلك طوائف الباطنية فمتى انقطع الناس عن فهم الكتاب والسنة انقطعت الضلة الحقيقية بينهم وبين دين الله الذى انزله على رسوله وحرموا البصيرة التى هى سبيل الله وابتغوا السبل المختلفة مخالفين لقوله تعالى : **« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »** ولذلك نهى أئمة الفقه الأربعة وغيرهم من أئمة السلف عن التقليد الذى هو الأخذ بكلام من يثق المقلد بهم من غير بصيرة من الكتاب والسنة وكيف لا ينهون عن ذلك ويعلمون أنه يعين الناس عن سبيل الله . اننا ندعو المسلمين الى الاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله كل بقدر استطاعته وطالب الاهتداء من العامة ليستطيع ان يسأل العلماء » (٢) .

ويطالب السيد رشيد رضا (فى نطاق دعوة حركة الإصلاح) الى اتخاذ طريق عرفه المسلمون من قبل وأشار اليه حجة الاسلام الغزالى فى كتاب

(القسطنطس المستقيم) من الدعوة الى ازالة الخلاف والاخذ بالجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما اجمع على تحريره وتقبل ما سهل عليه من اجمع على نديه واستحبابه » .

وقد توسع نطاق البحث الذي كان يرمى في مجمله الى ابراز مفهوم اهل السنة والجماعة الذي هو عصمة المسلمين وهو منطلق النهضة الاسلامية الحقيقية التي حملتها حركة الاصلاح الذي قام عليها الحكماء جمال الدين ومحمد عبده وتابعهما السيد رشيد رضا خلال اكثر من ثلاثين سنة وتلاميذهما وكان هداهم واضحا في كتابات الامامين ابن تيمية وابن القيم وما يتصل بكتابات الامام الغزالي والامام الاشعري .

وقد عارض الشيخ رشيد رضا في طريقه لتوسيد مفهوم اهل السنة والجماعة مفهوم علم الكلام والباطنية والهجبية والمعتزلة ، كما تحدث عن المتفرجين وموقفهم من الاصلاح الاسلامي ، وتناول موقف الصوفية كذلك .

وقد اقام السيد رشيد رضا مفهوم اهل السنة والجماعة على قواعد اساسية قدمها كلها من خلال تفسير القرآن الحكيم الذي بداه الشيخ محمد عبده ومضى فيه كما عرض للشريعة الاسلامية ودعا الى التقريب بين الشيعة والسنة وعالج امور الازهر والتربية الاسلامية بعمامة ، وبالجملة فقد اضاء الطريق تماما في مجال تقديم نظرية كاملة لكل من جاء بعده في شأن اليقظة الاسلامية ولا ريب كان للشيخين جمال ومحمد عبده وكذلك رشيد رضا تقدير واضح للحركة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وان لم يكشف ذلك الا بعد ان تولى آل سعود الحكم في الحجاز سنة ١٩٢٦ وما بعدها .

الفصل الأول

تفسير القرآن

يمد تفسير القرآن الذى قدمه الشيخ محمد عبده ونشره المنار وانه السيد رشيد رضا هو بمثابة حجر الرقى فى تثبيت مفاهيم النهضة الاسلامية ، ويشير صاحب المنار فى اكثر من موضع الى انه هو الذى اقترح على الاستاذ الامام ان يكتب تفسيراً للقرآن فى رمضان ١٣١٥ اى قبل الشروع فى انشاء المنار، وذلك بان اقترح عليه قراءة درس فى التفسير وقد تردد ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور .

يقول : « زرتة فقرا الى عبارة من كتاب فرنسى يطعن فى القرآن فطلق يرد عليها واحتاج فى الرد على العلوم فى تفسير رب العالمين فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت عليه ذلك ، وانما قلت : لو كتبت تفسيراً على هذا النحو يقتصر فيه على حاجة العصر وترك كل ما هو موجود فى كتب التفسير وتبيين ما أهملوه ، قال : ان الكتب لا تفيد القلوب العمى، لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عالمة بوجه الحاجة اليها تسعى الى نشرها ، واذا وصل كتاب الى ايدى هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه ، واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه حرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم ، كما جروا عليه فى نصوص الكتاب والسنة التى يريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر فى النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء لان نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته فى الكلام ، كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع ان يسأله عما يخفى عليه منه اما اذا كان مكتوباً فمن يسأل . ثم شرع فى قراءة التفسير بالازهر فى غرة المحرم ١٣١٧ وكتبت مقالة فى المؤيد بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وان كتب التفسير غير كافية وعلم الناس فاقبلوا على تلك الدروس اقبالا لم يمهده له نظير من المسلمين فى هذا العصر وقد عين مفتياً للديار المصرية فى الشهر الذى شرع فيه بقراءة التفسير .

(م ٨/٨٩٦) وأشار السيد رشيد رضا الى طريقة الامام في قراءة التفسير وطريقته هو في كتابته ، فقال : اننى لما استقلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية من العلماء ومن الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشد حاجة المسلمين الى تحقيقها بهداية دينهم في هذا العصر أو تقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو بحل بعض المشكلات التي اعيد حلها بما يطمئن اليه القلب وتسكن اليه النفس .

وقد أشار السيد رشيد رضا (م ٢٨/٦٤٦) الى الحكمة من تفسيره تفسير عصرى للقرآن فقال : « شاهداً ولا نزال نشاهد في بلادنا ان طلب العلوم والفنون مع اهمال التربية المصلحة للنفس لم يحل دون استعباد الأجانب لها كما جرى في دولتى الآستانة والقاهرة وغيرهما ، نرى الرجل المتعلم المتفنن يتولى ولاية او وزارة فيكون أول همه فيها تأسيس ثروة واسعة لنفسه وولده لأجل التمتع بالشهوات والذات والزينة ، وهكذا تعمل كل طبقة من رجال الدولة يستنزفون ثروة الأمة بالرشا والحيل واكل السحت ويكون كل ما فضل من شهواتهم بل جل ما ينفقونه عليها من نصيب الأجانب . (ومن هنا جاء) وجوب فهم القرآن والاهتداء به وبأن فقهه يتوقف على تفسيره لمن لم يؤت من ملكة لغته وفروق أساليبها وروح بلاغتها ومن تاريخ الاسلام وسيرة الرسول وهدى السلف الصالح ما يمكنه من فقهه بنفسه . انما يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينيه ووجهه وقلبه ما بينه الله تعالى في موضوع تنزيله وفائدة ترتيله وحكمة تدبيره من علم نور وهدى ورحمة وموعظة وعبرة وخشوع وخشية وسمن في العالم مضطردة فتلك غاية انذاره وتبشيريه ، ويلزمها عقله وفطره لتقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة وكان من سوء حال المسلمين ان أكثر ما كتب في التفسير تشغل مادته عن هذه المقاصد فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ونكت المعانى ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنها بجدل المتكلمين وتخريجات

الأصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتصبب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، بعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما فرضت من خرافات الاسرائيليات وقد زاد الفخر الرازى صارفاً جديداً عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهدها كالهئية اليونانية وغيرها وقلده بعض المعاصرين في ايراد مثل ذلك في علوم هذا العصر وفنونه فهو يذكر في تسمية تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض من علوم النبات والحيوان تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ، وأكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير وجل ذلك في قصص الرسل مع أقوامهم وما يتعلق بكتبهم ومعجزاتهم ومن تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف ومدن أرم ذات العماد وسحر بابل وعوج بن عنق وفي أمور الغيب من اشراط الساعة وقيامها وما يكون فيها وبعدها وجل ذلك خرافات ومقدمات لذلك ، قال الامام أحمد : ثلاثة ليس لها اصل : التفسير والملاحم والمغازى وكان الواجب جمع الروايات المفيدة في كتب مستقلة كبعض كتب الحديث وبيان قبيحة أسانيدھا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول أما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة منه ولا حاجة بنا الى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه وقصة البقرة وسفينة نوح والفلام الذى قتله الخضر فهذه الأمور طريقة بها النقل فما كان منها منقولاً لا صحيحاً عن النبى صلى الله عليه وسلم قبل وما لا صح أمره بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب بن وهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

والجهتان اللتان هما مثار الخطأ : احدهما حمل الفاظ القرآن على معانى اعتقدوها لتأييدها به ، أقول لجميع مقلدة الفرق والمذاهب في الأصول

والفروع المتعصبين لها فانهم قد جعلوا مذهبهم اصولا والقرآن نزعاً لها يحمل عليها وهذا شر أنواع البدع وتفسير القرآن بالراى المذموم من الحديث والثانية التفسير بمجرد دلالة اللغة العربية من غير مراعاة المتكلم بالقرآن وهو الله عز وجل والمنزل عليه والمخاطب به . ان اكثر ما روى فى التفسير المأثور اكثره حجاب على القرآن وشاغل لنا عن مقاصده العالية المزيكية للأنفس المنورة للعقول فالفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سنداً ولا موضوعاً . ثم قال : وكانت الحاجة شديدة الى تفسير يتوجه العناية الأولى فيه الى هداية القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة فى وصفه وما أنزل لأجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح ، ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر فى سهولة التعبير ومراعاة افهام صنوف القارئین وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها .

ثم يتحدث السيد رشيد رضا عن العمل الذى قام به فيقول :

كنت قبل اشتغالى بطلب العلم فى طرابلس الشام مشغولاً بالعبادة ميلاً الى التصوف ، وكنت أنوى بقراءة القرآن الاتعاض بمواعظه لأجل الرغبة فى الآخرة والزهد فى الدنيا ، ولما قرأت دعوة (العروة الوثقى) الى الجامعة الاسلامية واعادة مجد الاسلام وسلطانه وعزته واسترداد ما ذهب من ممالكه وتحرير ما استعبد الأجانب من سيطوته آثرت فى قلبى تأثيراً أدخلت به فى طور جديد من حياتى ، وأعجبت جد الإعجاب بمنهج تلك المتالات فى الاستشهاد والاستدلال على قضاياها بآيات من الكتاب العزيز وما تضمنه من تفسيرها مما لم يحوم حوله أحد المفسرين ، على اختلاف أساليبهم فى الكتابة ومداركهم فى الفهم وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى فى ذلك ثلاثة أمور :

١ - بيان سنن الله تعالى فى الخلق ونظام المجتمع البشرى وأسباب ترقى الأمم وتدهورها وقوتها وضعفها .

٢ - بيان أن الاسلام دين سيادة وسلطان وجمع بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ومقتضى ذلك انه دين روحانى اجتماعى ومدنى عسكرى ، وان القوة الحربية فيه لأجل المحافظة على الشريعة

العادلة والهداية العامة وعزة الملة لا لأجل الاكراه على الدين بالقوة .

٣ - ان المسلمين ليس لهم جنسية الا دينهم فهم اخوة لا يجوز ان يفرقهم نسب ولا أمة ولا حكومة .

ويقول: كان الاحتلال الانجليزي لمصر ١٢٩٩ هـ ، ونشأت العروة الوثقى في باريس سنة ١٣٠١ الكاتب للمقالات هو الثانى (محمد عبده) ولكن بانشاء الأول (جمال الدين) وهو أستاذة في هذا المنهج ومريه عليه ، وقد توجهت نفسى بتأثير العروة الوثقى الى الهجرة الى السيد جمال والتقى عنه وكان قد جاء الآسنانة وبعد أن توفاه الله تعلقت آمالى بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده للوقوف على اختياره وآرائه في (الإصلاح الاسلامى) وما زلت أترى الفرص لذلك حتى سحنت لى في رجب ١٣١٥ . عقب اتمام تحصيلى للعلم في طرابلس واخذ الشهادة العالمية وإجازة التدريس من شيوخها فهاجرت الى مصر وأنشأت المنار الدعوة الى الإصلاح » .

وردد السيد رشيد رضا ما أوردناه من حديث الشيخ محمد عبده حول مطاعن أحد كتاب الفرنسيين في الاسلام وفي هذه المرة كانت إجابة الشيخ مختلفة حيث قال : ان هؤلاء الامرنج يأخذون مطاعنهم في الاسلام من سوء حال المسلمين مع جهلهم هم بحقيقة الاسلام ، وقال : ان القرآن نظيف والاسلام نظيف وانما لوثة المسلمون باعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفاسف الأمور ، وطفق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » وماذا كان ينبغى للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتموا اليها . ثم ذكر أن الطاعن ادعى ان المسلمين لم يعلمهم نبينهم من صفات الخالق الا أنه حاكم قاهر وسلطان عظيم تد أوجب الفتح على أتباعه لأجل قهر الأمم لا لأجل تربيتها ، فاین هذا مما تسميه النصرارى خالقهم بالآب الدال على الرأفة والرحمة ، وتحدث عن اسم الرب وما فيه من معانى التربية واللفظ والفرقة بينه وبين معنى الأدب وكون طلبه للولد بهتضى شهوته لا محبته له وغير ذلك ، قلت : نو كتبت تفسيراً على هذا النحو ، يقتصر على حاجة العصر ونترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه » .

وجملة القول في هذا كله أن الشيخ محمد عبده بدأ التفسير في غرة المحرم ١٣١٧ وانتهى منه في منتصف المحرم ١٣٢٢ عند تفسير « وكان الله بكل شيء محيطا » (الآية ١٢٥ من سورة النساء) فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين اذ توفي لثمان خلون من جهادى الأولى منها رحمه الله وأثنى . وكانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والأعراب ونكت البلاغة وفي الروايات التى تدل عليها ولا يتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذى هو أوجز التفسير فكان يقرأ عبارته فيقرأ أو ينفذ منها ما يراه منقدا ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة .

يقول السيد رشيد رضا : « وكنت اكتب في أثناءلقاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله ، واحفظ ما اكتب لأجل أن أبيضه وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ ، وما لبثت أن أقترح على بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر أن انشره في المنار فشرعت في ذلك أول المحرم ١٣١٨ وكنت أولا أطلع الأستاذ الامام على ما اعدده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه فكان بما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به على انه لم يكن كله نقلا عنه ومعزوا اليه ، بل تفسيرا للكاتب من انشائه اقتبس منه من تلك الدروس الغالية جل ما استفادته منها لذلك كنت أعزو اليه القول المنقول عنه اذا جاء بعد كلام لى في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لى بعده قلت في بدئه : (أقول) ولم يكن هذا التمييز ملزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنى عبرت عنه بأمالى مقتبسة ، ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ ما اكتبه ، اما قبل طبعه وهو الغالب واما بعده وهو الأقل ، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه ما فهمته منه وان لم أكن كتبتة عنه في مذكرات الدرس

لأن إقراره إياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو ، وبعد أن توفاه الله صرت أرى من الأمانة أن لا أعزو إليه إلا ما كتبه عنه أو حفظته حفظاً ، وصرت أكثر أن أقول قال ما معناه ، أو ما مثاله أو ما ملخصه .

وقد بدأت في حياته بتحرير تفسير الجزء الثانى من المنار وطبعه على حديثه وتوفى قبل طبع نصفه فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين ، وقد اشتد شعورى بعد ذلك بأن على وحدى تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعه أيداعه ما تلقته من هذا العالم الكبير المشرق البصرة وذى انصيب الوافر من ارث نبي الله داود عليه السلام الذى قال الله تعالى فيه « **وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلِ الْخُطَابَ** » وتبعة الأمانة فى النقل بالمعنى أثقل من تبعة تحرر الفهم الصحيح وأدائه ببيان صحيح .

هذا وإنى لما استقلت بالعمل ...

(م ٢٨ / ٦٤٦) .

وقد عرض السيد رشيد رضا للقواعد التى أملاها الشيخ محمد عبده في مقدمة التفسير حيث قال : « القرآن كلام سماوى تنزل من حضرة الربوبية التى لا يكتنه كنهها على قلب أكمل الأنبياء وهو يشمل على معارف عالية ومطالب سامية لا يشرف عليها إلا أصحاب النفوس الزاكية والعقول الناصفة . والتفسير الذى نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من مباحث التفسير تابع له أو وسيلة لتحصيله . وقال : التفسير له وجوه شتى :

١ - النظر فى أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازاه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشري وقد ألم بشيء من المقاصد الأخرى ونحا نحوه كثيرون .

٢ - الاعراب .

٣ - تتبع القصص .

٤ - غريب القرآن .

٥ - الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

٦ - أصول العقائد ومقارعة الزائغين .

٧ - المواعظ والرقائق .

٨ - الإشارة واشتباه كلام الباطنية وكلام الصوفية .

وقال : ان الأحكام العملية التى يسمونها فقها هى أقل ما جاء فى القرآن وان فيه من التهذيب ودعوة الأرواح الى ما فيه سعادتها ورفعتها من حضيض الجهالة الى أوج المعرفة وارشادها الى طريقة الحياة الاجتماعية مما لا يستغنى عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولا يوجد هذا الارشاد الا فى القرآن وفيما أخذ منه كاحياء العلوم . كما أن كثيرا من حكمه ومعارفه لم يكشف عنها اللثام ولم يفصح عنها عالم ولا امام ، ثم ان أئمة الدين قالوا ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم القيامة (والقرآن حجة لك أو عليك) .

ثم اشار السيد رشيد رضا الى اتباعه لهذا المنهج ، فقال : اننى أعتقد أن كل ما أنا فيه من نعمة الله تعالى على فى دينى ودنياى وعلمى وعملى ، هو من آثار سلوك الطريق على يد ذلك الأستاذ العارف رحمه الله وجزاه عنى خيرا ، وأشار السيد رشيد رضا الى أن كثيرا من الالفاظ التى كانت تستعمل فى زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ « التأويل » الذى اشتهر بمعنى التفسير (مطلقا أو على وجه مخصوص) ولكنه جاء فى القرآن بمعان أخرى ، ويقول : يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتبع الاصطلاحات التى حدثت فى الملة فكثيرا ما يفسر كلمات القرآن باصطلاحات حدثت فى الملة بعد القرون الثلاثة الأولى فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعانى التى كانت مستعملة فى عصر نزوله ، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع كل ما ورد فيه من الالفاظ المكررة وينظر فيها فربما استعملت بمعان مختلفة كلفظ (الهداية) .

الفصل الثاني

مفهوم أهل السنة والجماعة

كان تفسیر القرآن الذي بداه الشيخ محمد عبده وسار نبيه السيد رشيد رضا شوطا طويلا حتى توقف رحمه الله عند سورة هود (السورة الحادية عشرة من المصحف) وسورة يوسف ، مدخلا الى تصحيح العقيدة وابرار مفهوم أهل السنة والجماعة المتحرر تماما من مفاهيم الجهمية والمعتزلة والصوفية والباطنية ، وقد عنى السيد رشيد رضا عناية كبرى بتحرير هذه القضية على نحو واسع شغل من المنار صفحات واسعة ومضى فيه السيد عاما بعد عام لم يتوقف ، عرض فيه لعدد من كتب السلف الكاشفة لهذا المعنى كما عرض لكتب الفرق ناقدا، وداحضا. ويرى أنه من الضروري تحرى مذهب السنة الصحيحة في التفسير من وراء المعتزلة والأشعرية ومن خلال تراث ابن تيمية وابن القيم اللذين يوليها اهتماما واسعا فيقول : « ان كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى وان مذهب السنة الصحيح وسط بين هذين المذهبين ولن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معينا دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى يفك الأخذ من ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التحيص والتجديد ، وان كتب ابن تيمية وابن القيم انفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من يعتنى به من العلماء الأعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعدله ورحمته وفعله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله وحكمه مصلحة للخلق والحكم والمصلحة في العقل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فأجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تكفر أو تضل أحدا من أهمل العلية .

وقد أجرى محاورات واسعة بين المصلح والمقلد ، لكشف حقيقة مفهوم أهل السنة والجماعة ومحاربة كلا الفكر الصوفي والتقليدي وفكر الكلام والفلسفة والمنطق واحياء مفهوم أهل السنة والجماعة يميدا عن كلم

التفسيرات الموجبة لغير ذلك سواء اكانت معتزلة أم صوفية أو فلسفية ،
 وقدم في ذلك كتاب شرح عقيدة السفاريني (الدرة المضيئة في عقد الفرقة
 المرضية) وقد اهتم بالرد على المعتزلة الأشعرية معا كما عرض لكتاب
 الشيخ حسين الجسر في العقائد (الحصون الحميدة لمحافظة العقائد
 الاسلامية) وقال ان هناك جماعات متعددة في العراق وسوريا بن الرافضة
 والمشبهة التي تحيي ما فعله عبد الله بن سبا الذي ابتدع لهم الرفض وتحدث
 عن الاحاديث الموضوعة والوضايع وأبطل مذهب القدرية والجبرية
 ومن ذلك قوله : « ليس القرآن وحده ولكن القرآن والسنة » وأشار الى
 الارتباط بين السلفية والأشعرية « فها أهل السنة والجماعة لم يفرطوا
 تفريط القدرية النفاة ، ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على
 معاصي الله فمذهب سلف الأمة وأئمة السنة كافة ان جميع انواع انطاغات
 والمعاصي والكنر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه فانفعال
 العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وتبيحها ومذهب سلك الأمة
 وأئمتها وجمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد
 فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية ، ولا ينكرون
 تأثير الأسباب الطبيعية والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عايشها
 هذا القدر ثم ان الأشعرى أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله
 وان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا » .

وقد كشف السيد رشيد رضا كثيرا من شبهات الباطنية والزنادقة
 ورد عليها ، كما تعرض للمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

وكشف كيف كان الرفض والتشيع والاعتزال من أبواب الزندقة
 والاحاد . فالصائبة المتفلسفة كانوا مصدرها أخذ منه أو زاد عليه القرامطة
 والنصيرية الاسماعيلية الحاكمة وهم انها يدخلون الى الزندقة والكنر
 بالكتاب والرسول من باب التشيع والرفض والمعتزلة .

وأفاض في عرض شرح عقيدة السفاريني ، من رجحان مذهب السلف
 على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل النقلية والعقلية وقد اقتبس جل تحقیقاته
 من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيميه وتلميذه المحقق ابن القيم

وقد قال ذلك في مواجهة كتب العقائد التى يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان .

وأشار فى أكثر من موضع الى وحدانية الألوهية ووحداية الربوبية ، فأما وحدانية الألوهية فهى قوله أن لا تعبد الا الله وأكده بقوله ولا تشرك به شيئا والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته ، أما وحدانية الربوبية فهى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فالرب هو السيد المربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم (م ١٠ / ٢٥٥) .

ويتحدث عن فكرة التحرر من التقليد وتحامى كتب المتأخرين أينما وجدت ويستشهد بقول الامام الشاطبى : كان لأخذ الفتى من كتب الأقدمين ولا يرى لأحد أن ينظر فى هذه الكتب المتأخرة كما قرره فى كتاب الموافقات وترد عليه الكتب فى ذلك من بعض أصحابه فيوقع له : « وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على التأليف المتأخر فليس ذلك منى محض رأى ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر فى كتب المتقدمين مع المتأخرين ، كابن بشر وابن شاش وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولأن بعض من لقن من العلماء أو عسانى بالتجافى عن كتب المتأخرين وأبى بعبارة خشنة ولكنها محض التضحية والتساهل فى النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله » .

ويقول : لقد دخلت بعض البدع على كتب أهل السنة وانها ليست من مذاهب الأئمة فان مذاهبهم متفقة على الأخذ بالكتاب والسنة فمن الحق بالدين شيئا زعم أنه منقول أو مستنبط من كلامهم وهو يخالف إكتاب والسنة فهو مردود عليه وهم يراد منه وقال : ان أهل السنة والجماعة هم أبو الحسن الأشعري أبو منصور الماتريدى ومن تابعهما فى الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه فى التصوف والأئمة الأربعة ومن تابعهم فى الفروع .

المتكلمون وعلم الكلام : وأفاض السيد رشيد رضا فى عرض أقوال المتكلمين ومفاهيمهم وقال ان امام نظار المتكلمين والاصوليين فى عصره امامهم (الرازى) « وكان من أظلم حظا فى علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين بل وصفه (الحافظ الذهبى) بالجهل بالحديث وقال : « التاج السبكى » انه لم يشتغل بهذا العلم وليس

من أهله . وقال ان « بدعه الكلامية » مخالفة لنصوص الكتاب والسنة
وقال ان تفسير الرازى قد اشتهر فيه بعض العلماء فيه أن فيه كل شيء
الا التفسير كما في كتاب الاتفاق ، وجملة القول : ان مذهب لسلف الصالح
وجوب الايمان بكل ما وصف الله تعالى به في نفسه في كتابه وما صح
من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ظاهره من غير تعطيل
للمعنى اللغوى يجعله كاللغو وكل محاولة لتشبيه الله بخلقه يعد من النقص
ولا تأويل يخرج الظاهر المتبادر عن معناه بمحض الراى والخواطر التى
تعرض لبعض الناس فيها لا يليق به تعالى لا تنقص من ايمان المؤمن بكتابه
وصدق رسوله المتبع لهما . قال ابن مسعود : سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الوسوسة فقالوا ان احدا لن يجد في نفسه ما لأن يحترق
حتى يصير حممة (اى حممة) أو يخرج من السماء الى الأرض احب اليه
من ان يعلم به . قال : ذلك محض الايمان وكراهية المؤمن لها دليل على
ايمانه المحض الخالص .

ويقول السيد رشيد رضا : ان كبار النظار من المتكلمين قد رجعوا
الى مذهب السلف في الايمان بظاهر النصوص وفي مقدمتهم امام الحرمين
كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في شرحه للبخارى ومن قبله والده الامام
الجوينى ومن بعده ابو حامد الغزالى في آخر عمره ونقل مثل هذا عن الفخر
الرازى ايضا وقد صرح الغزالى من قبل رجوعه الى مذهب السلف
ان علم الكلام ليس من علوم الدين وانما هو لحراسة العقيدة كانهرس
لنجاح وانما راجت كتبه لأنها وضعت للرد على ملاحدتهم ومبتدعيهم
ولا تنفع في الرد على ملاحدة هذا العصر ولا مبتدعيه .

ويقول السيد رشيد رضا ايضا عن المعتزلة : « من يطالع مقالات
المعتزلة بامعان يتبين له أن مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة
ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين لأن الفلسفة التى طالعوها أكثرها غير صحيح
فلذلك لم تلتئم مع الدين والثانى أن المقصد الاصلى من الدين هو العمل
وهؤلاء افراطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم
عن الجبرية الخالصة أو الجبرية المتوسطة والمرجئة .

واشار في موضع آخر الى ذم السلف الخوض في علم الكلام فقال :

لقد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والنقض والتدقيق فيما زعموا انها قضايا برهانية وحجج يقينية وقد شجبوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتحليلات الكثفية والمباحث القرظمية ، وكان ائمة الدين قبل مالك وسفيان بن المبارك وابى يوسف والشافعى واحمد واسحق والفضل ابن عياض وبشر الحائى يبالغون في ذم (علم الكلام) وفي ذم بشر المريسي حتى ان هارون الرشيد خامس الخلفاء لبنى العباس تال يوما بلغنى ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق والله على ان اظفرنى به الله لاقتلته قتلة ما قتلها احد فاقام بشر متواريا ايام الرشيد نحو من عشرين سنة ، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية ان التأويلات التى ذكرها ابن فورك ويذكرها الرازى في تأسيس التقديس ويوجد منها غالت المتكلمة من الجبائى وعبد الجبار وابى الحسن البصرى وغيرهم هى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمى عثمان بن سعيد احد مشاعير ائمة السنة من علماء السلف في زمن البخارى . (م ٦٤٩/٨) .

ويشير السيد رشيد رضا الى السبابة (اتباع عبد الله بن سبأ) ويقول انهم بمثابة الضربة الاولى التى ضرب بها الاسلام ، كان هذا الرجل يهوديا ثم اسلم ظاهرا واعماله تدل على انه يحمل حقدا شديدا للمسلمين.

ويفسح السيد رشيد قدرا واسعا من صفحات المنار لنشر كتاب تاريخ الجهمية والمعتزلة الذى ألفه جمال الدين القاسمى (م ٧٠٣/١٦ وما بعده) يشار فيه الى توافق الفرقتين المعتزلة والجهمية في المسائل المعروفة عنهما . وان اول هذا الأمر عندما فتح باب النظر والتأويلات (تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين) وقد انتشرت مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على ائمة الرواية في مسألة خلق القرآن وأشار الى ما رواه الشيخان البخارى ومسلم في صحيحهما (باب كتاب التوحيد والرد على الجهمية) في البخارى وقد اشتهر عن جهم بن صفوان ان القول بالجبر هو اسناد فعل العبد الى الله تعالى وكان المأمون واحمد بن داود الذى اقنعه بذلك مقدمة لنشوء الفلسفة والتشيع . ويقول الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ٣٠٠/١٠) لما قتل الامين واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى

صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين فقد كانت الامة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ، ان من البلاء ان تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، فتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول أتباع الرسل ويمارى في القرآن. ويتبرم بالسنة والآثار وتقع في الحيرة فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومعضلات الأهواء ومجاراة العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

وفي مجلد (٥٦٩/٣٣) من المنار فصل السيد رشيد رضا هذه القضية باعتبارها دعامة الاصلاح الاسلامى الحقيقية وتحت عنوان (اصل الاسلام) وما طرا عليه من الفساد عن طريق السياسة والفلسفة والتصوف يععدد الباحث المسائل التالية :

المسألة الأولى : ان هذا الدين (الاسلام) وحى الهى الى نبي امي ظهر في امة امية جاهلة ليعلمها الكتاب والحكمة ويزكيها بالعلم والعقل والفضيلة . وأن الله قد شهد كتابه بأنه اكمل هذا الدين لعباده في آخر عمر نبيه ليس لأحد ان يزيد فيه بعده عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينيا مطلقا ولا تشريعا مدنيا الا ما اذن به لأولى الأمر من الاجتهاد على اساس نصوصه وقواعده .

المسألة الثانية : ان ما اجمع عليه اولئك الاميون الاولون او اكثرهم هو الحق وان كل ما خالف نصوص القطيعة من العقائد والآراء والأقطار البشرية فهو باطل وفيه جميع نظريات المتكلمين العقلية وكشف فلسفة الصوفية الروحية وان المصلحة للمسلمين وللبنش كافة ان يقصروا هداية الدين على نصوص القرآن المنزلة وما بينه من سنن الرسول المتبعة وسيرة خلفائه وجمهور عترته واصحابه قبل نشوء الابتداع والتفرق في الملة .

المسألة الثالثة : ان البدع التي فرقت الامة في اصول دينها وجعلتها شيعا تؤثر كل شيعة أتباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدى سلفه الصالح بالتأويل من حيث يدعى ان أئمتها أعلم من مخالفهم

بتأويل الكتاب والحديث وإن بعضهم مؤيد بالكشف وبعضهم بالمعصية
فهم أحق أن يقلدوا ويتبعوا وإنما يعلم إلا علم بالدليل لا بالتقليد وفيهم
النصوص بقواعد اللغة والسنة العملية لا بالتأويل . ولهذه البدع المفرقة
ثلاث مثرات من أركان حضارة الأمم السياسية هي :

السياسة والسلطان — العلم العقلى والعرفان ، وفلسفة
الوجودان وما يتبعه من دعوى علم الغيب المسمى بالكشف والكرامات
الشاملة لدعوى التصرف فى الكون .

وفصل ذلك على ثلاث قضايا :

- ١ — السياسة الدولية : مآثرها الأول ما شجر بين الصحابة ثم كان
أشدّها فسادا ما كان بين أهل السنة والشيعة ، وقد زالت الخلافة
وضاعت سيادة الأمة فى حين أن آثارها ومفاسدها لا تزال ماثلة .
المنتمون الى مذهب السنة قد غلبهم جهلة الأعاجم على خلافتهم بعد
أن جعلوها عصبية وراثية . غلاة الشيعة نقضوا أركان الاسلام
من أساسه بدعاية عصمة الأئمة وتأويل نصوص الكتاب والسنة .
- ٢ — النظريات العقلية وتحكمها فى النصوص العقلية : تنازع أئمة الأتباع
وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ودعاة الابتداع من متكلى نظار
المعتزلة والجهمية ولولا تدخل سلطان العباسيين فى نصر فريق على
فريق لما وصلت الى ذلك الحد .

وسيموت ما بقى من علم الكلام بموت الفلسفة اليونانية التى
بنى على قواعدها ونظرياتها وإن بقيت له بقية تقليدية فى بعض
المدارس الاسلامية وسيخلفه علم آخر فى حراسة العقائد من شبهات
العلم وفلسفة هذا العصر ، مع ابقاء الخلط بينهما وبين عقائد الدين
ومحاولة تحكم كل منهما فى الآخر كما فعل نظارنا المتقدمون فجنوا
على كل منى بما أضعف سلطان الدين عن أداء وظيفته وهى تركية
النفس بما يوقفها عند حدود الحق والعدل والفضيلة وعمل البر
وأضعف سلطان العلم فى أداء وظيفته فى اظهار سنن الله فى العالم
وتسخير قوى الطبيعة لنافع الناس .

٣ — دعوى الكرامات والكشف وتحكمه في عقائد الدين وعباداته وآدابه وتفسير نصوصه وأحكام المعاملات والحلال والحرام وقد نجمت البدعة من هذه الناحية صغيرة ثم كبرت ، هاجمها علماء المنقول والمعتول ، يؤيدهم الخلفاء والملوك فانهزمت أمامهم حتى إذا ما ضعف العلم فصار تقليديا وضعف الحكم فصار ارثا جاهليا وصار علماء الأزهر مثل الشعرائي وسلاطين مصر مثل قايتباي خضعت رقاب المسلمين بولاية من الشيخ محمد الخضري ، هذا الولي الشيطاني الذي خطب في ثلاثين مسجدا من مساجد القطر (م ٥٧٣/٣٣) .

٤ — بطلان تأويل النصوص للنظريات العقلية والعلمية الباطنية :
النظريات العقلية التي تناول النصوص لأجلها علماء الكلام فقد ظهر بطلانها وبطلان الفلسفة التي بنت عليها لعلماء هذا العصر وغلاستفته فقد أجمع هؤلاء على أن جميع النظريات العقلية الفلسفية والعلمية المسلمة اليوم ليس فيها شيء يعد من الحقائق القطعية العلمية الثابتة التي لا يمكن نقضها ، بل كلها قابلة للنقض والبطلان وقد بطلت النظريات العلمية في المادة والقوة فكيف يجوز إذن تأويل نص ديني تقطع الرواية والدلالة في خبر عالم الغيب من الوحي الإلهي لنظرية ظنية في عالم الشهادة من الرأي البشري ، وإذا بكل تأويل علماء الكلام المبني على قواعد النظر العقلي ومراعاة مدلولات اللغة واشترط عدم المخالفة لأصل من قواعد الشرع وتأويل المعاصرين لما يخالف العلوم العصرية فاجدر بتأويلات الباطنية أن تكون أشد بطلانا لأنها تحكم في اللغة بما لا تدل عليه مفرداتها ولا قواعد نحوها ولا بنيانها ، وناقضة لأصول الشرع وقواعده القطعية الثابتة بالاجماع المتواتر والعمل الذي لا مجال للتأويل ولا التحريف فيه كتأويل الاسماعيلية القرامطة السابقين والبهائية والقاديانية اللاحقة ، البهائية الذين يدعون الى الوهية البهاء والقاديانية الذين يدعون الى بنو ميرزا غلام أحمد » .

هذا ولابد من عرض القضيتين المكملتين للبحث وهما الصوفية والشيعية الغالية .

الفصل الثالث

الصوفية الهندية والفلسفة

كانت مقاومة مفاهيم الصوفية الهندية والفلسفة هي من أحجار الأساس في بناء مفهوم أهل السنة والجماعة القائمة على المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي في مواجهة تلك الجبرية التي تدعى دعاوى باطلة تصرف المسلم عن بذل الجهد ودعوى قرب انتهاء الزمان والثوابل ومن هنا فقد اهتم السيد رشيد رضا بالحديث عن سنن الله في الكون والتماس هذه السنن في معرفة مهمة الانسان في الحياة وان الأمم تمر بمراحل الضعف بعد القوة ثم تعود الى القوة مرة أخرى متى التهمت منهج الله ، وان الضعف الذي يمر بالامة الاسلامية لا يعنى انه دليل على نهاية الزمان وانها هي مرحلة تعقبها مرحلة أخرى يستيقظ فيها المسلمون .

وقد رد السيد رشيد رضا هذه المشاعر المتشائمة اليائسة التي تدعو الى الانصراف عن الحياة واعتزالها الى مفاهيم التصوف الهندى والفلسفى الوافد على المسلمين ، والذي لم يعرفه المسلمون في الصدر الأول للإسلام .

وقد عرض السيد رشيد رضا لما تضمنته كتب الصوفية من هذا النوع من المفاهيم الجبرية فإشار الى أن في بعض الكتب الصوفية كثيرا من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسد في دين هذه الامة ما لم تبلغ الى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين لأن هذين النوعين لا ينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلى ، أما كتب الصوفية فتتظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ولا شك أن خير صوفية هذه الامة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون الا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ثم ظهر فيهم الغلاة ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الأئمة . حتى قال الامام الشافعى من تصوف أول النهار لا يأتى آخره الا وهو مجنون ، وانت ترى أن الحارث

المحاسبي من أجل علماء الصوفية وقد روى عنه الجنيد وكان من المتسكين بالسنة بحيث يأخذ مما خلفه وألده من المال الكثير دانقا واحدا على شدة فقره وعلل ذلك بأنه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده الا واقفيا اى لا يقول ان القرآن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق . الف الحارث في اصول الديانات والزهد على طريق الصوفية فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات وعليك بالاثر فانك تجد فيه ما يفنيك عن هذه الكتب . روى الخطيب بسند صحيح ان الامام أحمد سمع كلام المحاسبي وقال لبعض اصحابه ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا ارى لك صحبتهم ، انما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم فانه مقام ضيق لا يسلكه كل احد ويخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقه (م ٣٠ / ٧٥٤) .

وخاصة هذا الزمان وعوامه اولى بأن لا ينظروا في كتب من لا يعدون من طبقة الحارث بحيث أن امام السنة الأعظم في عصره أحمد بن حنبل لم ينكر شيئا مما سمع من كلامه بمخالفة الكتاب والسنة وانما انكره هو لأنه شيء جديد مبتدع في أمر الدين يشغل الناظر عن كتاب الله وسنة رسوله ونهى عن صحبتهم لذلك او لضيق مسلكتهم وكونه لا يفهمه ولا يستفيد منه الا من هو مثلهم فما نقول بما جاء بعد هؤلاء من اصحاب القول بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كحبي الدين بن عربي الذي يقول في خطبته وفتوحاته :

الرب حق والعبد حق

يا ليت شعري من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت

او قلت ربى ائى يكلف

ومن شعره في ديوانه : (وما الكلب والخنزير الا الهنا) .

وذكر الشعراني وهو أشهر داعية في عصره الى خرافات الصوفية انه سأل شيخه في التصوف عليا الخواص : لماذا يتأول العلماء ما يشكل ظاهره من نصوص الكتاب والسنة دون المشكل من كلام العارفين فأجابه بأن سبب ذلك القطع لعصمة القرآن وما صح عن الرسول صلى الله عليه

وسلم في امر الدين وعدم عصمة هؤلاء الشيوخ من الخطأ بالمعنى في كتابه الدرر والجواهر وهذا حق .

ويقول السيد رشيد رضا : ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة اتم الرسوخ وعارفا بالنصوف معرفته علم وذوق وعمل وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين : شيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي الأنصاري ومجدد الاسلام ابن القيم الدمشقي جمع الأول ذلك التصوف جمعا موجزا في كتابه منازل السائرين وشرحه الثاني في كتابه مدارج السالكين وقد قدم صاحب المنار في (المجلد ١٩) تعريف بالكتابين وقال : علماء الاسلام صنفان : علماء الاثر وهم علماء المنقول وعلماء المنقول ومن كل صنف مفسرون وفقهاء ولا يكاد يكون الاثرى متكلمًا وقد يكون صوفيا في النادر .

وان علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا بالآخر ، ووجد من كل طائفة علماء أعلام صالحوا المتكلمين بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، وصالحوا الصوفية وخدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتقرير الأخلاق والآداب ، والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والأحكام المدنية والسياسية ولكن كل هذه الفرق دخلت اليها البدع فترق المسلمون الى فرق وأحداث كثيرة .

وأشار السيد رشيد رضا الى انحراف المتصوفة عن الصراط السوى حتى لم يبق عندهم الا الرسول ، فقد تمسكوا بحبل الأوهام والابهام ، أعدوا الطريق أحيولة للجاه وحيلة للمناخرة والمباراة وغلبة الأهواء ، وما بقي من علم القوم الأشعثقة اللسان زخرفة الكلام بالالفاظ لا يفكرون بمعناها ، وكلمات لا يعرفون مرماها كالسحر والدجل والادلال والسطح والفرق والجمع ، ليس لهم من العمل الا ضرب الدفوف وبق النفارات والصنوج والنفخ بزممار الشبابية بل والضرب بالآلات الأوتار والتغنى بالاشعار الغرامية المهيجة للنفوس ، كأشعار عمر بن الفارض ويسمونه كل ذلك عبادة ، وحالة الذكر الذي حققوه كالرقص . (م ١/٦٢٦) .

وأشار الى انحراف التصوف بعد أن كان في القرن الأول زهدا خالصا

لا يصرف عن عجل الدنيا فقال : لما توسع أهل القرن الرابع في الشرع وتعيين المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الالهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملا والنبسوا لباسا اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا يعرف باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن ، وبعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا اعتقاديا بحثا وجاء منهم في القرن الخامس وما بعده غلاة راو مجالا في جهل أكثر الأمة لأن يجوز بينهم مقاما كمقام النبوة بل الالهوية باسم الولاية والقبطان والغوثية فوسسوا فلسفة التصوف بأحكام بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحركات .

وقد عرض السيد رشيد رضا في مجلدات المنار الأربعة والثلاثين لعشرات من شبهات الصوفية وتحدث عن معظم الفرق الموجودة في العالم الاسلامي كالرغائعية والنقشبندية والشاذلية وأشار الى انحرافات هذه الطرق وأهمها علوم الاعتصام بالمأثور في الذكر بالاسماء المقررة واستعمال عبارات هو هو آه آه ، وأشار الى كتاب الكلم الطيب من أركان النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال : ان أهم ما انفرد به ابن القيم بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم وذلك في شرحه لكتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي ، ومن ذلك قوله : الصوفية ثلاث : صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق ، وقد ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية من الهية وطبيعية ويرجع ذلك الى جهل شيوخهم بالسنة النبوية ، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المتعاطلة بين الحقيقة والشرعية وجعل الأمر الكوني القدرى كالأمر الشرعى في كون كل منهما يجب الرضا به والاذعان والاستسلام له .

ومن مفاسد قولهم : الرضا بعدم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار وما ابتدعوه من الأركان والأوراد والسماع وتعظيم القبور وجعلوه من شعائر الاسلام

فان عمدتهم فيه أنهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة .

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان للدين ظاهرا وباطنا مخالفما لما يفهم الجمهور منه وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سببا لارتداد كثير من المسلمين فكانت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية وغيرهم ، ومنها أصل الأصول في غلاتهم وهو ما يعبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذى عليه الكتاب المسمى بالانسان الكامل وأمثاله ، وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن الصريحة ولنصوص السنة الصحيحة وفيه مفسد كثيرة جدا .

وقد اقتبست كل فرقة أصيبت بفتنة تأويل ما يخالف مذاهبهم وآرائهم من آيات الكتاب العزيز وغنون الأحاديث حتى أنهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة ومنكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق فى التأويل وأشدهم اسرافا فيه بعد الباطنية الذين يشبهونه بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون فى التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكتابة بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الإشارة وباب الرمز ولذلك نرى كلامهم مزوجا بالآيات والأحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التى تدل عاينها فى اللفظ ولأجله نرى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل أو تفكير حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص . (م ١٩ / ٥٢) .

وقد حرص السيد رشيد رضا رغبة منه فى تصحيح مفاهيم الصوفية ان يورد ما قاله أئمة الاسلام وأعلامه فى مفهوم التصوف الصحيح فأورد نصوصا للحافظ ابن الجوزى والامام ابن تيمية — أما الحافظ ابن الجوزى فقد أشار فى كتابه تلبيس إبليس الى متصوفة الرسوم فقال : كانت النسبة الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها .

ظهر الاسم للقوم قبل سنة مئتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه

واشاروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرزيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإصلاح والصدق وأول تلبيس للشيطان عليهم أن صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصباح العلم تخطبوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيا وهى قوام مصالح الخلق ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعري والفقر الاختياري ومنهم من غلبت عليه الخيالات حتى قالوا بالتحلول والاتحاد . (م ١٧٢ / ٢٢) .

كما أورد لشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء فأشار الى صوفية الأرزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون منها وصوفية الرسم : الذين همهم تقليدهم في اللباس والآداب الوضعية .

وقال : ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للأخرة ورياضة النفس وتربية الارادة بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . وسرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك وضلالاتهم وشعائيرهم وشاراتهم ، حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد لنآيات والاحاديث وطبيعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين وشيوخهم وان كان منكرا وعدم الإنكار عليهم في شيء ، وكانت الباطنية تقصد بهذه التعاليم أفساد دين الاسلام وإبطاله ، وإزالة ملكه بالدسائس التي وضعها عبد الله بن سبا اليهودي وجماعات المجوس السرية التي بنت في المسلمين دعوة الغلو في التشيع لآل البيت والطمع في أعظم الصحابة لأفساد دين العرب وترويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي لتمكين تلك الجمعيات بذلك من إعادة ملك المجوس وسلطان دينهم للذين أزالهما العرب بالاسلام ولولا هذا الاضلال (التأويل والطاعة المطلقة) لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لأن أصل طريقها تركية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والإخلاص والتأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس على الخواطر .

وقال الامام ابن تيمية : انه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح منه قبولاً ورداً بعد بيان

ان الضلالات والبدع المتفلفة في كتب التصوف قسما :

١ — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صنعها وطريقة أداؤها حتى ان بعض كبار الفقهاء المتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسيع فيها جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال . ولم يراعوا فيه ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط فترى مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقهاء يرغب في بعض العبادات المبتدعة مستندلا عليها بهذه الأحاديث الواهية ، صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ، قال النووي : صلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . والغزالي لم يتوسع في علم السنة الا في آخر عمره ، وكذلك أخذوا بالضعيف الواهي : دعاء انوضوء اذ لا أصل له .

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في علم فجاء فيه بما لم يجيء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب .

فالصوفية اتقنوا علم الأخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة وأسرارها وطرق تركية النفس وإصلاحها — وهذا غرض الدين ومقصده — غلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كلامهم وأعمالهم من تصوف الأمم السابقة ومن البدع ما ينكره الاسلام فالتكلمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والتمسك والأخذ بالأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وكل من في هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية هو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين .

وقال السيد رشيد رضا : ان للتصوف كتباً أكثر ما فيها منصوص

أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له ، وبعضها بدع تلاصق به الصائغا بشبهات وتاويلات باطلة . أحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلبها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب : مدارج السالكين .

ثم تسأل كيف تكون الحاجة الى كتاب مع وجود الكتاب والسنة وقال : جوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع واثباتها بالدلالة النظرية الفنية التي كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد ، كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديب بالآداب المنصوصة فيهما والمستنبطة فيهما .

ذكر ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لأقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الأقوال بالأقيسة أو بجعل المتشابه أصلا للحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الأصولية » .

الفصل الرابع

السنة والشيعة

كان موضع الاختلاف والاتفاق بين أهل السنة وبين الشيعة من الموضوعات الهامة التي أولاها السيد رشيد رضا وقد كانت دعوته : دعوة حارة ودائمة الى ضرورة اتفاقهما لمقاومة التحديات الخارجة الخطيرة التي تواجه الاسلام ، وقد عرض السيد رشيد رضا لمفهوم الشيعة المعتدل ولفرق الشيعة الغالبة وفند آراءها ووجهتها وخطرها على الاسلام وناقش كثيرا من دعاة الشيعة الاثنى عشر والزيدية وكذلك ناقش غيرها ، وراجع كتبهم .

يقول السيد رشيد رضا : اننى شديد الحرص على هذا الاتفاق (بين السنة والشيعة) وقد جاهدت في سبيله أكثر من ثلث قرن ولا أعرف أحداً من المسلمين أو اظن أنه أشد منى رغبة وحرصاً على ذلك ، وقد ظهر لى باختياري الطويل أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الآباء اذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه ، وقد تكلمت في هذا مع كثيرين في مصر وسورية والهند والعراق ، ومما علمته بالخبر وانخبر أن الشيعة أشد تعصبا وشقاقا لأهل السنة فيما عدا الهند من البلاد الجامعة بين الطائفتين وقد نشطوا في هذا العهد لهائيف الكتب والرسائل في الطعن على السنة والخلفاء الراشدين الذين فتحو الأمصار ونشروا الاسلام في الاقطار والطنن على حفاظ السنة وأثبتها وفي الأمة العربية بجلتها . وأشار الى الخلاف مع السيد محسن الأمين العاملى في موقفه من الوهابية وكتب السيد تقى الدين بن تيميه وما كتبه علماء شيعة ايران في الرد على كتاب منهاج السنة لابن تيميه وأشار كذلك الى أبحاث مجلة العرفان وقال ان من مزاعم صاحب مجلة العرفان الذى أقسم عليه يميناً مغلفة انه لولا على بن أبى طالب لقتل المشركون رسول الله ولم تقم للاسلام قائمة في الأرض .

ويدعو السيد رشيد رضا الى جواز الحوار مع الشيعة الامامية لانهم مسلمون ، لا من البابية أو البهائية المارقين وقاعدة المنار الذهبية هي أن نتعاون فيما يتفق عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الاسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية واعلاء شأن الأمة العربية ولغتها واستقلال بلادها وهم يختلفون في :

١ — مسألة الامامة وقد مضى وانتضى الزمن الذى كان فيه هذا الخلاف عمليا .

٢ — في المفاضلة بين الخلفاء الراشدين .

٣ — في عصبة الأئمة الاثنى عشر .

٤ — في مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى .

فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن اليه ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو تصديقه ممن يثق بهم من العلماء فيجب على محبي الاتفاق أن يقتنعواهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبا من الطائفتين يعمل بقتضاها . اننا لا نعرف احدا من علماء أهل السنة المتقدمين ولا المعاصرين يطعن في أحد من أئمة آل البيت عليهم السلام كما يطعن هؤلاء الروافض في الصحابة الكرام ولا سيما أبى بكر وعمر وفي أئمة حفاظ السنة كالبخارى ومسلم وكذا الامام احمد امام أئمة السنة ، وشيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ الذهبي وابن حجر وغيرهم فائهم يعدونهم من النواصب لعدم موافقتهم لجهلة الروافض على ما يفترونه من القلو في مناقب آل البيت وقد أغناهم الله عن اخلاق المناقب لهم لكثرة مناقبهم الصحيحة اثباته بالنقل الصحيح ، انها النواصب فهم أولئك الخوارج الذين يبرعون من على كرم الله وجهه . (م ٢٩٠/٣١) .

٢ — وفي موضع آخر تحدث عن غلاة الشيعة ، فقال : انهم كانوا أشد النقم والدواهى التى أصيب بها الاسلام فهم مبتدعو أكثر انبسط الفاسدة وهم الذين صدعوا وحدته واضعفوا شوكته وشوهوا جماله وانتفضوا كماله وجعلوا توحيده وثنية واخوته عداوة وبغضاء

ويثوا فيه فتنة عبادة اناس لأجل انسابهم وتقديس اناس لأحسابهم وجعل سعادة الدنيا والدين بوساطتهم عند الله وتأثيرهم في علمه وأرادته على ضد عقيدة القرآن من كون الخالق تبارك وتعالى لا يطرأ على صفاته تأثير من المخلوق .

وجميع الفرق التي ارتدت عن الاسلام من القرون السابقة كانت من غلاة الشيعة فمنهم جميع فرق الباطنية الذين كانوا يلبسون لباس المسلمين ويظهرون التلبيس به لتقبل دعايتهم لهدمه بالتأويل وكانت طائفة البكداشية المنتشرة في بلاد الترك والأرناغوط منهم ودعاوى ملاحدة الكماليين الى اللادينية ولبس البرنيطة وابطال جميع النظم الاجماعية وتفريق جماعاتها كانوا هم أول من اجاب الدعوة بسرور وارتياح وخرج بعض رؤسائهم بأنهم قد وصلوا الى غايتهم من طريقتهم وهى هدم تعاليم الاسلام والتقصى من أحكامه وسلطانته .

كذلك كان غلاة الشيعة مثارا لأفزع الكوارث التي هدت قوى الاسلام وضعضعت الخلافة العباسية ودمرت الحضارة العربية التي كانت زينة الأرض وفخار أهلها وهى كارثة التتار كما كانوا أولياء وأنصارا لأعداء المسلمين أنهم أشد عداوة لهم وغتكا بهم لاسلامهم حتى الصليبيين . وجهت العداوة الشيعية الى اهل السنة خاصة وزال ملك العرب من بلاد الفرس وصار السلطان فيه للترك فاتصل ما كان من عداوتهم للعرب اى الترك على اختلاف طوائفهم ، وكان قد انتشر مذهب السنة في البلاد الايرانية كلها وضعف التشيع فيها ثم زاد وقوى بتعصب الترك العثمانيين نهم الذين كانوا سبب تأسيس دولة شيعية تقابلهم لحماية التشيع وتضطهد السنة ، حتى صارت السنة في بلاد ايران اضعف من المجوسية وقد ثبت شعبة ايران مذهبهم في عرب العراق حتى كاد يكون أكثر البدو لهم يقيمون مأتم الامام الحسين ويلعنون أبا بكر وعمر عليهما أفضل الرضوان الى أن ظهرت جماعة الوهابية .

وقد أهمل اهل السنة في القرون الأخيرة دعوة غير المسلمين الى الاسلام ودعوة المبتدعين الى السنة الى أن حرك دعاة النصرانية بعض مسلمى الهند اى ذلك فحملتهم الفيرة والمباراة على تجديد الدعوة الى الاسلام وقتلوا

يفارون من الشيعة فيدعونهم الى السنة كما يدعون هم أهل السنة الى التشيع ، فالشيعة كلهم دعاة الى مذهبهم حتى النساء .

أما الوهابية فقد شرعوا في احياء الاسلام على مذهب أهل السنة والجماعة .

ويقول وقد أصبح من الضروري اليوم مواجهة اللادينيين وملاحدة المتفرجين الذين يحاربون الدين بالشبهات الفلسفية والآراء العلمية والنظريات القانونية والاجتماعية وما يزعمون من معارضة للإصلاحات العصرية ، فنحن نعالج جمود المتفككة ، ونكافح بدع ادعاء التصوف ونناضل شبهات الملاحدة .

ويقول : ان القرامطة والحشاشين والاسماعيلية والديروز والنصيرية والبيكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضة ومذهبهما الى بث دعوتهم .

وفي بحث مستفيض عن الفكر الشيعى والرد عليه (م ٢٩/٤٢٤) وهو في هذا البحث يتناول معظم القضايا التى أثارها الشيعة الغالية ومنها :

- ١ — مسألة نكاح المتعة .
- ٢ — وطعنهم في القرآن بقولهم بل حذف منه الصحابة بعض الآيات وسورة الولاية — اى ولاية على — ويزعمون أن هناك نسخة أخرى خصه النبي بها .
- ٣ — عصبة الائمة ولا عصمة عند السنة لأحد من البشر الا للأنبياء وهم يعصمون ائمة أهل البيت .
- ٤ — مسألة الامامة العظمى ويزعمون بثبوتها بالنص بحديث غدير / قم .

وقد كشف السيد رشيد رضا زيف هذه الادعاءات جميعها وقال ان الشيعة منهم المعتدلون ومنهم الباطنية الملاحدة أعداء الاسلام ودعوة المنار الى الاستقلال في فهم الدين من الكتاب والسنة وترك التقليد وعصبية المذاهب فيه ، وان الاجتهاد الحقيقي هو الاستقلال بأخذ الدين من منابعه ، والسنة المرادة هى أهل السنة والجماعة في مقابلة أهل البدع كالروافض . قال على لابن عباس حين ارسله لحاجة الخوارج : احملهم على السنة

فإن القرآن ذو وجوه ، يعنى أنهم يتبادلونه بغير المراد منه ، أما السنة
بمعنى السيرة العملية فلا يمكن تأويلها ، وفي رسائل أسنة الشيعة
(م ٦٧١ / ٢٩) يقول :

كان مبتدع أصول التشيع يهودى اسمه عبد الله بن سبأ أظهر
الاسلام خداعا للمسلمين ودعا الى الكلام فى على كرم الله وجهه لأجل تقريظ
هذه الأمة وافساد دينها ودينها عليها كما فعل أمثاله فى النصرانية قديما
وحديثا وسبب ذلك ما كان من العداوة والقتال بين تفرقة اليهود وبين النبى
وكانوا هم المعتدين وقد ابتدع اليهود بدعة واعانه عليها آخرون من أهل
ملته .

وسرت بدع التشيع وانتشرت بين المسلمين بالدعاية السرية وكانت
أقوى الأسباب فى العداوة السياسة بين كبراء الصحابة بما كان يسمى
بسوء التفاهم وحسن النية ومن يراجع واقعة الجمل فى تاريخ ابن الأثير
مثلا يرى مبلغ تأثير افساد السبئيين لذات البين وحيلولتهم بالمكر والفساد
دون ما كان يقع من الصلح وقد طعنوا فى على وهم الدعاة الى القول
بألوهيته ، ولولا أن خلف زنادقة الفرس هؤلاء السبئيين فى ادارة الدعاية
بين المسلمين بالتشيع والغلو فى على وأولاده وأحفاده الطاهرين . احفظ
قلوبهم ما قام به الخليفين وثل عرش كسرى والقضاء على ديانتهم المجوسية
وليس لدى العجز من الثأر بالقوة الحربية الا المكاييد السرية فتولى مهرة
من رجال الفرس أمرها ، فمنهم من تولى السعى لافساد دين العرب الذين
انتصروا بتعاليمه وجمع لكتمهم على الفرس وغيرهم ومنهم من تولى السعى
للافساد السياسى بتحويل الخلافة الى العلويين ، ثم صاروا يكيدون
للعباسيين ما قام به البرامكة من جعل جميع ادارة ملك الرشيد فى أيديهم ،
وكان أذكى من فطن لدسائس البرامكة والحاد الشيعة الباطنية ومحمد ، على
كثير من دقائقه العلامة القاضى أبو بكر بن العربى الأندلسى كما نوء عنه
فى رحلته وفى كتابه (العواصم من القواصم) ويليهِ حكم المؤرخ ابن خلدون
فقد أشار اليه فى مقدمة تاريخية وكان من تعليم غلاة الشيعة بدعة عصمة
الأئمة الذين استخدموا أسماءهم وشهرتهم لترويج سياسيتهم وبدعة تحريف
القرآن والقصاص منهم بغيرتهم ثم البدع المتعلقة بالقائم المنتظر محمد المهدي

وكونه هو الذى يظهر القرآن التام الصحيح الذى يزعمون أن عليا كتبه بيده بعد وفاة النبى وفتحهم أبواب التأويلات لنصوصه بما لا يتفق مع شيء من قواعد اللغة . وقول بعضهم بالوهية بعض أئمة أهل البيت الموروثة عن الاسماعيلية وغير الموروثة عن غيرهم من الباطنية وكان من بين من أطلق عليهم لقب الشيعة أناس من أهل السنة والجماعة كانوا يرون أن عليا أحق بالخلافة ولكن لم يقل أحد من هؤلاء ببطلان خلافة الثلاثة ، فأهل السنة سلفهم وخلفهم يعتقدون أن معاوية كان باغيا على الامام الحق أمير المؤمنين وأنه قدر بدهائه وسياسته على تأليف قوة عظيمة له ولكن الجمهور تأولوا بأنه كان مجتهدا خطأ في اجتهاده .

وقد انقسم الشيعة الذين يحافظون على أركان الاسلام الى (غلاة) أطلق عليهم اسم (الرافضة) والى معتدلين وهم الذين عرفوا باسم الزيدية لاتباعهم للامام زيد بن على الذى أنكر على الغلاة البراءة من أبى وعمر فرفضوه ومن الغريب أن يشتد امر زنادقة الباطنية على كثير من مسلمى الشيعة حتى أهل العلم بينهم والزكاة ووصف التشيع كان يطلق كثيرا على من عرفوا بالمبالغة فى حب آل البيت النبوى ومدحهم وذم الظالمين لهم ، والشيعة الامامية قوم معتدلون قرييون من الزيدية ومنهم علاة قرييون من الباطنية وهم الذين لقحوا ببعض تعاليمهم الالحادية كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته وأغربها فى زعمهم سورة خاصة بأهل البيت يتناقلونها بينهم .

هؤلاء الامامية الاثنى عشرية يلتقون بالجعفرية وينقسم جمهورهم الى اصوليين واخباريين . والاستعداد فى الامامية للفلو وفرت الكثير من بينهم من زندقة الباطنية ، ظهرت فيهم وراجت بينهم ، بدعة البابية والبهائية الذين يقولون بالوهية البهاء ونسخ للدين الاسلامى وابطاله لجميع مذاهبه .

كان من قواعد الاسلام التى وضعها جمال الدين وجوب السعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التى يحميها القرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد والاستعانة على ذلك بالسياسة التى كانت السبب لهذا التفرق الذى البس بعد ذلك لباس الدين . وقد عنيت بالسعى للتأليف بين السنة والشيعة .

وأشار الى انه لما أعلن الشاه مظفر الدين حكومة الشورى في إيران
نوهنا بعمله في المجلد السابع والثامن من المنار وفضلناه على سائر ملوك
المسلمين اذ بينا أن حكومة الشورى هي حكومة القرآن وقد أظهر الله دولة
السنة باستيلاء امامها عبدالعزيز آل سعود على مهد الاسلام وقيامه باحياء
السنن وهدم مبائى البدع فأيدناه وسعينا للتأليف بين الوهابية والشيعة ،
والتقارب بين مذهب الزيدية ومذهب السنة لقربه من السنة ، وأشار الى
سوء امر مؤتمر النجف لشيعة العراق وامارات نشر الالحاد في إيران .

الفصل الخامس

مواجهة الأخطار والتحديات

في نطاق العمل من أجل توسيد خطط حركة الإصلاح عند جد تصحيح المفاهيم في مجال تفسير القرآن أو احياء مفهوم أهل السنة والجماعة أو الالتقاء بين السنة والشيعة مضى المنار الى الغاية في مواجهة الاخطار والتحديات في مختلف مجالاتها في مختلف ميادينها .

وقد ركز في هذا الباب على الاستشراق ودعاة التغريب من أتباعه في البلاد الاسلامية كما عرض للبهائية والقاديانية وتناول ما قدمه طه حسين ولطفى السيد وجرجى زيدان وسلامة موسى ومحمود عزمى وكتاب دائرة المعارف الاسلامية .

وفي مصطلحات تلك الفترة كانوا يطلقون على دعاة التغريب عبارة (الملاحدة المتفرنجون) ولأنهم كانوا يدعون الى التجديد فقد أطلق عليهم السيد رشيد رضا « جمعية تجديد الاحاد والزندقة والاباحة المطلقة » (م ٢٧ / ٣٨٧) يقول : تصدى لزعامة التحديات واحتكار لقب المجددين افراد هدامون غير بنائين يدعوى الامة الى ترك هداية الدين والتجرد من لبوس الفضيلة والتشرف بلبس البرنيطة واباحة ملامسة النساء للرجال في الرقص والسباحة والخلو والسياسة ومعاطرة الخمر وما يتبع ذلك من ضروب الفسق وينعون على المرأة أن يكون جل همها في الحياة الاستعداد للقيام بما خلقها الله لأجله حق القيام وميزها به على الرجل . وهم يغرون انشباب بالاحاد ويزينون لهم اتباع الشهوات ليتخذوا منهم ومن النساء حقدا وحسبكم من سفه الراى التسليم لهم بأن القديم قبيح يجب تركه واحتقاره لأنه قديم » .

ولما كانت دعوة التغريبيين هي التجديد فقد وصفه بأنه « تجديد الاحاد والاباحة والخلاعة والدعوة الى الرزيلة برسم الادب المكشوف والتنفير من الفضيلة بدعوى الحرية وتحرير المرأة الشرقية وتقليد الحضارة الغربية وكلها معابر قديمة لا جديدة كما يعلم المطلعون على تاريخ ائنيقة

ورومية وغيرها من عواصم الشعوب القديمة وهي التي أضعفت دولها
وزهدت باستقلالها :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدمرا » .

وقد حاول انتحال هذا اللقب الشريف (التجديد) زعنة من الملاحدة
في هذا البلد العظيم ، ليس لأحد منهم امتياز فيه بالعلم والحكمة . وإنما كل
ما أوتوا أو هملوا من البضاعة في هذا السوق ثرثرة في الكلام وسفسطة
في الجدل وجراة على تليبس الحق بالباطل وسفاهة في الطعن على من يخالفهم
أو يرد عليهم ولكن بالتهتك الصريح لا بالبرهان الصحيح ، فالصدق لا حرمة له
عندهم وباطراء غلاة الترك الذين نبذوا الاسلام وراءهم جهودهم حتى
في هدم جميع أركان الحرية : هذا الذي يسطرونه من غلو بلاحدة الترك
ليس تجديد منهم بل نجم في الجيل الماضي منهم ، وكان من تراثه في هذا
الجيل زوال السلطة العثمانية التي كانت أعظم سلطة في أوربا وآسيا
وأفريقية وهم يريدون أن يعتدى بها في الحادها ونبد هداية الدين ،
وهم يقلدون ملاحدة أوربا في عداوة رجال الدين تقليدا ، فهذا التقليد الأعمى
هو الذي يحملهم على الصد عن الدين بالتشكيك في عقائده والطعن في أحكامه
وآدابه والتحقير لرجالهم . ودعوى إبطال العلم والفلسفة له واتهام علمائه
بأنهم عقبة كؤود في طريق ترقى الأمة ، وبعد ذلك ما تحدث به محمود عزمى
في الجامعة المصرية عن حقوق المرأة وما تحدث به فخرى فرج ميخائيل
في الجامعة الأمريكية عن وجوب مساواة النساء بالرجال حتى في الطلاق
والميراث (م ٣١) .

٣ — ويقرر السيد رشيد رضا أن جمعية تجديد الاتحاد لم تقنع بصند
الشعب المصرى والشعوب العربية عن الدين وتشككها فيه تمهيدا لإباحة
الأعراض وعبادة الشهوات وتقليد الأفرنج مما يسهل التقليد في مجال
الفواحش والمنكرات بل نراهم يعتنون بتحقيق آداب اللغة العربية ليجردوا
الأمة من هذا الفضل المنطقى الذى يفضلها عن غيرها من الأمم ويثبت لها
استقلالها خاصا بمقومات خاصة ومشخصات خاصة . وقد بدأ هؤلاء الزنادقة
بهدم الدين هدمًا مطلقًا لا هدم تجديد كما يدعون ، وهدم الشريعة الإسلامية

لاستبدال التشريع الأوربي به ، ثم أسرفوا في تحقير آداب اللغة العربية برغم تحديدها بآداب لغات سادتهم الأفرنج .

وقد ألف طه حسين كتابا كذب فيه نقله اللغة العربية ورواتها فيما رووه من شعر العرب في عصر الجاهلية وزعم أنهم هم الذين وضعوا المعلقة السبع وأمدوها على امرئ القيس وطرفة وغيره واستطرد إلى تكذيب كتاب الله وتكذيب خاتم رساله في اسناد بناء بيته الحزيم إلى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفي غير ذلك ، وجعل ذلك من الأساطير التي لا يثبتها العلم ، ولم يقل أحد أن وقائع التاريخ يتوقف ثبوتها على عدم نفي العلم لما رواه الرواة عنها ، فخير بقاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لبيت الله تعالى تناقلته الأمم العربية بالتواتر المؤيد بتقاليد دين عميلة ، ثم أثبتته الوحي الإلهي الثابت بالآيات القطعية ولا يوجد دليل علمي يعارضه في معنى قوله أن العلم لا يثبت .

ويقول : لقد عمد دعاة الزندقة في هدم مقومات هذه الأمة وشخصاتها ووصفها بالقديمية وشبهتهم عليه أن كل قديم فهو قبيح يجب تركه ومن المعلوم أن حسن الأشياء وقيمتها الحقيقية في ذاتها وغائدتها ، لا في قدمها ولا في جدتها ، وما من قديم إلا وكان جديدا ولا جديدا إلا وسيكون قديما ، ومن لا قديم له لا جديد له بل لا وجود له . وإنما الأمم بتاريخها ، ومن الغريب أننا نراهم يدعون إلى انتحال ما هو أقدم مما يذمون من قديم أممهم كالآداب الإغريقية والشعر الإغريقي الذي هو دون الأدب والشعر العربي الجاهلي والإسلامي » (م ٢٧ / ٣٨٧) .

٣ — ويتحدث عن دعاة التفريب هؤلاء فيقول : إنما حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعممين وتذللهم للأمراء والحاكمين وذمهم لعصبية الدين وإن لهؤلاء الملاحدة لقوة على غسیرهم لا من أنفسهم ولكنهم يحتمزون بها وإن منهم من يكن للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها ، وإن المؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها ، وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق ، فلذا تذف عليه دبعه وإن بقاء الباطل لآلى زوال : «وما كيد الكافرين إلا في ضلال » .

ويقول : ولقد كان ملاحدة تطرنا هذا اجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من أظهار الكفر على كونهم أجراهم على الجهر بالنسق ثم تجرأ أفراد منهم

منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد بعد طول المهملد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين واحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء وانشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (يقصد مجلة السفور) وبث الوسوس وتوجيه العناية فيها الى نابتة المدارس وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للتقديم والصد عنه والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وان لهم لانصاراً في القصور والدواوين وفي المدارس وأكبر معاهد الدين وقد استفادوا من تقييد حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدى لاحباط بعض دسائسهم ، من أهل الحق ، وانهم ليجتلبون الباب المتحليلين من الشبان والشابات بما ينمتون من زخرف الشبهات : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (م ١٩ المنار ١٩١٦) .

٤ — وفي أكثر من موضع يتحدث عن فتنة ملاحدة الترك في سوريا ومصر الذين ينوهون بكفر الترك الكمالين ويثبون في كل خطوة من خطواتهم جريدة السياسة ومراسلها عمر رضا الذي يهدا كل أسبوع بمقال ينوه فيها بأعمالهم ويحكي كفرهم وضلالهم (م ٢٩/٢٢٧) . ويقول : يود ملاحدة الكمالين من الترك لو يقتدى بهم مسلمو العرب في العراق وسوريا ومصر ومسلمو العجم في سائر الترك والتتار والأفغان والفرس ميتركون الاسلام مثلهم ، وان ملاحدة الترك هم الذين يثبون الدعوة الى تشويه الدولة العثمانية ويثبون الدعوة الى الالحاد ويحرضون الزنادقة والمرتابين على ترك الاسلام واحتقار تشريعهم وآدابهم ولبس قلانس الافرنج واثارة الفيرة القومية والعصبية الجنسية ، ويقول انه قلما ثبت لهؤلاء الملاحدة نسب صحيح في الشعب التركي الذي صار عريقاً في الاسلام ، بل هم أوشاب منهم الروسي والرومي والبلقاني واليهودي الاصيل وقد سلطوا على افساد هذا الشعب بدعاية العصبية الجنسية وترجمتهم للقوانين الأوربية ولبسهم البرنيطة وان السواد الأعظم من الترك يمتتون هؤلاء الكمالين أشد مما كانوا يمتتون اخوانهم الاتحاديين » (م ٢٧/٧١) .

٥ - ويكشف السيد رشيد رضا عن موقف المترنجين من دعوة الإصلاح الاسلامى فيقول : انهم فريقان : أحدهما من كان تفرنجهم أثر التعليم العصرى والتربية الافرنجية ، التى حجب اليهم ما لقنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلتفتوا ما لأمتهم من ذلك ويتربوا عليه . (ثانيهما) : من يتفرنجون تقليدا للفريق الاول من قومهم الحكام والاغنياء تقربا اليهم ، وقد قشى هذا التفرنج في المسلمين بالمدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية التى أنشئت لتقليد الافرنج في تربيتهم وتعليمهم بغير بضرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسى والاجتماعى وما بقى منه أمسى مشوبا بما ليس فيه من البدع والدخيل ، وفى أثناء هوى الامة الاسلامية في هذه الهاوية من الحال منذ عدة قرون كان الافرنج يصعدون في مرااتى العلم الاستقلالى والتربية الاجتماعية على علم ونظام يهتدون فيه لسنن : الله في خلق الانسان والاكوان .

وهناك فرق بين المترنج المقلد والمصلح المستقل ، فالمصلحون يدعون الى الاعتبار بما أوتى الافرنج من العلوم والفنون ، وما أتقنوا من الأعمال والبحث في أسباب ذلك وطرقه والوصول الى ما تحتاج اليه أمتهم منه . ومن المترنجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بأرائهم ، وان استمدوا أصوله وغروعه من قوانين أهم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم ، ومنهم من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد ذمتهم وهدم شرعهم الذى هو أعظم مقومات إمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الإصلاح . ان بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعى امكان الجمع بينه وبين نبذ أصوله كلها استهجانا لها بزعم أنها وضعت لقوم لم يقفوا الى الكمال الانسانى الذى ارتقى اليه هؤلاء المترنجون . ومن أهم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الأخدان بكل عذراء تجاوزت الأربعة عشر ، جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التى ترد عليها في هذه المقالات (أحمد صفوت) .

٦ - ويشير السيد رشيد رضا الى أن اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة بين من فضائح المترنجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا

وقد أشار الى مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون غفهم من شئون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عن ذكر وفاة الأستاذ الامام وهو أن الشيخ وحزبه المعتدل يشترطون في ذلك المحافظة على اصول الاسلام خلافا لمن لا يبالون في هذا السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الأمة ، وأشار الى غلاة المتفرجين المارقين من الذين يحاربون اصوله وفروعه ويفثون سموم الكفر والفسق في أهله ، وشذوذ الغلاة في وجهة بعضهم في انكار ما عليه الأمة من العقائد والعادات ، وقال صاحب المنار : ان من المتفرجين من يدعو المسلمين الى هدم اصول الشريعة كلها والاستعاضة عنها بقوانين يعرضها حكام كل قطر بأرائهم وان استمدوا اصولها وفروعها من قوانين الأمم الأخرى المخالفين للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم ومصالحهم وان من هؤلاء المتفرجين من يلبس على المسلمين بما يدعوهم اليه من افساد دينهم وهدم شريعتهم التي هي أعظم مقومات امتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من دعاوى الاصلاح (م ٢٠ / ١٩١٧) .

٧ — ويتناول السيد رشيد رضا هذا الموضوع في موضع آخر فيحدث عن دورهم في الصحافة ويقول انهم ابتدعوا دعاية شرا من دعاية المبشرين وهي دعوة جمهور الأمة الى التعميل والاحاد وما يترتب عليهما من الزندقة وإباحة الاعراض والاصول وانتهاك حرمت الفضائل والآداب وحل جميع الروابط التي تتكون منها الأمة من مقومات ومشخصات ، لا يراعى في شيء من اقتراح هذه المفايد الا القاء عقاب الحكومة على مخالفة قوانينها . وحجتهم على هذا الافساد كله ان كل ما كانت به الأمة امة في الماضي قد صار قديما باليا ضارا يجب أن يستبدل به غيره من الجديد نقتبس من النظريات والآداب والتقاليد والأزياء الأوروبية . وقال : اشتد عصف هذه الرياح المتناوحة التي تهب عليهم مما ينشر في الصحف الضارة من المصنفات المفسدة . وقلما توجد في البلاد جريدة أو مجلة تتجنب ما يضر الجمهور في عقائدهم وآدابهم وتتحرى ما يعتقد أنه النافع . ويقول : توجد جرائد يومية وأسبوعية ومجلات تتوخى وتتحرى وتتعمد الدعاية الى هذا الهدم والتجديد على تفاوت بينها في التصريح والتعريض أو التفرنج وأشدها جريدة « السياسة » التي يكلها الحزب الحر الدستوري ومعه في ذلك بل أشد « مجلة الهلال »

المشاوكة لها في أشهر محوريها التي تدعى أنها لسلح حال الشبان المصريين
ففى كل جزء من أجزائها عدة مقالات لدعاة تجديد الاتحاد والزندقة والاباحة
المطلقة ولما تنشر لغرضهم شيئاً يخالفه ، وحسبك أن (سسالة موسى)
هو الركن الثابت المتين فى تحريرها وهو لا يكتفى بما ينشر له من المقالات ،
فى ذلك ، بل يطبع له فى كل عام كتاباً فى تأييد هذه الدعاية الهادئة للأمة
المصرية ولكل أمة شرقية تعزى بفلسفة المادية الانسانية .

وقد زاد هذا الرجل على أخوانه بأنه يدعو الى خلع الجنسية والوطنية
والانضمام الى دولة أجنبية ، ثم انبعا تنشر مجلات أسبوعية مصنورة
(أى دار الهلال) تجرى قراءها على نبذ كل عفة وصيانة وفضيلة سمعت
عنها ، ثم ظهرت منذ سنين مجلة أخرى أشد جراً على هدم الدين والجهر
بالطعن فيه بسخافات من النظريات الفلسفية المصرية ظهر غرور صاحبها
فى دعوى العلم والفلسفة ، وفى معرفة الدين أيضاً ، كما يترجمون بعض
الكتب والصحف الامرنجية ويأخذونها قضية مسلمة (لعله يقصد بمجلة
العصور لاسماعيل مظهر) ، وقد اقتتفت أثر هذه الصحف مجلة جديدة
انشئت فى حلب فانكر عليها بعض الناس ما نشرته من حكاية طعن فى الاسلام
لان أكثرهم لا يزال غافلاً عما تعنيه بالجديد والحديث والاستغناء عن القديم
وان المراد ترك الاسلام من اساسه (مجلة الحديث لصاحبها سامى الكيالى)
ولولا جمود مقلدة الفقهاء الذين احتكروا التعليم الدينى فى بلاد الاسلام
منذ قرون ولولا بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم وهم الذين كان سلفهم
يعنون بالتربية الدينية ليكون الدين وجدانا عند صاحبه لا يقبل البحث
والجدل فانطبقت بعدهم الى افساد لا يقبل الاصلاح لولا هؤلاء وأولئك
لما كان لهؤلاء المفسدين ولا المبشرين أدنى تأثير فى اغواء المسلمين . ويزى
السيد رشيد رضا اشراك هؤلاء مع الملاحدة فى هدم الاسلام من حيث
لا يشعرون : « فهم يفتنون جميع المتطمين على الطريقة المصرية الاستقلالية
عن الاسلام من جانب ويقطعون الطريق على حكماء الدين الراسخين
أن ينشروا حقيقته التى لا يمكن المراء فيها من جانب ثان وان يدهضوا
شبهات الماديين والمبشرين عليه من الطرق العلمية التى لا يمكن انتفاعهم
او الزامهم بالحجج بدونها من جانب ثالث ، وعنده أن رجال الدين قد انقطعوا
فى عصورهم المتأخرة عن الكتاب والسنة وعن مهمتها على الوجه الصحيح

وهما بلا شك مصدر الحياة والقوة وعليها مدار السعادة التامة ، ومن ذلك قول الشيخ على سرور الزنكلونى : ان سبب التأخر الحقيقى هو عدم فهم الكتاب والسنة على الوجه الصحيح لأن فهمهما كذلك يولد الايمان بهما ايمانا قويا والايمان بهما كذلك لا محالة يولد السعادة والقوة والعمل الصالح رغم الصوارف التى ازدحم بها الوجود فالوجود ملوث بمثل هذه الصوارف منذ بدء الخليقة والصراع قديم بين الخير والشر وبين النور والظلمة .
(م ١١٧/٢٩) .

- ٢ -

وفى ضوء هذه الوجهة مضى السيد رشيد رضا فى نقد الفرق الهدامة والنحل الباطنية وكان الاستشراق فى مقدمة هذه الموسعات وقد بدأ الشيخ محمد عبده هذه الخطة برده على هانوتو ، وتزييف المفاهيم التى قدمها (فرح انطون) صاحب مجلة الجامعة وقد انطلقت دعاوى المستشرقين من الخطة التى بداها اللورد كرومر فى تهجمه على الشريعة الاسلامية ، ووصفها بأنها صحراوية وقد رد عليه فريد وجدى ومصطفى الغلانينى وتناول جانباً من الرد عليها السيد رشيد رضا بعد صدور كتاب (مصر الحديثة) لكرومر الذى أعاد نشر هذه الشبهات .

وقد مضى هانوتو على نفس المخطط حين قال بأن الدين الاسلامى يحول دون تقدم المسلمين .

ودخلت جريدة المؤيد وجريدة اللواء الميدان وترجم احمد فتحى زغلول كتاب (الاسلام خواطر وسوانح) من تأليف الكونت هنرى دى كاسترى وهو من احسن الاوربيين رأياً فى الاسلام واحسنهم دفاعاً عنه ، ليكون عبرة فى بيان حقيقة الاسلام وكان رد الشيخ محمد عبده عليه مقحماً وقد نشر الرد فى المؤيد وفى المنار بأعضاء رمزى وقد خطأ الذين كتبوا دعوته الى الفصل بين السلطة الدينية والسياسية وقال السيد رشيد رضا انها من أهم المسائل التى تطلبها أوربا من المسلمين ، وان الجرائد التى تدعو الشرقيين من المسلمين الى مدنية أوربا تجتهد فى اقامة الحجة على أن هذا النجاح موقوف على هذا الفصل ، وقد كتب المنار فى هذا تحت عنوان « الدين والدولة ، والخلافة والسلطة » (م ٣٣٧/٣) وما بعدها و (م ٥٧٧/٥) .

وتابع السيد رشيد رضا كل دعاوى الاستشراق ورد عليها وفي مقدمتها كتاب مرجليوت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السيد رشيد رضا (م ٥٢٣/٩) :

قال في مقدمته : انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وانه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة في قبائل العرب وليس من غرضه الدفاع عنه ولا ادانته وليس من غرضه تقضيل الدين الاسلامى على غيره ولا تنقيحه والطعن فيه . يقول : وترى فيما ينتقده على الدكتور مرجليوت أن السبب في اكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجريء ، وبيان اسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الأقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة « وقد أورد له مجموعة من الأخطاء ، منها قوله : كيف أتته فكرة النبوة لمحمد ذلك الرجل العربى دون سواء ، وقوله : ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كأحد أنبياء اسرائيل ، يقول ان هذا يتناقى مع ما زعمه في غير موضع من انه قام بهذا الأمر عن فكر وتدبير وأنه كان يتعلم ويستفيد ، ويدعى انه ما استفاده من اناس وحى من الله « وكشف السيد رشيد رضا أن مرجليوت في حقيقته حاقق على الاسلام حقد اليهود الدفين وذلك في مغالطاته وشبهاته ، كذلك اثار الى أخطاء لامنس في دعواه عن عرب الاندلس بأنه لم يكن بين المسلمين الذين قاموا بفتح الاندلس الا القليل من العنصر العربى الخالص ، وذلك ليذهب الى القول بأن أكثرتهم من البربر والافريقين ، يقول : يريد لامنس الشيوعى انكار حقيقة العرب ومدنيتهم الاندلسية والاسلامية ليتخذها حجة على عدم اهليتهم للتدين والثقيف والسبق في ميدان الحضارة التى تأتى بعكس ما يقرره المتحاملون من أن الاسلام لم يوفق حتى الآن الى تأسيس مدنية راقية .

واشار الى المستشرق فابرى اليهودى الذى خدع المسلمين فقد كان استاذاً خصوصاً للسلطان عبد الحميد واقام في قصر النجم (يلدر) زمناً طويلاً وكان يطرى سياسة السلطان عبد الحميد فلما عزل السلطان غير رايه وكتب مقالات في مجلة القرن التاسع عشر على اثر خلع عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخلع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع

في نقد عادات الأتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ونسب إلى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الأخلاق وسوء التربية وكشف عن ما أسماه رياء هذا المستشرق وخداعه الرأي العام وطعنه في النهضة الآسيوية والحركة الإسلامية وكان سابقا يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الآسيويين قائلا بوجود مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين فما بال يكتب الآن : « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر وبثمر » (م ١٦/٦٢٧) .

وفي السنوات الأخيرة للمنار اتسع نطاق البحث في كتابات المستشرقين فكتب الأمير شكيب أرسلان في المنار (م ٢٣/٤٣٥) فصلا ضافيا أشار فيه إلى هدف المستشرقين الأساسي حيث يقول : انهم ما استشرقوا ولا خطوا خطوة في هذا السبيل إلا لأجل أن يتعقبوا عورات الإسلام ومثالبه ويخوضوا في أعراض المسلمين ويبحثوا عن زلاتهم ليحسموها ويعرضونها لأنظار الأوربيين بالشكل المستتبع الذي تنفر منه طباعهم وتثور حناظهم وذلك حتى يزدادوا بغضا للإسلام وبعدا عنه ، هذه الفئة من حيث أن استشرقتها هو العمل لخدمة المسيحية وتشويه الإسلام بما أمكن لا تقتصر على تجسيم العورات إذا وقعت عليها بل تبلغ بها سوء القصد أن تقلب الحقائق قلبا وأن ترتكب التزوير عمدا وأن تأخذ بالحوادث الجزئية فتعممها فتجعل منها قواعد وكل شيء تعمله هذه الفئة على قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة فالإسلام بزعمها هو شر محض فينبغي أن تنتقد الناس منه بالحق وبالباطل . ومن جملتها لامانس الشيوعي البلجيكي ومارتن هاريمان الألماني ومرجليوت الانجليزي وفرنسفاك الذي ذكر عنه الدكتور حسين الهرأوى أنه طعن في الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المستشرقين فئة أخرى غرضهم أيضا أن يخدموا المدنية الأوروبية والثقافة المسيحية وأن يثبثوا بما أمكنهم بين المسلمين ولكنهم لا يستبيحون ما تستبيحه الفئة الأولى من الكذب والبهتان وقلب الحقائق واللواذ بكل غرض للتمثيل بالإسلام وأهله، هؤلاء يلتزمون في مباحثهم الطريقة العلمية ولكنهم لا يتحرجون عند أول فرصة تلوح لهم أن يهملوها ويحملوا على الإسلام باسم العلم يزعمهم وأن يجسموا الهنات وأن يعمموا الجزئيات في الأحايين وأن يتجاهلوا

ما عندهم من الطاقات الكبرى التى لا تقاس اليها معايب الاسلام فى كثير ولا قليل .

قال مهندس سويسرى لاحسان الجابرى : لقد نشأنا من الصغر على بغض الاسلام ، وريانا آباؤنا ومعلمونا على مبادئ من العداوة للاسلام ، نحن الآن نعلم بطلانها لكننا بحكم الاستمرار لا نقدر أن نتخلص منها » (م ٢٣ / ٤٣٥) .

وكتب العلامة محمد تقى الدين الهلالى مقالا عن اخطاء المستشرقين وخطاياهم (م ٣٤ / ٥٣٥) قال : ان لهم اخطاء ولهم خطيئات أيضا ، اما اخطاءهم فميشؤها التصور فأكثر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية (الصحفى من يأخذ العلوم من الصحف بدون تلق من العلماء ، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء والحفاظ) ولنضرب بذلك مثلا حول جورج سايلى أول من ترجم القرآن الى الانجليزية وحدث فى الجزء الاول من القرآن أربعين غلطة وله ترجمة رسائل أبى العلاء مشحونة بالأخطاء ، اما الخطيئات فتركبها ثلاثة آخر من المستشرقين (الضرب الأول) : القسيسون المتعصبون كجورج سايلى ومرجليوت وزويمر ومن على شاكلتهم الحامل عليها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام . (الضرب الثانى) : السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف . (الضرب الثالث) : الأدباء الذين لا يدفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة وإعجاب القراء الأوربيين الذين يصدقون كل ما يترعون عن الشرق والشرقيين ، وهناك قسم رابع من المستشرقين بريئون من تعمد الخطيئات منهم توماس كارليل ، وجييون ، وكوتى .

ويواجه السيد رشيد رضا اخطاء كرومر فى كتابه (مصر الحديثة) فيقول : انه فضل القبط على المسلمين تفضيلا من حيث دينهم وما فيه من المرونة التى تساعدهم على مجاراة المدنية مما لا يساعد الاسلام أهله على زعمه رفع نفسه الى مستوى الحكم فى الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو شريعة ونظام اجتماعى محكم من الحيثية الأولى له وعليه

ومن الحيثة الأولى عليه لاله ، وانتقل من الحكم عليه الى الحكم على اهله عامة حتى في مستقبل أمرهم ، وهو كتاب كتب بمداد الحق والحق وقلم الحفيظة والانتقام من المصريين بما فوقوا اليه من سهام وصوبوا اليه من اسنة اقلامهم في وقت مفارقتهم لديارهم ، فهو يريد ان يستل من نفوس احرار قومه فكرة توقيت الاحتلال والخروج من مصر في يوم من الايام ويقتنع اوريا معهم بأنه لا ضمان لحفظ مصالح الأوربيين في مصر بل ولا حفظ مصالح المصريين الا ببقاء الانجليز في مصر ، لأن المصرى شديد التمسك بدينه الذى لا يتفق مع المدنية فان هو تركه واتبع المدنية كما يحب الأوربيون ويصفون كانت مدنيته تقليدية لا حقيقية ، وكان ذلك شرا على المسلم المتدين واشد عداوة للأوربي والمسيحي ولو غير أوربي .

ويرى ان تصريحه بعدم استحسان ضم مصر الى املاك انجلترا وما اظهره من الميل الى اعدادهم للاستقلال هو من التمويه وثر الرماد فى العيون والهاء المصريين بالأمانى والاحلام . (م ١١ ابريل ١٩٠٨) .

— ٤ —

ويواجه السيد رشيد رضا كتاب مصر من دعاة التغريب فيكشف زيفهم ، فهو يدحض مزاعم فرح انطون عن الاسلام التى اوردها فى دراسته عن ابن رشد فيقول : انه الخطأ اعتماد فلسفة ابن رشد على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رينان او من الكتب الغربية ، فان صاحب انجامة ثواب لم يتعلم الا مبادئ علوم المدارس فى مدرسة كفتين فهو لا يفهم هذه الفلسفة ولا هو حسن القصد فى بيان ما يفهم كما علم وتعلم مما ينشره فان دين الاسلام مبنى على العقل كما صرح القرآن الكريم ، وقد زعم صاحب الجامعة ان الامام الغزالى وابن رشد يقولان بخلاف ذلك اى بخلاف ما يتفق به كتاب الله ، حاش لله .

ويعارض فكرة الشيخ مصطفى عبد الرازق فى محاضراته التى القاها فى احتفال الجامعة المصرية بذكرى « رينان » المفكر الفرنسى الذى هاجم الاسلام يقول السيد رشيد رضا (م ٢٤) : لقد طعن رينان فى الاسلام بأنه عدو العلم والعقل وطعن فى العرب بأن عقولهم قاصرة بطبيعتها غير مستعدة لفهم الفلسفة وما وراء الطبيعة وما ذكر فى المحاضرة من تلخيص

كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية ، وقال انه أخطأ في تصوير العقائد المنسوبة الى الاسلام وأنه فضل البربر على العرب في العلم والمدنية بدعوى أن أصلهم من برابرة الشمال الأوربيين لا من همج الساميين ، وقال : أن ثناء رينان على جمال الدين وقومه الأفغان يرجع إلى أنهم من الأرومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التي تستعصى على عقول العرب » .

كذلك فقد عارض دعوى محمود عزمي فيما أسماه : « مدنية القوانين » (مجلد ٢٣/٤٣٥) حين دعا الى وضع قانون مدنى للأحوال الشخصية يسمح للمسيحي بأن يتزوج بالمسلمة ، وقال السيد رشيد رضا : ساء بعض المترنجين أن دين الدولة المصرية الرسمى « الاسلام » وساعت ملاحدة المترنجين المقلدين لأعداء الأديان من الأفرنج في الدعوة الى التقصى من روابط الدين ولا سيما السياسية والاجتماعية منها فقام منهم من يقترح من الإصلاح لمصر في عهد الاستقلال والدستور أن توحد قوانينها فتجعلها كلها مدنية لوضع قانونى مدنى للأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغير ذلك ويعنون بالمدنى ما يقابل الدينى وأصبح المقترح على رايه بأن الشريعة الاسلامية غير عادلة لأنها تبيح للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ولا يبيح أن يتزوج غير المسلم امرأة مسلمة » .

وقد رد عليه كثيرون في جريدة الاهرام (مايو ١٩٢٢) ومن ذلك السعى لالغاء المحاكم الشرعية (م ٢٣/٤٣٥ ، ٥٣٩ ، ٦٢٥) من سعى المترنجين والأفرنج لإبطال الشريعة ، وقال السيد رشيد : ان النص القطعى في القرآن انها ورد بالنهى عن نكاح المشركات ونكاح المشركين ويحل نكاح المحصنات من اهل الكتاب ولم يصرح بتحريم انكاحهم .

كما وقف السيد رشيد رضا وقفة حاسمة بالنسبة لكتاب الاسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق وعرض لفساد رايه ولحكم هيئة العلماء عليه وقال أنه جعل الشريعة الاسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا وان الدين لا يمنع من أن جهاد انتهى كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة الى العالمين

وان نظام الملك في عصر النبي كان موضع غموض وابهام واضطراب وكان موجبا للحرية وان مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشرعية مجردا عن الحكم والتنفيذ وانكر اجماع الصحابة على وجوب نصب الامام وعلى انه لا بد لامة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا وانكار أن القضاء وظيفية شرعية وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت لا دينية » .

وهاجم سيلامة موسى في مطالع حياته وفي أول مؤلفاته (مقدمة السبرمان) مجلد ١٣ ، وقال اننا رأينا المؤلف يتحمس لآراء نيتشي وبليك وشوبنهاور وغيرهم من أصحاب الفلسفة الشاردة التي روحها وملأها حمل الناس على القتل من جميع القیود الدينية والادبية وتقوية الحياة الحيوانية فهم يجب ان يكونوا متسلطين جبارة اقوياء بدل ان يكونوا عادلين مهذبين رحماء وكان لمثل هذا المؤلف الجديد ان يريد اهل الشرق على التمسك بتلك المذاهب الشاذة ولو انه رأى لها اثرا قائما بتلك البلاد التي نبت فيها أولئك الفلاسفة انفسهم ولا يمنع ان يكون لكل ناعق متبعون فان الشذوذ واختلاف المناحي كان ولا يزال داب البشر ولكن المتفرنجين منا يريدون تعميم ما يرون لهم في كل بقعة من بلاد الشرق ناصبين انفسهم من أمتهم منصب المصلحين النافعين وانما هم من المقلدين المساكين الذين لم تقو عقولهم على تمييز النفث من السمين (م ١٣) .

وعرض لكتاب اميل درمنخيم (حياة محمد) وترجمة الدكتور محمد حسين هيكل له ، وقال ان درمنخيم من اقرب المستشرقين الى الصحة في الرواية لانه اعتمد على المصادر الاسلامية واوسعها عنده سيرة ابن هشام واجدرهم بحسن النية فيما اخطأ فيه فان حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتصوير فضائله واشار الى خطأ درمنخيم في القول بالوحي للنفس للنبي صلى الله عليه وسلم « ويعنون به انه تابع من نفس النبي وصادر من استعداد فيه وهو ما يعبرون عنه في هذا العهد بالمقلد الباطن ونعنى به الروح الغيبى المعبر عنه بقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

ويقول ان ما نقله هيكل عن درمنخيم من الكلام عن بدء الوحي المحمدى ومقدماته قد جمع فيه الشبهات التى يمكن الاحتجاج بها على ان هذا الوحي « نفسى » .

وقال انه رد عليه فى كتابه (الوحي المحمدى) واثبت ان وحي القرآن من عالم الغيب بها بسطه من كليات مقاصد القرآن العشر واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده واستحالة ان يكون ما دونها من العلم والفهم والعمل مما وقع او يقع مثله لاحد من البشر فى سن الكهولة . ويقول : لما قرأت مقدمة (بدء الوحي) عجبت لآؤلفه كيف اقر درمنجم مؤلف الأصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها فى كتاب الوحي المحمدى وقد اطلع عليه وذكره فى الكتب التى استمد من مباحثها فى وضعه فان ادرى افعل عن تفنيدي لشبهاتها العشر واثبات الوحي الالهى بكليات ومقاصد القرآن العشر أم ماذا ؟ فهذه المسألة انكر المنكرات فى أصل الكتاب ولم يظن لها الجمهور فيه ولا لفروعها المنكرة وهى كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها .

ونشر السيد رشيد رضا بحثا للأستاذ محمد محمد زهران فى نقد كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل فقال ان الناس استبشروا به عندما بدأ يكتب عن السيرة ، ولكن بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون من تشويهه للحقائق القطعية والاغراق فى الباس الباطل ثوب الحق وصوغ الخيالات فى قالب الحقائق واقرار ما ليس بثابت عن أئمة الدين وانكار ما هو معلوم للخاصة او جلها الا وهو انكار جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ولو انه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتاولنا وقلنا لعله اراد ان القرآن هو المعجزة العظمى التى تتضاعل فى جنبها سائر المعجزات ولكن قد علل الانكار المذكور بأن تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه وأن تجويز شئ من مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل وزعم أن احاديث المعجزات كلها موضوعة اما لمحاولة أن يجعل له صلى الله عليه وسلم من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام واما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى : « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** » فهذا نص لا يحتمل تاويلا فى انه لا يدين بشئ من المعجزات الكونية فانه قرر أن وقوع شئ منها تبديل للسنن الالهية وانه محال ، ويا ليت شعرى ماذا يصنع بالآى القرآنية والعامة من المسلمين . وقال انه هناك امر واحد أساسى لجميع أخطائه المتضمنة لمعجزات الانبياء من نحو انقلاب العصا حية وثلق البحر لموسى

وابراء الاكبه والابرص واحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام .

واشار الباحث الى ان الدكتور هيكل انكر :

- ١ — قصة ابراهيم والكعبة .
- ٢ — اسطورة شق الصدر .
- ٣ — بدء الوحي .
- ٤ — ما نسبته الى السيدة خديجة .
- ٥ — ما قال في الاسراء .
- ٦ — ما عقب به على معجزة الغار .
- ٧ — تلبيسه في قصة سراقة .
- ٨ — دعواه بان النبی صلى الله عليه وسلم اقر المنكر .
- ٩ — عزوه الى عائشة ما لا يليق .

وقال السيد رشيد رضا معلقا على ذلك بقوله : ان اكبر خطأ رأيته تبعا لاصله الفرنسي من شبهات الوحي النفسى يخفى على اكثر قرائه ان على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه من قبل قراءته . فان درمنجم نفسه ينقل رواية رؤية النبی صلى الله عليه وسلم لملك الوحي والتلقى عنه . والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا وان اخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتهما باجتهادهما وما اعتمد عليه في رواياتهما الباطلة لقلة اطلاعهما وعدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والرجوح فيها وأن ابن هشام واستاذ ابن اسحق اخذا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأن قوله انها رؤيا منامية مخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبی صلى الله عليه وسلم .

ثم هون السيد رشيد رضا من المسائل الأخرى .

كذلك فقد اهتم السيد رشيد رضا بصدور دائرة المعارف الاسلامية المترجمة (م ٣٨٦/٣٤) فقال ان هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على ما فيه من الاغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو اخطر من نشر كتب دعاة النصرانية المبشرين وصحفهم لأن هذه قلما تخذع احدا من عوام المسلمين بما فيها من الباطل أما هذا المعجم فانه يخدع اكثر النفاوتين له فيه ولعل فيهم من يعلم ان مؤلفي هذه الدائرة ممن يتربصون بهم

الدوائر (عليهم دائرة السوء) وكان الأمير شكيب ارسلان قد غلق على هذه الدائرة فائشار في (م ٤٣٩/٣٣) فقال ان دائرة المعارف الاسلامية لا تخلو من تحاملات منكرة على الاسلام ، ومن غلطات وخطبات علمية في مباحثها التي تولاهها بعض الفئة الأولى المتحاملة على الاسلام وعلى لجنة الترجمة العمل لتصحيح تلك الاغلاط ، وتستدرك ايضا على فوات المتن ، والا يكون قد أدخلنا في عقول ناشئتنا الجديدة ضلالات لا تخفى باسم العلم والفن وحرية الفكر والاستنتاج التحليلي . وقال : ان « دائرة المعارف » اسم خادع كسور له باب ظاهره منه الرحمة وباطنه من قبله العذاب وهو معجم لفق طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة دينهم ودولتهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معادل الاسلام وخصومه بعد ان عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الضريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وبعد ان عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن بترجمات الباطلة والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم ذلك بأن هؤلاء الملفتين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله الا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه وان اتقان الافرنج للكذب والافك قد فاق اتقانهم لغره مما اتقنوه من علم وعمل . هذه الدائرة من عيوبها انها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لاجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم منها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتطرفة وقال ان التذييلات والتصحيحات والانتقادات التي تقدمها النسخة العربية غير كافية في موضوعها وان هناك مواد كثيرة نشرت بغير تعليق .

وعارض السيد رشيد ترجمة القرآن وعرض لها في مناسبتين الأولى عام ١٩٠٩ فقال : ان ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الاصل متعذرة كما يعلم والترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن فهم من صباه يعتد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون الترجمة هي القرآن وانما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة ، ان القرآن هو اساس الدين بل هو الدين كله اذ السنة ليست ديننا الا من حيث انها مبنية لم ، هالذين يأخذون

بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم لا نفس القرآن المنزل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس انما هو فرع من النص والترجمة ليست نصا من الشارح والاجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا فعلى هذا لا نسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا ان من يعرف لغة القرآن وما يحتاج اليه في فهمه كالسنة النبوية وتاريخ الجيل الاول الذي ظهر فيه الاسلام يكون مأجورا بالعمل بما يفهمه من القرآن وان اخطأ في فهمه اذا بذل جهده في الاهتداء بما انزله الله هداية له . ان القرآن ينبوع الهداية والمعارف الالهية لا تخلق جدته ولا يفتأ تتحدد أسرارها ما لم تظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث « قرب مبلغ أوعى من سامع » وترجمته تبطل هذه المزية اذ تفيد القارىء بالمعنى الذى صورته المترجم بحسب فهمه ، وقد ذكر الفزالى ان ترجمة آيات الصفات الالهية غير جائزة » .

ولما تجدد الكلام عن ترجمة القرآن في تركيا بعد الانقلاب عرض السيد رشيد لموضوع الترجمة مرة أخرى (م ٢٦ / ٤٨١ ، ٥٦١ ، ٦٤١) وما قاله ان ملاحظة الترك ودعاة العصبة الجنسية فيهم قد بثوا في قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى قبل عهد الحرية الدستورية بسنتين وقد أنكرنا عليهم ذلك قولا وكتابة ودحض السيد رشيد رضا قولهم ان غير العرب من المسلمين يمكنهم الاستغناء في دينهم عن معرفة اللغة العربية وعن القرآن المنزل من عند الله آية للعالمين معجزا للبشر على من السنين بترجمته الى التركية والفارسية وغيرها من اللغات . وقال : « ان الترجمة لا يمكن أن يتحقق فيها الاعجاز كالقرآن المنزل من عند الله تعالى ولا يصح التعبد بتلاوتها . ولا يتحقق منها غير ذلك من خصائص القرآن . ولا بهتم الاهتداء بالكتاب والسنة الا بالعناية باللغة العربية ولا شيء أضر على الاسلام في هذا العصر من يدعو الى ترجمة القرآن الى اللغات المختلفة ليستغنى المسلمون بالترجمة عن القرآن المنزل من عند الله تعالى بلسان عربى مبين ، فالغاية هي هذبة النفوس واذا وقعت فان الاعاجم من المسلمين يكونون عرضة لترك الدين » .

كذلك فقد واجه سموم طه حسين : ومفكرات طه حسين وتأثيره متابعة متصلة منذ صدور كتابه « في الشعر الجاهلى » وما تبعه من أفكار شغبوية وتفريبية ، وقد طاردت حركة اليقظة هذا الخطر حتى سقط ، ويصور السيد رشيد رضا هذه المحاولة (٢٩٩/٣٢) فيقول لقد كان هدف الاختلاط هو السيطرة على المدارس وتخريج نشء جديد لا هم لهم في الحياة الا التمتع بالذات الجسدية والزينة في اللباس والاثاث والرياش والتنافس في خدمة الحكومة والتوسل الى ذلك بالشهادات المدرسية ، والتلق للرؤساء المسيطرين من الانجليز .

واهم ما عنى به المسيطر على وزارة المعارف منهم الا وهو القسيس مستر دنلوب أن يطمس كل اثر كان للدين الاسلامى في المدارس الامرية والا يدع للتربية الاسلامية ولا للتعليم الدينى منفذا يشرف منه على القلوب بنشر الاحاد والاباحة بان ينفثا سمومهما في افساد الاخلاق وعبادة الشهوات وعدم الخضوع لآى سيطرة اجنبية ان تتمكن من الازدهار وتغلغل في اعماق الوجدان والهاء للمعلمين والمتعلمين عن ذلك بمظاهر التربية الوطنية الاقليمية التى تفصل بين مسلمى مصر ومسلمى سائر الاقطار ولاسيما العربية .

وقد نجح دنلوب في سياسته اتم النجاح وشغل المدارس بالرياضة الجسدية عن ترويض الارواح ، وكان أن طبع وزارة المعارف بطابع سياسته ووجهها شطر مقصده ، حتى جاء الاستقلال المقيّد وصار أمر التعليم في ايدي الوطنيين ، كان بعض وزراء المعارف من بعده شرا على التربية والتعليم مما كان في عهده بل لم ينهض وزير منهم لاصلاح التربية الدينية ومقاومة نزعات التفرنج وصد تيار الاباحية والاحاد الذى يقترب بالامة في فوضى الاخلاق والفساد . واعجب من هذا اننا لم نر من حزب من احزاب البسلام السياسية ولا من تقاليد الحكومة طريقة متبعة في اختيار وزير المعارف من رجال الاصلاح الملى والادبى الذين يهمهم حفظ دين الامة والدولة ووقايتها من الفساد والفوضى . وكان مثار العجب أن جعل الأستاذ احمد لطفى السيد المحامى وزيرا للمعارف ، حتى اذا ما تولى هذا المنصب مراد سيد احمد القاضي الاهلى زال ذلك العجب واعتقد كل غيور على الدين أن الحكومة المصرية متعمدة القضاء على هداية الدين في الامة بقربية بنيتها وبناتها على الاحاد والاباحية المطلقة . لئن كان الدكتور طه حسين من سيئات الاول بتفديته بمبادئ الاحاد في نفسه وتجربته على بنيتها بعلمه أولا وفي دروسه

في الجامعة أخيراً فان الثاني قد ابتدع في وزارة المعارف من فنون التربية على الاباحية والقاء جلاليب الحياء والصيانة من تشجيع التهتك والخلاعة وتصوير الشباب والشواب مجردين ومجردات من الثياب ما يتضائل أمام ذلك الانسداد القولى .

ليس بكثير على مراد سيد أحمد أن يفترض ارتقاءه الى منصب وزارة المعارف فيبتدع فيها تعليم النابتة المصرية من البنين والبنات لتمثيل الاباحى والرقص التوقيعى وتربيتهم على التجرد من الثياب بحجة الترقى في صناعة التصوير وهو الذى كان قاضيا فرضت اليه قضية رجل يطلب فيها عقاب استاذ في المدارس على التصدى لتحبیب امراته وافسادها عليه بمخاطبته اياها في الطريق بعبارات التصبى والاستمالة فحكم القاضى الذى ارتقى من كرسى القضاء الى كرسى الوزارة بأن ما وقع من الاستاذ المعلم المربى هو مظهر من مظاهر حب الجمال وهو فضيلة من الفضائل وأن القانون يعاقب على الرذائل فحكم ببراءة الفاسق المتصدى لافساد نظام الزوجية وكفى به افسادا للأمة . والغريب المريب أن يجعل مثل هذا القاضى المجدد الاباحى وزيرا للمعارف ولقد ظننت أن الحكومة المصرية قد اجمعت امرها على القاء هذا الشعب المتدين في فوضى الاباحية المطلقة وقذفه في نهور الاحاد والزندقة . وقد أبطل حلمى عيسى البدعتين الاباحيتين متضمنا أن ابتداعهما كان بسوء رأى الوزير ثم أن هذا الرجل جعل طه حسين عميد كلية الآداب في الجامعة مفتشا للغة العربية في الوزارة فأخرجه من الجامعة التى كان يبيت فيها الاحاد فكان لآخراجه ضجة شديدة وقدم الدكتور عبد الحميد سميد استجوابا في مسألة طه حسين واستنكار بقائه في وزارة المعارف واستقال استناذه ومربيه أحمد لطفى السيد .

لقد خدم طه حسين دماء النصرانية بالصد عن الاسلام وبغية عوجا وقتل بعض فلاسفة الافرنج في الشك والتشكيك وهو ضرب من السفسطة قديم ، ولعل سبب تأييد بعض كبار الملاحدة لهم أنهم رأوه مستولفا مستهترا لا يبالى في سبيل الشهرة بالاحاد والاباحية ذما ولا عارا وهم حريصون على نشر هذه الدعوة في الجامعة المصرية ليهدموا بمحاول التخرجين بها كل ما بقى للاسلام في مصر من هداية دينية وجنسية عربية

مهم أرادوا جعل الجامعة حربا على الأزهر والمعاهد الدينية وعلى دار العلوم وخرجوا بأن ثقافة الجامعة المصرية ستحل محل ثقافة الأزهر الدينية في مصر وكان أظهر الأسباب لعناية أولئك الملاحدة بيبث دعايتهم في الجامعة هو اعتقادهم أن الشعب ما زال يظلم عليه الدين .

كذلك فقد كتب (الشيخ رشيد) مقدمة كتاب الشيخ محمد عرفة « نقض مطاعن في القرآن الكريم » الذي فصل الرد على شبهات طه حسين . فقال السيد رشيد رضا : « حذق في صناعة الكتابة فكان ذا رشاقة وخلاصة وألف كتابا وانشأ مقالات دس في بعضها سموم الالحاد وفي بعض آخر مخدرات الإباحة والاغراء بالشهوات فنهض للرد عليه فريق من العلماء والأدباء . سر جميع أهل الفكرة على الدين بإخراجه من الجامعة واليوم يسمعون من الأزهر الشريف صوتا جمهوريا في نقض ما أذاعه مجلس النواب من طعن هذا الكاتب على القرآن العظيم ، هذه المطاعن التي القاهها في دروسه كانت بعد تلك الكلمة التي كانت سببها تحقيق النيابة العامة معه في مطاعن كتابه في الشعر الجاهلي . وقال السيد رشيد : ان موقف الأوربيين من الطعن في الاسلام مقيدة باعتبارين : ديني وسياسي ذلك أنهم رأوا ان الاسلام قد غلب النصرانية على أمرها في الشرق وكاد يظلبها في الغرب أيضا بعد اعتزاز دولها واستبحار ثروة كنائسها فلم يجدوا وسيلة لصد تياره عن بلادهم وسلبة لمسلكتهم وتغريبه لشعوبهم الى محاربتهم بالافتراء عليه والطمع فيه ، وقتال أهله بالسلاح ثم بالسياسة فاحكوا نظام الحريين بعد التهديد لها بتربية الشعوب النصرانية على بغض المسلمين وتلقينهم في البيوت والمدارس أن الاسلام هو العدو الأكبر للمسيحية وما هو في الحقيقة إلا أخو المسيحية وصديقها والمدافع عن حقها والمتم لاصلاحها والمبرى لئيبها من طعن المفتريين وشطط المغالين .

وقوم آخرون رأوا من معجزات القرآن ما أنزل عليه القرآن في العلم وهداية البشر واصلاح شئونهم ما يلجئهم الى الايمان والاذعان ان لم يجدوا لهذه المعجزات تأويلا ينظّمونها به الى سيمط السنن الكونية فتكفوا التاويل لها لابطال كونها من خوارق العادات والآيات الالهية فهذه اسباب طعن الانرنج ومريديهم وتلاميذهم من النصارى والملاحدة (م ١٩٣/٢٣) .

وعرض السيد رشيد رضا لآراء الدكتور طه حسين في مسألة الحروف المفردة في أوائل السور فقال : ان هذه المسألة ما كان ينبغي لمسلم أن يقلد دعاء النصرانية في تشكيك طلاب العلم في القرآن بها وجعلها من مباحث النقد التحليلي في الأدب كما فعل طه حسين وقد فسد الأستاذ الناقض لمطاعنه رأيه فيه وذكرنا فيها علقنا عليه في حاشية ما سبقه اليه بعض المستشرقين وقال ان المختار عندنا في حكم افتتاح هذه السور (السم ص) وغيرها بأسماء وحروف ليس لها معنى مفهوم غير مسمى لتلك الحروف التي يتركب منها الكلام هو نبذ السامع الى ما يلقي اليه بعد ذلك الصوت من الكلام حتى لا يفوته منه شيء ، وانما خصصت سور معينة بهذا الضرب من الافتتاح لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلوها على المشركين بمكة لدعوتهم الى الاسلام واثبات الوحي والنبوة وكلها مكية الا الزهراوين (البقرة وال عمران) وقد علمت أن الدكتور طه حسين تكلم في القرآن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ولا بأخلاص في النقد التحليلي الذي يعلو القرآن على مدارك أهله وعقولهم وعلمهم باللفظة والدين والشريعة ، واذا كان القرآن أصل الدين فلا ينبغي لمسلم أن يأخذ علم بلاغته وآدابه ولا علم هدايته وتفسيره الا من خواص العلماء بتفسيره ويجب عليه ان يرجع اليهما فما عسى أن يتراه او يسمعه لغيرهم من نقد أو طعن أو رأى فيه يخفى عليه .

وقال : ان الأسلوب العصري في النقد الذي عرفنا بحسنه في جملته فهو قديم أيضا وأول واضح لأصوله حكيمنا ابن خلدون وجرى عليه شيخنا الأستاذ الامام في رده على هانوتو وجرى عليه في مقالات الاسلام والنصرانية في العلم والمدنية ، أما ما يكتبه هذا الرجل وأمثاله في مسائل الأدب اللغوي والتاريخي فمنه الصحيح المقبول ومنه الزائف المردود . (٢٠٧/٣٣) .

كذلك فقد كشف السيد رشيد رضا عن أخطاء جرجي زيدان في رواياته وفي أبحاثه بما كتبه الأستاذ أحمد السكندري من تاريخ آداب اللغة العربية وما كتبه السيد شبلى النعماني من تاريخ التمدن الاسلامي ، أما هو فقد كان يعرض لروايات الهلال كلها صدرت حلقة منها .

فيقول في نقده لروايته فتاة غسان وفتح الأندلس (م ٦/٣٩١) :

يحتج هؤلاء بأن في هذا القصص أغلاطا تاريخية حتى في الأمور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله أن أمير العرب على فتح العراق هو سعد بن مالك وهو أغراب فقد كان يدعى سعد بن أبي وقاص وإن كان اسم أبيه مالكا .

ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه إلى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الأول قوله أن أبا سفيان حيا هرقل بقوله : أبيت اللعن ، وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميرين للملوك دون المضرين وله أن يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية .

ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فإنه نقلها من الأغاني فقد أنقص منها قوله : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

ولا شك أن المؤلف قصر في اعتماده على كتاب أبي دون كتب الحديث وكتب السير في أهم شيء في موضوع قصته . كما ذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلًا عن الواقدي وهي أن لفظ محمد في السطر الأول ولفظ رسول في السطر الأوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الأدنى والمشهور العكس .

أما ما ذكره المؤلف عن أبي سفيان مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وإنما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفها مع بعض آرائه وأسندها إلى أبي سفيان لأنهم يحبذون ذلك في القصص لأن العبرة عندهم بالمسائل لا بالرواية وإن سمي أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا ، والمعروف في الصحيح أن أبا سفيان لم يتجاوز أجوبة أسئلة هرقل ومن المسائل الباطلة التي حكها المؤلف عن أبي سفيان مسألة الغرائيق رآها في الطبري فنظّمها في سلك الحكاية والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل ويحسبون هذا التساهل هينا حتما في الأمور الدينية وهو عند الله عظيم .

كما نقد قصة فتح الأندلس فقال : انتقد غيرنا من نبهاء المسلمين على هذه القصص . انها تصور للقارئ أن انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا لسبب ما ألم بالأمم التي فتحوا بلادها كالرومان والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق وهذا غلط لحقوق المسلمين وعلم اعترافاً بشجاعتهم وعناية الله بهم وقد حمل المؤلف عليها التعصب الدينى .

وبالنسبة لرواية الحجاج بن يوسف يقول : وقد رايت من المسلمين من ينتقد هذا الوضع من وجهتين : احدهما أن من شأن القصص أن تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل ، وثانيهما : استئثار نسبة العشق والفسام الى رجال سلفنا الكرام وقد كان بعض المتقدمين كتب رايه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بأن الحوادث الغرامية لم تستد الى أحد من رجال السلف العظام والأئمة الذين يجلون عن الاستئثار بفرام .

كما عرض لكتاب تاريخ التمدن الاسلامى الذى ألفه جرجى زيدان (م ٥١٤/١٤٩/٧) وقد راجعه في كثير من آرائه التى انحرف فيها كما أنه أشار الى أنه يضع أرقام توهم القارئ أن ذلك الأمر كله من ذلك الكتاب وربما كان المراد بفضه وهناك أخطاء عن مال الزكاة فى الخيل والصواب أنه لا زكاة فيها ومثل هذا الغلط لا يسلم منه من يأخذ العلم الدينى من الكتب التاريخية من غير تلقى أحكامه من أهله .

وبالنسبة للجزء الثالث من كتاب التمدن الاسلامى أشار جرجى زيدان الى مسألة دينية تحت عنوان (المأمون والاعتزال) وهى مسألة الخلاف فى القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق ، فانه حرقها بظنه وقسرها برأيه حيث قال بممد أن نوه بفتنة المأمون وميله الى البحث العقلى ما نصه : (فتبين من مذهب الاعتزال واخذ يناصر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفاً من غضب الفقهاء ومن جهلتها القول بخلق القرآن أى أنه غير منزل) فنستلفت نظرك الى قوله : أنه غير منزل بل الى الكتاب كله وقوله ان الاسلام نهضة عربية ولذلك أمر عمر بن الخطاب بإخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ويقول ان هذا غلط سرى للمؤلف من استعمال الأجانب له من عهد بعيد فأطلقه والصواب أن المسلمين فى صدر الاسلام كانوا يطلقون كلمة العرب أحيانا فى مقابلة المسلمين فيعلنون بهم

المشركين ولم يكن اللفظان مترادفين عند المسلمين في وقت ما على الإطلاق بل كانوا يطلقون لفظ المسلم والمسلمين على كل من دخل في الاسلام واذا اطلق على العرب خاصة كان تجوزا بصرف القرينة ولم يخرج عمر غير المسلمين من الجزيرة اجتهدا منه لهذا بل عملا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أوصى بذلك في مرض موته .

وكذلك فقد حاول القول بأن القرآن دعا الى سيادة العرب ، قال رشيد رضا : ليس فيه ما يدل على أن العرب يجب أن يكونوا ممتازين على غيرهم بل يقول :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) نعم ان تأثير العرب له تأييد لهم اذ لولاه لم يخرجوا من ظلمة جاهليتهم ولكن فتح بلاد الروم والفرس لم يزد الصحابة اعتقادا بها ذكره .

ونظرا لظروف اشتراك السوريين النصاري في العمل الصحفي فقد كان الشيخ رشيد حريصا على مجاملتهم خاصة صاحب الهلال وصاحب الاهرام ، ومن اجل ذلك نشر مقالات النقد لكتاب التمدن الاسلامي التي بعث بها السيد شبلى النعماني واعتذر بانه كان غائبا في الهند اiban نشرها وانه لو كان حاضرا لأزال منها بعض العبارات غير أنه بعد ان توفي جرجي زيدان كاشف قراءه بحقيقة الرجل فقال :

« ظهر بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة تقذفها نزعة عبرية احياء لمذهب الشعوبية ذلك بانه - أي جرجي زيدان - زار الاسكندنة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ثم عاد متشبعا بالنهضة التركية مستفكرا مجازاة العرب لآخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوبا خطة الاتحاديين الاولى في تتريك العناصر وادغام العرب في الترك وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة فهاج عليه قراءه . وقال ان لجرجي زيدان مطاعن في العرب وأودعها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (اقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره بالتتابع .

كذلك مُقد واجه السيد رشيد رضا الدعوى الى القاديانية والبهائية وكشف في فصول متعددة على سنوات متصلة اخطار هاتين النحلتين ولقد اتصل الحديث عن القاديانية منذ المجلد الثالث من المنار حتى المجلد الواحد والثلاثين :

فقد كشف أن غلام أحمد القاديانى رجل مضلل ادعى أنه هو المسيح عيسى بن مريم وان الله تعالى قد أوحى اليه بذلك وقد نسخ من أحكام الشريعة الجهاد وكان يستدل على صدق دعوته بقصيدة نظمها وادعى أنها معجزة كالقرآن وبكتاب في تفسير الفاتحة سباه اعجاز أحمدى وأكثره لغو لا يفهم واستنباط معان لا تدل عليها الألفاظ بحقيقتها وقد رد عليه علماء الهند وفندوا دعوته وقد مرّن أتباعه على المناظرة والجدل وانصرفوا الى دعوة الأسر في الهند وانكثروا والولايات المتحدة (م ٣) .

وفي فصل آخر مطول تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القاديانية الملقبة بالأحمدية) يقول : ظهرت بدعة القاديانية في مصر بعد أن كانت محصورة في الهند فصارت كاليهائية ذات دعاة وأتباع يثبون تعاليمها في رسائل يطبعونها ويوزعونها وقد ادعى ميزرا غلام أحمد القاديانى في الهند أنه المسيح المنتظر وأن الوحي نزل عليه بذلك وقد ردنا عليه في عصره . وفضل كثير من المسلمين بدعوى البهائية والقاديانية فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة ومساعدة لهما في الهند وإيران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها . وقد نسخ وجوب الجهاد ثم علمنا أنهم يدمعون باستمرار الوحي والنبوة في أتباعه أى في زعيم القاديانية بعده ميزرا بشر الدين محمود أحمد زعيم الحركة الأحمدية (م ٥٧٨/٤) .

وعاود السيد رشيد رضا الحديث عن القاديانية فاشار في المجلد ٣٩١/٣١ أنه قد طبع في سوريا رسائل متعددة في الدعوة الى نحلته فأتخذ بها شاب دمشقى عنده هوس اسمه منير الحصنى جاء مصر متمنيا لو يلقانا لنتكلم معه . وأشار الى أن أخطر ما يدمو اليه مسيح الهند القاديانى الدجال : نسخ الجهاد وخدمه للانجليز وادعاء النبوة وقد خالف القاديانيون في ذلك اجماع المسلمين فيها هو قطعى معلوم من دين الاسلام بالضرورة فخرجوا بذلك عن الملة الاسلامية ، وقال ان أخطرها مسألة نسخ الجهاد

وما فيها من اطراء الانجليز بالمدح والحكم بوجوب شكرهم على حماية المسلمين
وتحريم جهادهم ومن قوله ان الجهاد انقطع بطبعه بظهور المسيح اذ زالت
غربة الاسلام وضعفه وانتصر اهله على النصارى .

وأولى السيد رشيد رضا اهتماما بالغا للبهائية فقد استكثفها في
مطالعها الاولى ١٨٩٩ وتحدث في السنوات التالية عن البابية فقال انهم قوم
ارتدوا عن الاسلام وحدثوا لانفسهم ديناً وضعياً مؤلفاً من امشاج الوثنية
والمدينة وهم يستخفون به ويظهرون من مظاهر النفاق ليتمكنوا من تشكيك
كل اهل دين في دينهم ولا يزال دينهم سرىا ولذلك يتمكنون من مخادعة اهل
دين ولاقتناعهم بأنهم منهم ولكنهم يريدون اصلاحهم ولا يطمعون احداً على
كتبهم الاساسية (م ٢٣٢/٦) .

وواصل السيد رشيد رضا مواجهة البابية والبهائية بعد ان كشف
عن البابية وزيف دعواها في مقالات متعددة متصلة في المجلد السابع
(٣٥٣/٣٤٤/٣٣٨) فقد أورد اقوالاً للباب التي يدعى أنها منزلة ليحكموا
حكماً صحيحاً . ولما كانت البابية هي باب البهائية فقد أخذ يكشف زيف
البهائية والاعتقاد بربوبية والوهية البهاء وأنه هو الذي بعث الانبياء
والرسل وقد ظهرت البابية والبهائية في ايران .

وأشار الى كتاب تاريخ البابية ومفتاح باب الابواب لمؤلفه ميرزا محمد
مهدي خان كما عرض تاريخ البابية ومناظرات العلماء للباب (ميرزا علي
محمد الشيرازي) الى ان قتل ثم ذكر مزاعم البابية وما جرى لأصحابه من
بعده من الفتن والتفرق والنفي ، الى ان قام منهم حسن علي الملقب بالبهاء
واستمال أكثرهم ونجح لهم دين الباب وادعى انه الأصل .

ثم جدد السيد رشيد رضا دعوته في المجلد الثالث عشر فقال : ان
هؤلاء الباطنية قد قصدوا من وضع تعاليمهم الاولى محو الاسلام وازالة
سلطانه من الارض ، وضمها بعض مجوس الفرس لما فتح المسلمون بلادهم
وأزالوا ملكهم واستعانتوا عليها بالشيعة وهم حزب سياسي يرى ان الحكومة
يجب ان تكون (أرستقراطية) للاشراف من آل بيت النبي صلى الله عليه

وسلم فصاروا يثبتون دغوتهم في هذا الحزب لحمله على الغلو في بغض عمر بن الخطاب (الذي فتح بلادهم) وأبى بكر وجمهور الصحابة الذين كانوا أقرب الى القول بحكومة الشعب (الديمقراطية) وتمدد وجد هذان الحزبان في الاسلام ووجد فيهم حزب الفوضوية أيضا وهم الخوارج كما وجد ذلك عند غيرهم . وخلق الغلو طبعى في البشر ، ولذلك نجح الباطنية في دعوة غلاة الشيعة الى تكثير جماهير الصحابة ورميهم بكتبان بعض القرآن ولم يدروا أن ذلك يعد طعنا في أئمة آل البيت الذين يتعصبون لهم لأن رئيسهم عليا كرم الله وجهه كان يحفظ القرآن كله فلماذا لم يظهر المكتم على أنه كان يمكن أن يثبت ذلك سرا في أهل بيته وأشار الى أن غرض الباطنية اخراج الشيعة من الاسلام ، ولما ظهر غلاة المتصوفة توسل الباطنية بهم الى مقصدهم أيضا فأضلوا كثيرا من الناس ولكن الاسلام ظل غالبا على أمره في الصوفية أيضا الا من كان من انصار الباطنية .

وقال انهم يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بالوحيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم ، وقد جاء الاسكندرية ١٩١٠ وهاجم المؤيد الذي تحدث عنه بتقدير كأنه مصلح عظيم .

وفي المجلد الرابع عشر واصل السيد رشيد رضا حديثه عن البهائية فقال ان الباطنية هم سلف البهائية وأشار الى عباس أفندي وسعيه الى نشر البهائية في أمريكا وكان سبب دخول الملايين في هذا الدين وقال انه أجرى مع داعيتهم مناظرات متعددة وثبت عندى انهم من الباطنية الذين كانوا يظهرون للمسلمين وكذا لغيرهم انهم منهم وعلى ملتهم ، هؤلاء البهائية اذا دعوا النصرى في أمريكا مثلا الى نحلتهم قالوا لهم انا نصارى مثلهم نؤمن بالوحيه المسيح وبمجيئه يوم الدينونة وقد جاء المسيح كما وعد في ناسوت البهائية وكذلك يقولون للمسلمين انا معكم ونطلب اصلاح حالكم باتباع المهدي المنتظر والمسيح الموعود بل يقولون ان دين برهما ودين زردشت حق وان ربنا وربكم هو البهاء او بهاء الله دفين عكا في بلاد الشام ولا يفصحون عن عقيدتهم كلها لاحد دفعة واحدة وانما يرتفعون به درجة بعد أخرى وقد وضع سلفهم هذه الدرجات وجروا عليها وقتلهم الماسون

فيها (أى الدرجات فقط) وتصارى دعوتهم الرجوع الى نوع من الوثنية ملون بلون جديد من الوانها .

ويقول السيد رشيد رضا : اذا كان عباس افندى مسلما فليكتب لنا مقالة ينص بالنص الصريح على أن سيدنا محمد بن عبد الله هو خاتم النبيين والمرسلين ولا دين بعد دينه ولا شرع ينسخ شرعه وان القرآن هو آخر كتب الله ووحيه لأنبيائه ورسله وأن معانيه الصحيحة هي ما دلت عليه مفرداته وأساليبه العربية . نكتفى منه بهذا ولا نكلفه أن يتبرا مما سمعناه من أتباعه في القول بالوهمية والده ونسخ للشريعة الإسلامية كجعل الصلوات اثنين بدل خمس بكيفية غير كيفية صلاة المسلمين وان كان لا يكتب من تلقاء نفسه فاننا نكتب له أسئلة ونطالبه بالجواب عليها .

وفي معرض الحديث أورد نصا للشهرستاني تحت عنوان الاسماعيلية في دين الباطنية الاسماعيلية الذين كانوا يخادعون الناس زاعمين أنهم مذهب اسلامي وان أهله هم الفرقة الناجية وكانوا يستدرجون الضعفاء بهذه السفسطة الموهبة ويستدلونهم بما يحملون اليهم من حجج العقل فيستدوهم به عن العقل ويسترضونهم بالخضوع الأعمى لكل ما ينقلونه من أمامهم وقد هدم ستطنتهم العلماء الاعلام كالغزالي في كتابه القسسطاس المستقيم وغيره .

وأشار السيد رشيد في المجلد الخامس عشر (٢٢٣/٧٣١/٩٠١) الى كتاب جديد صدر بعنوان (الحراب في صدر البهاء والباب) لمحمد فاضل كتبه بعد مجيء عباس افندى زعيم البهائية الى القطر المصري كشف فيها من زيف هذه النحلة وواصل صاحب المنار حملته عاما بعد عام ففى المجلد ٧٠٨/٣٣ أشار الى « هذا الدين الجديد الذى هو طور عصرى لضلال الباطنية القديم » وكان عباس افندى أوهى مؤسسيه وتأثيره حتى انه حظر الى اليوم اظهار كتابهم الذى يسمونه (الكتاب الاقدس) لانه اذا تناولته الايدى يتعذر نشر الدعوة فى كل شعب وقطر بها يناسب افكار أهله وعقائدهم ومشاربهم وقد خدع كثير من عقلاء المسلمين واذكيائهم بتفانيهم ودهاء عباس افندى الذى كان يدعى أنه من المسلمين المسلمين

فانخدع غيرهم لهم . وان منهم (احمد صفوت) الذى اقترح على المسلمين
هدم نصوص القرآن والسنة والاجماع والأخذ بمقاصد القرآن دون دلالة
لفظه فى الاحكام .

* * *

ولم يتوقف السيد رشيد رضا عن مهاجمة كل منحرف فى هذا الطريق
ومن هؤلاء الشيخ محمد الوزير الذى ألف كتابا جحد فيه معجزات الرسل
عليهم السلام وحاول تفسير القرآن بالقرآن دون اللغة والسنة ، وأباح
مخالفة الرسول بمحض الراى وتقرير النزعة المادية فى انكار ما وراء المادة
المدركة بالحس ، (م ٣١) .

الفصل السادس

شبهات التبشير والتشكيك في حقائق الاسلام

لقد اقتحم السيد رشيد رضا في نطاق دعوته الى الاصلاح وتحريير العقيدة الاسلامية من زيف الجمود والدعوات الهدامة ، هذا المجال الجديد في الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ويمكن القول بأنه من رواد مقارنات الاديان التي بدأها تحت تأثير التحدي الخطير الذي وجهته كتابات المبشرين في الهجوم على الاسلام ، فكان لابد من تعرض واضح للكتب القديمة والكثيف عن أخطائها من خلال كتابات الغربيين أنفسهم عنها ومن أقلام أناس اهتموا الى الاسلام حديثا وكان لهم المام بهذه الكتب وما تحويه وقد صادف ذلك الوقت الذي بدأت فيه اوربا تهاجم الكتب القديمة وتعرضها على المنهج العلمى الحديث وتتهمها بأنها بشرية وانها ليست منزلة كذلك اتسع نطاق البحث بعد أن كشفت الكنيسة الكاثوليكية عن مخططاتها في التبشير والتبصير بين المسلمين على طول هذه المنطقة من جافة الى الجزيرة العربية . كذلك فقد استعلن الحق عندما عثر على انجيل برنابا الذي كتبه احد حوارى السيد المسيح والذي أنكرته المجامع المقدسة لأنه يكشف حقيقة واضحة هو أن السيد المسيح نبي مرسل وليس الها . كل هذا ، عنى السيد رشيد رضا به وتابعه في جدارة وبراعة خلال حياته كلها .

ولقد واجه السيد رشيد رضا هذه المعركة بذكاء وحكمة شديدين ، ذلك أنه في نفس الوقت الذى كانت قوى الاستعمار توجه حملات التبشير الى بلاد المسلمين كان هناك في أوربا زلزال يواجه النصرانية وتتكشف أبحاث علماء اللاهوت على حقائق جديدة بالنسبة للكتب المقدسة ، وللتوراة والانجيل ، كما ظهرت في نفس الوقت آراء لأعلام أمثال تولستوى عن حقيقة الانجيل كذلك فقد أعلن لكثير من المفكرين الغربيين موقفهم من الاسلام أمثال اللورد هدى وعبد الكريم جوصو فكان ذلك كله من العناصر التي آزرت الشيخ في دعوته ورجحت كفته .

تحدث النار من التبشير الغربى لأول مرة فى المجلد الثالث (١٩٠٠) وأشار الى مقال نشر فى المؤيد عن انتشار النصرانية فى افريقيا وما يتصل بمهمة المبشرين المسيحيين الى مستعمرة السنغال ومستعمرة الكونغو البلجيكية وأوغندا ، (كاثوليك وبروتستانت) ثم تالت الأحداث فنشرت الجمعية الانجليزية المكلفة بالدعوة الى النصرانية كتابا اطلقت عليه « تنوير الأفهام فى مصادر الاسلام » .

سلك الكتاب فى الرد على الاسلام المسلك الذى جرى عليه بعض علماء أوربا فى هدم الديانتين اليهودية والنصرانية اذ ألفوا كتباً بينوا فيها مصادر كتب العهد العتيق المسمى بالتوراة وكتب العهد الجديد المسمى بالانجيل أو الاناجيل ورسائل الرسل . . وقد بين العلماء مصادر اليهودية والنصرانية وبنوا بالدلائل التاريخية والأثرية واللغوية مصدر عقائد هذه الكتب وماخذ احكامها من ديانات الاولين وتقاليدهم وأثبتوا أن الأسفار المنسوبة الى موسى قد كتبت من بعده ، كذلك سائر الأسفار قد كتبت بعد من نسبت اليهم .

وأشار الى أن شريعة حورابى قد ظهر أن معظم التوراة الحاضرة مأخوذة منها ، وقال أنهم أرادوا أن يحاربوا الاسلام بالسلاح الذى حاربوا به فقد أخذ مؤلف الكتاب الفاظاً وردت فى الكتاب والسنة مما كان مستعملاً عند العرب أو غيرهم من الأمم والفاظاً أعجمية أخرى ولكن لم يعرف أن العرب نقلوها عنها وجعلوها هذه وتلك دلائل على أن دين الاسلام نفسه مأخوذ عن الأمم التى وجد فى الفكر العربى ما هو مغرب عنها أو يشبه أن يكون معرباً ، ومن ذلك زعمه أن الاسلام أخذ حكم توحيد الله تعالى من العرب لأنه ورد اسم « الله » واسم « الإله » فى أسفارهم قبل البعثة ، فقد جهل المؤلف المسكين أن كل الأمم تعتقد بالله تعالى ولكنها تشرك به وتزعم أن له أبناء أولياء يعمل بواسطتهم فهو غير مستقل بإرادته تمام الاستقلال ولا يقدر أن يكرر خطيئة آدم مثلاً بدون خطيئة صلب المسيح .

وقال السيد رشيد رضا : أن الكلمة التى أهدم بها هذا الكتاب فهى أن محمد النبى الأمى بعث ليهدى الناس الى صراط الفطرة السليمة باصلاح ما أفسدوا من دين الأنبياء واقامة الدين على أساس الاستقلال

والعلم دون التقليد للرؤساء . وهذا الكتاب يثبت للنبي الأمي الاطلاع على جميع اديان الأمم وتقاليدها وعاداتها ولغاتها واستخراج قواعد الاسلام واحكامه منها (م ١٠١/٧) .

٢ - وأشار الى ما نشرته صحيفة كبرى لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التي نشرتها البعثات النصرانية في الطعن بدين الاسلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقته في ذهنه من مطالعة تلك الكتب ، يقول السيد رشيد رضا : ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما انشأ له المنار ، ولكن سننتا التي جرينا عليها من أول يوم هي مسألة المخالفين لنا في الدين ولاسيما المسيحيين بل السعى لازالة الاحقاد والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ونود الا يطعن أحد في دين الآخر لا قولاً ولا عملاً ولا كتابة ، ولكن المسيحيين لا يوافقونا على هذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعتدون بالجمعيات للطعن اللسانى في الاسلام وينشر في الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى واننا نصبر على هذا المعتدى ونكتفى بكشف شبهات السائلين من اهل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول : المطالع لكتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير أن يطالع الكتب الاسلامية التي يتأهلها بالمثل وتدفع شبهاتها وردت عليها ما لا دافع له ككتاب (اظهار الحق) وكتاب (السيف الصقيل) وغيرها ، على أن يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها يقوم بالموازنة بينها .

وشبهاته تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامى لما ورد في كتب اليهود والنصارى .

٢ - ورود اشياء في القرآن لم ترد في تلك الكتب .

٣ - ورود اشياء في الكتاب والسنة مخالفة للواقعـة والتي تثبت في العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم .

والتوراة التي يشهد لها القرآن هي كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الاشوريين والكلدانيين وغيرهم فيأتى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ما ورد فيه ما لا يليق نسبته الى الله كقوله : انه تعالى ندم على خلق الانسان ، فيالتوراة

حق وهى الشرائع والأحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده أنبياء بنى اسرائيل عليهم السلام وأخبارهم ، ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها ما لم يعلم مؤلفه وكلها كتبت بعد موسى صاحب التوراة بزمان طويل وبهذا تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى من القرآن وكتاب حزقيال واسميا ودانيال لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تقترب بسمة القدم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح جرى فى سبيل التغليب بل اننا نرى من النصارى ^{١٣٣} ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عندها تكون ^{١٣٤} مجمعة

أما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والأحكام والحكم وكان يعظ به ويعلم الناس ، وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبرا وان حكما او عقيدة فهو لمن قاله والنصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلا ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بازمنة مختلفة . والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحتفظوا بجميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالانجيل حيث قال : « ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحي لما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه .

(م ١٧٩/٤)

٣ - ولم يلبث السيد رشيد رضا أن كشف عن مواجهات للنصرانية فى أوروبا فكتب تحت عنوان زلزال النصرانية فى أوروبا (م ٩٤/٦) فقال :

انس النصارى واليهود بها فى كتبهم من الدلائل على عدم الثقة ، بنقل التوراة والانجيل ، وكابروا انفسهم والناس بدعوى تواترها مع أن شرط التواتر أن ينتهى سند الرواة الذى يسجل تواترهم على الكذب لكثرتهم الى ما جاء بالكتاب كان ينتهى تواتر التوراة الى موسى نفسه لا الى عزرا الذى لا يعلم أحد من أين جاء بما جاء به . ولكن القيامة قائمة فى أوروبا لاكتشاف شريعة حمورابى (ملكى صادق) وبيان أنها توافق هذه التوراة فى أحكامها وتخالفها بعض المخالفة فى تاريخها لأنهم لم يرو مجلا فى هذا للمكبرة والمواربة . يجلب العلامة اللاهوتى الإثري (بليتش) خطبة

مطولة في برلين حضرها تبصر الألمان وقال في خطبته على رموس الأشهاد ان شرائع التوراة منقولة عن الشرائع الباهلية وليست وحيا من الله واستنتج من ذلك انه لا حاجة الى دين وراء وجدان الخير المغروس في الفطرة . وقد فزع هذا العالم النصراني بهذه القارعة في ذلك الملاء العظيم فترزلت هي ولم ترززل مكائد من نفوس القوم ، وقد عجب الناس ان رأوا غليوم الثانى الذى اقام اوربا واتعدها ثم دعى الى محاربة الصين ، يلاطف عالما لاهوتيا اثريا بعد ان قضى على هذا الدين القضاء المبرم . بعد هذا اجتمع القيصر بهذا الخطيب ليضع للنصرانية مذهبا جديدا يستبقى به كونها الهة سياسية تنتفع بها اوربا في مقاومة الشرق ، ذلك انه رأى ان يخطو في هذا السبيل خطوة بعد خطوة وان يختص بهذه الآراء رضاءه اللاهوتيين ويودعها كتبهم . وقال السيد رشيد رضا انه (اى الامبراطور) لا يعتقد بلاهوت المسيح ويرى ان ليس في التوراة شئ من الوحي والنبوة عن يسوع انه المسيح وقال : ان محمد رسول الله الذى جاء عن الله تعالى بعلوم وعمل بعناية الله تعالى اعمالا لم يسبق ما يقاربهما لغيره ولن يلحقه بها يقارنها غيره فشريعتهم اعدل من شريعة التوراة ولا يمكن ان يوجد اكتشاف يظهر انها مستقاة من شريعة اخرى والوحدة التى كونها بنفسه احوج الى المعونة الالهية المحضة من الوحدة التى كونها بسمارك وغليوم الاول .

٤ - وتابع السيد رشيد رضا ما ينشر في الغرب من دراسات للاستفادة بها في دفاعه وفي تأييد ما جاء به القرآن من فساد نسبة التوراة التى في ايدى الناس الى الوحي ، ومن ذلك ما ذكر من ان الكلمات التى مازجت لغة هذه الكتب العبرية لم تكن معروفة على عهد موسى عليه السلام واستنتج من مباحثه ان هذه الكتب اللفت بعد ان سبى البابليون بنى اسرائيل بازمنة مختلفة بعد هذا ظهر من علماء الألمان نبأ اخطر من هذا وهو انه وجد في الآثار التى اكتشفت الى عهد قريب في خرائب سوس من بلاد بابل شريعة حمورابى او ملكى صادق منقوشة على عمود حلم الصفا (الصوان) .
(م ٦١/٦)

وكان قد تناول هذا في المجلد الرابع و اضاف الى هذا ما ذكره صاحب كتاب (سلامة الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية) صرح بفتورها

وانقطاع عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين في مدة ملك منسا وآمون ، وقال الأمر مستحيل أن ينفى نسخ موسى الأصلية في الوجود الى الآن ولا يعلم ماذا كان من أمرها والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما ضرب بختنصر الهيكل .

ومن مجموع ما كتب في هذا الشأن يمكن تقرير النقاط الآتية :

خلاصة ما يقوله علماء أوربا هو أن شريعة حمورابي التي وجد أنها توافق التوراة في أحكامها وتخالفها بعض المخالفة ، هذه هي التي نقلها إبراهيم عليه السلام من بابل الى فلسطين عند قدومه إليها ، وإن موسى قد اقتبس منها كل ما رآه يصلح لسياسة بني اسرائيل وبذلك تكون الشريعة التي يفخر اليهود والنصارى بأنها الهية ، مقتبسة من الشرائع الوثنية ويكون موسى مزورا بادعاء أنها أوحيت إليه من الله (حاشاه حاشاه) .

ويعلق السيد رشيد رضا على هذا فيقول : إن هذه التوراة لا خلاف ولا نزاع بين أهل الكتاب في أن التوراة التي لقنها موسى عليه السلام قد فقدت ثم وجد عندهم غيرها والأخبار في ذلك معناه ، يستدلون على أن عزرا كتب التوراة بعد فقدانها لما أذن لهم ملك بابل ارتجشنا بالعودة الى بلادهم أمر كاهنهم عزرا أن يضع لهم قضاة وحكاما يعملون بشريعته وقد كتب لهم عزرا هذه التوراة الحاضرة وأودعها ما كان لا يزال يحفظه من وصايا الرب وأضاف إليه ما حفظه من شريعة الملك فجاءت هذه التوراة مزيجا من الشريعتين كما تبين الاكتشافات الجديدة وكتب العهد العتيق الذي يسمون مجموعها التوراة تؤيد كون الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى قد كتبت بعده بزمن طويل .

٥ - كذلك فقد نشر المنار مقدمة كتاب الأنجيل للفيلسوف تولستوى (م ٢٢٦/٦) وقال ان تولستوى ألف كتابا أرجع فيه الأنجيل الأربعة الى أنجيل واحد حذف منها ما لا يوثق به من الأقوال التاريخية والخوارق الكونية .

كما أشار الى مناظرة عالم مسلم لدعاة البروتستانت في بغداد (السيد هبة الدين صاحب مجلة العلم في النجف) حول قضايا عديدة منها تقديس الانجيل والمسيح النبى ، ورجعة المسيح ونزول عيسى .

كما نشرت المنار مذكرة عن أعمال المبشرين في السودان ومساعدة الحكومة الانجليزية لهم وقد جاء فيها ان المبشرين يعملون في حمل الاهالى الى ارسال اولادهم الى مدارسهم الى الآباء والتودد اليهم واعطائهم الطعام والاقمشة ، ويعلم المبشرون في مدارسهم اصول الدين المسيحى والقراءة والكتابة وبعض العلوم الضرورية .

٦ - في هذه المرحلة كان الدكتور محمد توفيق صدقى الطبيب الذى دخل فى الاسلام قد بدأ ينشر فى المنار جلة مقالات مستفيضة حول القضايا المثارة وموقف الاسلام منها تحت عنوان [الدين فى نظر العقل الصحيح] (المجلد الثامن) من المنار وقد تناولت هذه الفصول شبهات الماديين وشبهات النصرارى وقضايا النبوة ومسائل مختلفة حول السيدة مريم أخت هارون والسامرى ، وآزر ابو ابراهيم وجبل الجودى .

كذلك فقد بدأ السيد رشيد ينشر فصول انجيل برنابا التى طبعها فى كتاب مستقل بمقدمة قال فيها (م ١١) :

نرى مؤرخى النصرانية قد أجمعوا على انه كان فى القرون الاولى للمسيح اناجيل كثيرة وان رجال الكنيسة قد اختاروا منها اربعة اناجيل ومن الاناجيل المرفوضة : انجيل برنابا وبرنابا حوارى من انتصار المسيح الذى يلتقيهم رجال الكنيسة بالرسول صحبه بولس زمنا بل كان هو الذى عرف انتلاميذ ببولس بعدما اهتدى ورجع الى اورشليم ومقدمة الانجيل قاطعة بان بولس انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح لكن تعاليمه هى التى غلبت وانتشرت واشتهرت وصارت عماد النصرانية ويذهب بعض علماء الانرنج الى ان انجيل مرقس وانجيل يوحنا من وضعه كما فى دائرة المعارف الفرنسية .

واشار السيد رشيد رضا الى ان تولستوى كان يتطلع الى ظهور انجيل برنابا وأشار اليه فى كتابه فقال انه من تلك الاناجيل الى رفضتها الكنيسة وقد بقى تحت حجاب الخفاء حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء وان هؤلاء الباحثون لا يصدهم شئ عن احياء الآثار القديمة وهم يتوقون الظفر بنسخ من هذا الانجيل لينشروها بين الناس . . . »

وقد ظفروا بنسخة باللغة الإيطالية كانت قد سرقت من مكتبة
الفاتيكان (م ١٠ / ٣٨٥) .

٧ — ويتابع المنار حملته في مجال ارساليات التبشير فينشر فصول
الكتاب الخطير الذي عثر عليه السيد محب الدين الخطيب وأذاعه في جريدة
المؤيد سنة ١٩١٢ وهو الكتاب الأشهر (الغارة على العالم الاسلامى) او
فتح العالم الاسلامى ، يتحدث عن جهود جمعيات التبشير الكاثوليكية
والبروتستانتية في مصر والهند والبحرين ، عربتها المؤيد عن مجلة العالم
الاسلامى التى تصدرها في فرنسا (الارسالية العلمية المراكشية) وكانت
هذه المجلة قد أنشئت منذ خمس سنين وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد
فارس تحت النفوذ الروسى الانجليزى واعتداء ايطاليا على طرابلس المغرب
ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها في التوسل بالعلم الى المقاصد
السياسية والدينية ، ويرأس تحريرها المسيو ثاتليه ويكتب فيها لويس
ماسنيون المستشرق الذى اقام في بغداد سنين عديدة وكان في مصر منذ
سنين وقد كان لنشر هذا الكتاب في المنار بعد المؤيد أثر كبير ولا يزال
(م ١٥) .

وفى مواجهة هذا أخذ ينشر الدكتور محمد توفيق صدقى صفحات تحت
عنوان بشائر عيسى ومحمد في العهدين العتيق والجديد بها حديث طويل عن
اليهود والسبى البابلى وافساد اليهودية للمسيحية وتحريف كتب النصارى
والتثليث . وابطال ما يستدل به النصارى على الوهية المسيح في العهد
القديم .

كما نشرت حديث طويل عن الاناجيل وبشارتها بنبينا وعن لفتها
ونسخها القديم وغلطها وتحريفها ، كما عرض المنار للرد على كتابات
المبشرين والمستشرقين في قولهم بان القرآن ليس سوى مجموعة اقوال
مقتبسة من التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس بقلم هنرى جونغستون ،
يدعو قومه الى مقاومة كل تعليم دينى على القرآن لئلا يرتقى المسلمون به
فيخرجون من العبودية التى يريد لها لهم .

ونشر المنار فصولا أخرى منها دخول عبد الكريم يوسف جومنو
الفرنسى في الاسلام وتاليف كتابه الذى تتول مقدمته :

« وجدت في الاسلام دينا سمحا سهلا المأخذ بين العقيدة واضح
انبرهان مجردا من الفموض لا يفتقر اتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة
فارتضيته لنفسى والحمد لله فقد مكثت عشرين سنة ابحث عن الدين الحق
لاكون من شيعته (م ١٧/٢٢١) .

وأورد السيد رشيد رضا عرضا لكتاب سلامة موسى (نشوء فكرة
الله) عن خلاصة كتاب لجرانت أشار اليه الكاتب الانجليزي مقال : شاب قبطي
الجنس مادي الاعتقاد يعنى باقتناع الناس بأن الاديان أوضاع مخترعة
ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي وأصول الاشتراكية وهي
من آراء غلاة المادية من الانرنج أن يعمل الأقوياء باهلاك الضعفاء ومنهم
من الزواج وقد اثار هذا الكتاب جدلا شديدا وكتبت عنه جريدة مصر القبطية
بحثا ثم رد عليهم السيد رشيد رضا مطولا (م ١٧/٢٢٣/٤٧٨) .

٩ - وعرض المنار لما أشار اليه الباحثان الأوربيان : جورج سيسل
والكربوكراميين والتربيين في ترجمة القرآن الشريف وغيرهم من اقدم فرق
انصارى الذى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر من
تلاميذه يشبهه شبها تاما ، وفي أنجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذى
صلب هو يهوذا الاسخريوطى وهو الذى قالت عنه كتبهم انه انتحر يوم
النصلب لأنهم لم يجدوه والظاهر أنهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث ولذلك أخفيت
تفاصيل قصته في سفر الأعمال .

وتولى الدكتور محمد توفيق صدقى هذا الباب بوصفه كان مسيحيا ثم
حسن اسلامه ، وأجرى عديدا من البحوث حول عقائد النصرانية وكتب
العهد الجديد كما نشر في تفسير القرآن فصلا مطولا عن عقيدة التثليث
(م ١٦) .

كما نشرت المنار مقالا مطولا في الرد على ما نشرته مجلة الشرق والغرب
من الطعن على السنة وصحتها والشرعية ومقاييسها فقد طعنت في السنة
النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشرعية وترك العمل بها وانها
لا قيمة لها في نفسها (م ١٩/٩٧) .

٩ - واليك نموذج مما كان ينشره صمويل زويمر كبير المبشرين في
البلاد العربية في الصحف الامريكية من اكاذيب وإباطيل استدرارا لأموال

الأمريكيين بحجة أنهم سيحصلون على نصر قريب في بلاد المسلمين وهي خدعة معروفة تقوم بها الارساليات المسيحية في كل مكان وعصر .

قال : ان الجاهدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الأدنى وأن دور الأولياء والكهنة قد انقضى فأصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي وقال ان اللورد رادستوك القى في جمعية الشبان المسيحيين عدة مواعظ وجدت ترحيبا وحفاوة ، فدل ذلك على أن الفرصة سانحة للتبشير بين طبقات كافة المسلمين الذين يمثلون المجموع الأعظم خاصة وان الأبواب انثى كان مستعدة أن تفتح ، أصبحت الآن مفتوحة على مصراعها لقبول الدعوة وقال انه مما يشجع على ذلك أننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية وحتى معلمى الجامع الأزهر .

فقد جاء في مؤلف لأحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح يبين فيه جلال المسيح وتأثيره العظيم في التاريخ ، ان الاسلام لا يعترف رسميا بصلب المسيح ولا آلامه فأصبحت خشبة الصلب هى العثرة في سبيل ايمانهم ولكن هذه التعاليم لم يعد يستغربها عقل المسلم . لقد غلب الاسلام في ساحة الحرب فأصبح مخدوعا في مظاهره مضطربا في برامج ، وعليه فانه أصبح ناضجا مستعدا لقبول التعاليم المسيحية ، اذ بات يفهم ان الله لم يعد يحارب لأجل الاسلام كما كان يحارب قبلا وان تلك الخطط التى كانوا يلبسونها ستارا من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب لم تجدهم نفعا فان اليهودى يرجع الى فلسطين وأصبح المسيحي في مصر وسوريا يرغع رأسه بعد أن كان ذليلا مهانا . ان الطلاب الأبيض ابتدا يزول فالتعلمون من المسلمين يقررون الكتب الافرنسية والانجليزية على الاخص كتابات (لانيس ، كانياتى ، موير ، ملكوليت) وغيرهم ثم ان خدائيشى من كلكتا ترجم مؤخرا كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانجليزية منتقدا الديانة الاسلامية أكثر مما كان ينتقدها في خطاباته وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث تعاليم المسيحية « يقول السيد رشيد رضا معلقا :

تد يرى المستشرقون في هذا الجهاد انتصارا لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آبائهم ،

وقوله أن الطعن قد قضى عليه بكسر الدولة العثمانية واقتسام البلاد العربية هو خطأ محض ، وإن أوربا قد جنت بهذه الحرب الوحشية ومعاهدات الصلح على المسيحية وعلى المدنية الأوروبية اقيح جناية (م ٢٢ / ١٩٢١ م) .

١٠ - وأشار المنار الى أن مجلة المشرق (الجزويتية) بدأت تصرح بالطعن في الاسلام اذ زالت الحكومة العثمانية التي كانت تمنعها من التصريح فتتوارى أحيانا وراء ما يحتل التأويل ، هذا وإن دعاة البروتستانتية في مصر وغيرها لا يزالون ينشرون النشرات والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والتنفير منه والدعوة الى دينهم حتى مللنا من النظر فيها . هذه المطاعن من أشد ما ينفرهم من النصرانية ويزيد العارفين بدينهم اعتصاما به ومحافظة عليه .

وأشار الى أن مسألة الوهية المسيح أصبحت في بلاد الانجليز موضوعا لأهم المباحثات والمناقشات بين المفكرين المشتغلين بالمسائل الدينية والفلسفية ولاسيما رجال الاكليروس الانجليكاني ، على ما نشرته جريدة الديلي تلغراف (م ٢٣ / ٢٦٧) .

وأشارت المنار تحت عنوان (بعثة تنصير المحدثين وبرنامج كيدها للإسلام والمسلمين) قال : في ألمانيا أرمي اسمه الدكتور لسيوس ، تقدم شهادة ضد الاسلام في رسائل بعث بها مصدر النشرة المدعوة بالشرق المسيحي ، فقد حصلت على مجموعة كاملة للسنة الاولى من مجلة المشرق المسيحي سنة ١٩٠٠ التي تصدرها البعثة الدينية في ستة مراكز عمل في بلاد الدولة العثمانية واثنان في بلاد فارس واثنان في بلغاريا وفي مقال بعنوان (واجبات البعثة المحدثية ومهمتها) وصف قدر الدين الاسلامي وقال ان الاسلام من أشأم ما ظهر في تاريخ الانسانية فهو خليط من الصدق والكذب وهو لذلك أشد خطرا من الوثنية وإن الدين المسيحي على ما ترى مليون رأس ليس من السهل التغلب عليه فيجب تحضير خطة دقيقة تكون كالحكم الخطط الحربية وضعا ، لمهاجمته وانفاذ هذه المهاجمة بالنجاح وسائل التنفيذ . مع ضرورة مراعاة اختلاف أنواع المسلمين ، ولا ننصح بالكف عن العمل لتنصير المسلمين في البلاد الاسلامية المستقلة ونوصي بالبحذر دائما في

لوسائل لانتقاذ من يؤتى بهم الى المسيحية واستخدام الجرائد والنشرات
الحملة على الاسلام والترغيب في المسيحية (م ٧٨٥/٢٤) .

١١ - أشار المنار الى أن القس المحترم الفريد نلسن الدينماركى
المقيم في دمشق وجه أسئلة الى المنار يقول فيها : انه من الواجب على كل
متنور أن يعرف الكتاب المقدس الذى أسس عليه تمدن الغرب ، ويقول :
هل الأحسن من يتمسك بدين من الأديان بعد الامتناع ويطبق حياته عليه
أم الذى يبقى في دين آبائه بدون اعتقاد داخلى ؟

قال السيد رشيد رضا : ان المبشرين في مدارسهم الامريكية وغيرها
يشككون الطلاب المسلمين في دينهم ولا يقتنعونهم بالنصرانية فيخرج الكثيرون
منهم ملحدين أو منافقين فضلا عن خدمة المدارس ومستشفياتها لمطامع
السياسة الاستعمارية حتى قال لورد سالسبرى الوزير الانجليزى المشهور
عن مدارس المبشرين أنها أول خطوة من خطوات الاستعمار لأن أول تأثيرها
احداث الشقاق في الأمة التى تنشأ فيها فينقسم بعضهم على بعض باختلاف
الانكار والشك في الاعتقاد فتتمكن الأجنبى من ضرب بعضهم ببعض وينتهى
ذلك يتمكن المستعمرين من نواصيهم وسلب استقلالهم واذلالهم وسلب
ثرواتهم .

وقال : ان بناء تجديد الغرب على المسيحية دعوى ممنوعة على
اطلاقها وباطلة بالصفة التى يدعيها المبشرون في هذه الأيام لاستتمالة
المفتونين بالمدنية الأوربية الى النصرانية بها ، فقوانين الغرب أبعد شرائع
الأمم عن شريعة التوراة الا في القسوة على الضعفاء والمفلولين ، وآداب
أهله أبعد من آداب جميع البشر عن آداب الانجيل من كل وجه ، فمدنية
الأمم الغربية مادية شهوانية قوامها الكبرياء والتعالى وعبادة المال والطمع
والرياء والاسراف في الزينة والشهوات فأين هى من اصول آداب الانجيل
المبنية على التواضع والزهد .. أما العلوم والفنون وشكل الحكومات
المقيدة فلم يكن أثرا من آثار انتشار تلك المجموعة في بلاد الغرب بل كان
من آثار العرب والاسلام ، فما انتقل الى أوربا من الأندلس العربية
الاسلامية وما حمله غزاة الحروب الصليبية اليها من سوريا ومصر
الاسلاميتين . ثم قال : ان نشر هذا الكتاب كان نقمة ومصيبة على أهل

البلاد التي نعرفها بما أحدث من الشقاق والتعادي بين أهلها ، ومما لم يقررهُ اللورد سالسبورى وان جميع أهل العلم والبصرة من أهلنا في البلاد السورية يعلمون اليوم حقد القوم وأنه ما أفسد ذات بينهم وفرق كلمتهم وحرّمهم نعمة الأخوة الوطنية الا مدارس المبشرين ونزعاتهم (م ٢٥ × ١٨٨)

ولما كان السيد رشيد رضا ملها ومتابعا لكل ما يظهر في البلاد العربية الاسلامية فقد كان قادرا على الاحاطة بالتيارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل بالشام ، ذلك أنه ما لبث أن كتب تحت عنوان الاغراء بين النصارى والمسلمين حيث ورد كتاب جديد من بيروت ألفه أحد نصارى لبنان لتأريث العداوة والبغضاء بين أهل وطنه جمع فيه من كتب التاريخ احاديث جعلها مما ينقمه النصارى من حكومات المسلمين وخاصة ما يتصل باضطهاد أسبانيا لمسلمى الأندلس ويهودها (م ٧٠٩ / ٢٥) كما اثار الى أن القس بولس مسعد ألقى عدة خطب ومحاضرات في مصر وسوريا وفلسطين لدعوة المسلمين فيها الى النصرانية وجمع ذلك في نسخة .. وزعم أن القرآن يثبت عقيدة التثليث وانها عين التوحيد الذى يدعو اليه وغند المنار كذب هذه الفرية (م ٧٩٧ / ٢٥) .

١٢ — وكان من أخطر ما أثر في هذه المرحلة (عام ١٩٢٧ تقريبا) ما أذيع عن مشروع بريطاني جديد لتنصير جزيرة العرب (م ١٤٠ / ٢٨) فقد ترجم المنشور الذى اذاعته جمعية تبشيرية في لندن تحت عنوان (يسوع المسيح لبلاد العرب الآن) .

وهى دعوة الى تنصير بلاد العرب التى فيها من أربع ملايين الى اثنى عشر مليوناً ولم يدخلها التنصير بعد ، ولم تبلغهم دعوة الانجيل ، بلاد العرب ، هى مهد الاسلام وفيها مكة التى هى القبلة لزهة مائتين وعشرين مليوناً من المسلمين يتوجهون نحوها) وقال النداء :

من يذهب الى هناك من حجاج المسيح ويهدى اولئك الحجاج الذين لا يحصيهم عد هداية بنعمة الله حتى يصيروا حجاج المسيح وحده . هذه دعوة الى أبناء اسرائيل أن يتقدموا الى الإمام الى بلاد العرب . ان الحاجة شديدة الى مائة مبشر يذهبون الى قبائل بلاد العرب المهملّة التى لم تبلغها الدعوة بعد ، هناك نحو مائة قبيلة في بلاد العرب يمكن تبليغهم الدعوة وهم

يسكنون بلادا غير انجيلية مساحتها ثلثا مساحة الهند . « القس باركلين » .
احمل الكتاب المقدس الى العرب . اذهب أنت بنفسك . ارسسل
غيرك لا تقطع صلاتك لأجل بلاد العرب ، ادع بلاد العرب والعرب الى
المسيح .

« الجمعية العالمية الصليبية للتنصير في العالم وبلاد العرب (لندن) »
وفي نفس الوقت الذى كان السيد رشيد رضا يدحض الدعوة الضالة،
ينحدث عن : (تحول الكنيسة الانجليزية عن التقاليد النصرانية) عن جريدة
الدبلى اكسبريس (٢١ نوفمبر ١٩٢٥) . . حيث قالت ان القس انج ينكر
المعجزات : وان هذه قنبلة مصوية الى قلب الكنيسة حيث قال القس
انج :

« ان مسألة ان المسيح نزل في جوف الارض ثم قام من قبره في اليوم
الثالث وصعد الى السماء بجسده ، ليس من اللائق بالكنيسة أن تفكر
في هذه المشكلة التى ظلت نحوا من أربعمئة سنة وهى ترغم الناس على
الاعتقاد بها » .

ويشير القس انج في كتابه تحت اسم (العلم والدين والحقيقة) الى
قول اللورد بلفور : ليس بين القراء من يعتقد أن الكتاب المقدس ليس الا
كتابا تاريخيا ومرجعا للعلوم الكونية لا يمتاز على غيره الا بأنه موصى به ،
والقس انج يسلم بأنه موصى به اما مسألة تنزيهه عن الخطأ فينكرها البتة
ويقول : ان بعض العقائد المسيحية أصبحت لا يمكن التصديق بها علميا
فلا يمكن التصديق بها دينيا . ان معرفة ان الأرض ما هى الا كوكب يدور
حول الشمس وهى واحدة من ملايين الأجرام السماوية : ذلك الاكتشاف قد
مزق النظرية المسيحية التى تقول بأن الأرض هى مركز العالم وانها كطبق
يحدده فطاؤه وقال القس انج : ليس امام المسيحيين الا ان يعتبروا ان هذه
الاساطير الدينية لا تتمشى مع روح العلم ولكنها تحمل على أنها رموز عن
حقائق أزلية ، وان تعترف بأن كل التقاليد اللاهوتية المؤسسة على النظرية
التي تقول بأن الأرض هى مركز العالم يجب أن تنبذ ما دامت لا تتفق مع
النتائج العلمية الصحيحة .

١٣ - ولا يلبث اللورد هدلى رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية ان يدحض مطاعن المبشرين فى صاحب الرسالة الاسلامية ، فقد نشرت المجلة الاسلامية (اسلاميك ريفيو) التى يصدرها خوجه كمال الدين مقالا مطولا بقلم اللورد هدلى الذى اعتنق الاسلام منذ عشر سنين ردا على مفتريات المبشرين حيث قال : انى أشعر بالأسف وأنا أقرأ كتابات الارسلالات المسيحية عندما أجد أن أحد رجال وطنى يضطر الى الأخذ بالرياء والتمويه والتحريض لكى يقرر آراءه نحو الدين وانه ليذهل أن يرى القارئ الى أى مدى تسير العصابات الدينية المسيحية .

وانظر الى وجه الصورة الآخر : الا تدهشك رؤية مظاهر روح التسامح والحسنى التى يقررها القرآن وذلك الهدوء الذى يلاقى به المجتمع الاسلامى الحملات القوية العديدة القيمة التى تحمل عليه وعلى ديانتها باسم عيسى الكريم أحد انبيائه ، واذا كانت هناك كلمات شديدة يدافع بها المسلمون عن كرامتهم الا انهم لم يلجأوا الى مثل هذه التهم الملفقة كى يكون فيها أهم اسلحتهم التى يهاجمون بها خصومهم (م ٢٩) .

كذلك فقد نشرت المنار فصلا مطولا عن أزمة الصلاة فى انجلترا وهو فصل كتبه الأمير شكيب ارسلان . عن موقف البرلمان البريطانى برفضه التعديل المقترح فى كتاب الصلاة مراعاة للتطور الاجتماعى والدينى والسياسى فى الأمم النصرانية وتقريبا للبروتستنتيين من الكاثوليكية أمها وقرر ابقاءه كما هو بالرغم من الوف طلاب التجديد وذلك فى مجال الرد على الدعاوى التى كانت تثار فى البلاد الاسلامية عن أن حكومات الغرب منفصلة عن الدين وأن الدين منفصل عن السياسة وأن أوروبا لم تبلغ هذا المبلغ من الرقى الا بفصل السياسة من الدين وأن الحكومات الأوروبية لا تتدخل فى المسائل الدينية فى بلادها بل تعدها خارجة من اختصاصها وقال ان الشرقيين المساكين يصدقون هذه الأقاويل لعدم اطلاعهم على الحقائق . وقد انحصر الطعن الجديد فى كتاب اسمه الصلاة العامة ، وهو كتاب قداس وكتاب مزامير وطقوس ويمتاز بأمور كثيرة عن كتب الكنيسة الرومانية وكان المطلوب أن تلقى الأوراد وطلب الشفاعات والاستغاثات بالقدسين وبمريم العذراء (م ٢٩ / ٢٠١) .

كذلك اشارت المنار الى دعوة الانجليز لاهياء ذرى غردون في السودان بتتصير مسلمى السودان فقد وجه نداء بمناسبة ذكرى مقتل غردون للاكتتاب ببلغ ٦٠ الف جنيه لتخليد اسمه بعمل هو اشادة كنيسة من اكبر الكنائس التى تنشئ فى بور سودان وعطبرة ووادى مدنى تسمى كنيسة غردون التذكارية (م ٧٦٥/٢٩) .

وقد انشأ السيد رشيد رضا فصلا مطولا فى العام الثالث والثلاثين بعد ان رفعت الرقابة فى مصر عن تاريخ التنصير والتبشير ومساعدة الحكومة نه فقال : ليس فى مصر من الحملة الدولية الصليبية على الاسلام ، كل ما فى المستعمرات الأوربية منها ، ليس منها مسألة كمسألة البربر فى المغرب ، ومسألة العلويين فى سورية . ولا كمسألة التخنيس فى افريقيا الفرنسية كلها ولا كمسألة الجلاء والابادة فى طرابلس الغرب وبرقه اذ لا مجال فيها لهذه الحملات وهى ذات حكومة اسلامية مستقلة بنفسها ، معترف باستقلالها فى جميع الدول ، وما كانت سيادة الدولة العثمانية السياسية عليها الا مزيد حضانة لها ووقاية من هذا النوع من الحرب الصليبية . ثم قال : لقد اعتدى على استقلالها الفرنسيين ثم الانجليز ، وقد اعتدى على استقلالها الفريقتان وغيرهما بالتعليم الالحادى وبجميع وسائل التنصير من دعاية لسانية وكتابية وتعلم وتطبيب واغراء واغواء بالمال والشهوات وغير ذلك ، وقد وجدوا من حكومتها المتفرجة كل مساعدة مالية وادارية على جميع ذلك وكان نجاحهم فى التعليم الالحادى اثم من غيره فهو الذى جعل نفوذهم السياسى والأدبى والاقتصادى يعلو ولا يعلو ويحطم كل ما تحته من نفوذ الحكومة المصرية ومن حرمة للأمة المصرية واشتد هذا النفوذ من عهد اسماعيل باشا الى اليوم فكانت مدارس الأجانب الالحادية والتنصيرية تساعد من الحكومة المصرية بالمال وبهبة المبانى والأراضى وباعفاء ما دبر لها من بلادها من الكتب المراد بها هدم الاسلام وغيرها من رسوم المكس (الجمرى) . وكان الوزراء والكبراء ثم الأوساط فالفقراء ما زالوا يعلمون اولادهم ذكرانا واناثا فيها ويفضلون تربية القسيسين والرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات على تربية المدارس المصرية الأميرية وغيرها ، ولم يكن أحد ممن يقدمون بأولادهم فيها يبالى عاقبة هذا التعلم فى جنايته على الدين والدنيا ، أما الدنيا فلأن زمامها فى ايدى هؤلاء الافرنج فصار تطلب

بالزلفى عندهم وقال لورد سالسبورى : أن مدارس المبشرين اولى خطواته الاستعمار فان أول عملها احداث الشقاق في الأمة التى ينشر فيها إما الدين فلأنه لم يعد مما يراد في مصر من التربية والتعليم اذ قررت الحكومة المصرية جعل ما كان واجبا من تعليم والعمل به أمرا اختياريا لا شأن له ولا يطالب التلاميذ به فصار الدين في مدارسها كالشيء اللقأ (اللقأ بالفتح ما يلتقى وي طرح لعدم الحاجة اليه) وهى تعلم ان أمما من الامم يجعلونها من الفرائض القطعية التى لا هوادة فيها يجمعون عليها كل من أبناء دينهم ومن المسلمين . وتعليم الازهر وملحقاته للدين أصبح عقيا في هذا العصر كما بيناه بالبرهان مرارا وأقمنا الحجج اللسانية به على شيخ الازهر لهذا المعهد والخرافات الدينية ناشية في الأمة من جهة ونزعات الاحاد والتفرنج من جهة ثانية فخلا الجو للمبشرين في التعليم الدينى بالأساليب العصرية الموافقة لأذهان التلاميذ ومبدأ الدين قطرى في أنفس البشر فان لم توجد من يلقنه من النشء دين الفطرة المعقول قبلوا من يلقنهم أى دين كان قبل الرشد واستقلال العقل . ذلك ولم توجد في مصر هيئة دينية حكومية ولا أهلية تتولى أمر التربية الاسلامية العامة ومراقبة سيرها في الأمة والعناية ببث التعليم الدينى السهل والوعظ العام في طبقات الأهالى ولا سيما تعليم انبيات وارشاد الأمهات كالكهنيات البطركية والحاخامية عند النصارى واليهود ولم يوجد منها جمعيات اسلامية تتولى ذلك بنظام عام الا ما تجدد في السنين الأخيرة من الجمعيات الوعظية الضيقة النطاق . وكان أول من فطن من المسلمين بأمر تنصيرهم في مصر المصلحان العظيمان الأفغانى ومحمد عبده في القرن الماضى وكانت أول حادثة أن طفلة التبشير الأمريكية نصرت فتى مصريا وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين بكنيستهم في حى الأريكية فكبر ذلك على السيد معهد الى جماعة من الايرانيين بخطفه من الكنيسة ووضعها في مكان خفى ففعلوا وذهب هو وتلميذه الأكبر الى ذلك المكان واستنابا الفتى واقتنعه بأن الاسلام هو دين الله وسميا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة فلم يسمع لهما أحد ، وكان الشيخ محمد عبده أول من فكر في خطر المدارس الأجنبية في مصر فاقترح على مجلس المعارف الأعلى الذى ألف في مصر بسعيه ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م أن تقرر جمل جميع مدارس الأجانب في القطر المصرى تحت مراقبة الحكومة ، ثم نكبت

البلاد بالاحتلال الإنجليزي اثر الثورة العربية فقدت حكومتها كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم ، والقيت مقاليد وزارة المعارف المصرية في يد قسيس انجليزي (مبشر) جعل سكرتيرا لها فمستشارا ثم اعترفت مصر بعد الحرب الاولى بالاستقلال مقيدا بتحفظات لا تمس التعليم الحكومى ولكن الدين الاسلامى لم يزد بذلك الا ضعفا في مدارس الحكومة والاقواف العامة والخاصة وتعارضه قوة دين النصرانية في جميع المدارس الاجنبية . وبلغ من مساعدة الاحتلال البريطانى لدعاية المبشرين بسيطرتها على الحكومة ان امر اللورد كتشنر وزير الاوقاف بالغشاء المستشفى الذى بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى هرمل التبشيري لانه يصرف كثيرا من فقراء المسلمين عنه فيحرمون من التبشير بالنصرانية .

وجرت محاولة لغلاق المنار لانه يتصدى بالرد على اراجيف التبشير النصرانى وحاول اللورد كتشنر اغلاق المنار وقال رشيد رضا انه لن يدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون في الاسلام ويدعون المسلمين الى دينهم لان الرد عليهم وتقنيدهم شبهاتهم فرض من فروض الكفاية لا ارى في البلاد مجلة او جريدة تقوم بها فان تركتها كنت اثما كجميع القادرين عليها ، وقالوا ان الدكتور محمد توفيق صدقى شديد اللهجة ويكتب ما يعد طعنا صريحا في الديانة المسيحية لا بياننا لعقائد الاسلام ولا مناظرة المبشرين .

ويعود السيد رشيد رضا بالذاكرة الى المجلد السادس من المنار (١٩٠٤) حيث قدم عرضا لآخطاء التبشير فقال : لدعاة النصرانية المبشرين عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لا غرض لها الا تنصير المسلمين وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على انشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم وعمل الخير ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام وتنفير المسلمين من الاسلام بالاضافة الى النشرات والاوراق الصغيرة التى ينشرونها في المستشفيات والخطب التى يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم ان يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامى كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام فسبعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر

ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بإلغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ومحاكمة صاحبها هو والدكتور محمد توفيق صدقي .

وقد سألنا ثقلنا : اننا اقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يتم به بعض المسلمين اثم الجميع . وكما جرى العمل على تعطيل المنار ففى السودان صودر واحرق واستمر المنع حتى عام ١٣٤٥ .

وقال : حدث هذا كله والأزهر لا يبدى ولا يعيد حتى صار القس زويهر يدخل الأزهر ويزور بعض علمائه في بيوتهم داعيا الى النصرانية حتى كاد يبطش به صديقنا الشيخ على سرور الزنكلونى في الأزهر واشتهرت الحادثة .

ومما ذكره السيد رشيد رضا في الرد على كتاب نقولا عبريل في الدعوة الى النصرانية والطعن في الاسلام : ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وان ما يسمى التوراة ليست هى انتوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانها توراة القرآن هى الاحكام التى جاء بها موسى عليه السلام .

الفصل السابع

ما حققته حركة الإصلاح من نتائج

- ١ -

توفي الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ وعاش السيد رشيد رضا بعده حتى عام ١٩٣٥ وصدر المنار خلال هذه الفترة لم يتوقف عن الإشارة الى حركة الإصلاح التي قام بها الأستاذ الإمام ولا عن متابعتها في جميع ميادينها وتبنيها ودفعها الى الامام من خلال الاعلام تلاميذ الشيخ المفتي وكان منذ بدا المنار يشير اليها على أنها « النهضة الاسلامية في مصر » أو حزب الشيخ المفتي كما وصفها اللورد كرومر - يقول في المجلد الثاني من المنار :

كان مبدا هذه النهضة في مصر رجل أعجبى الوطن علوى النسب وهبه الله من ذكاء العقل وذكاء الفطرة ما يتدر منه في الأجيال الكثيرة والقرون الطويلة الا وهو الحكيم الاسلامى الشهير السيد جمال الدين الأفغانى نور الله مرقده ، قرأ العلوم الاسلامية واساليبها ومقاصدها وبرع في الفنون العقلية كالحكمة القديمة والكلام والأصول ثم نظر في الفنون الرياضية والفلسفية على طريقة أوربا الحديثة وسلك طريق التصوف سلوكا كاملا واضاف الى علمه الواسع في التاريخ الاختيار بالسياحة ، وعنى أشد العناية بدراسة أحوال الاسلام وتعرف أمراض المسلمين الاجتماعية التي أرجعهم عن مقدمة الأمم الى ما وراءها ووقف نفسه على تنبيه المسلمين من غفلتهم وأرشادهم للقيام بواجب شئونهم حتى تلحق الأمة الاسلامية بالأمم العزيزة ، ولجأ جمال الدين الى عالم السياسة وحاول أن يكون الإصلاح من جانب الملوك والأمراء وكان أن سلك في مصر طريقه الإصلاح الملى وهو التربية والتعليم فأتبرى له علماء سوء الذين وضعوا في طريقه الأشواك والعوائر وحاربوه بسلاح الدين في شبهات ثلاثة :

١ - أنه كان يعرف الفلسفة ومتوغلا في العلوم العقلية .

٢ - عدم التقيد بالعادات التي ألفوها ولونوا الكثير منها بلون ديني .

٣ - ان كثيرا من المترددين عليه والملتفتين حوله كانوا لا يبالون أمر الدين .

ثم قال : ان أمثل من اتصل بالسيد من الذين تربوا في مهد الدين علما وعملا العلامة الفضال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وهو الرجل المفرد الذى تشبه نظرته الذكية نظرة السيد جمال الدين وتماثل تربيته

تربيته ... الخ .

وفى خلال حياة الشيخ محمد عبده عمدت المنار الى تسجيل رحلاته وخطواته (رحلاته الى الجزائر وتونس) ورسائله الى العلماء والكبراء وتقارير اصلاح التعليم واصلاح المحاكم الشرعية والرد على الطاعنين والحديث عن هجرته الى اوربا واخراج مجلة العروة الوثقى مع جمال الدين ورحلته الى سوريا ودروسه ، والرد على فرح انطون وعمله فى انشاء الجمعية الخيرية ودراسات عن اتصالاته بفكرة توحيد الاديان وصلته بالمستشرق بلنت وبكرومر . واثار الى ان كرومر فى تقريره عام ١٩٠٥ الذى نشره المنار (م ١٠) قد اطلق على هذه الحركة عبارة « حزب الشيخ محمد عبده : حزب الاصلاح الاسلامى » كما ان المنار كشف فى هذه السنوات وجهة نظر الشيخ محمد عبده فى كل أمور السياسة والاجتماع فكان للمنار موقف مع مصطفى كامل وكان له موقف مع اللواء بشأن العصبية الجنسية ، ومعارضته للشيخ محمد بخيت ومعارضته للمتصوفة واخبار نازلى فاضل (صاحبة الصالون المعروف) الذى كان يضم (سعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم من المتطوعين الى الحكم فى مصر) كما انه عرض لموقف كرومر من الجامعة الاسلامية (ابريل ١٩٠٧) وكان فى تقرير لكرومر الاخير قبيل استقالته كلام عن الشريعة الاسلامية فحواه انها لا تصلح لهذا الزمان (وقد رد عليه كثيرون ، منهم فريد وجدى ومصطفى الغلاينى وعلى يوسف) وكلام عن الجامعة الاسلامية وعن دنلوب وموقفه من اللغة العربية واذا كان السيد رشيد رضا لم يعرض لهذه الأمور فى وقتها الا انه بعد خروج كرومر استفاد فى الكشف عن اخطائها (المكناس م ١١) كما نشر كثيرا من تراث الامامين « الأنفائى وعبده » ومنها كتابان سياسيان لهما (م ١٠) .

كما عرض لما أورده كرومر فى كتابه مصر الحديثة عن مصر وعن الشيخ محمد عبده (المجلد ١١) .

وقد أشار في (المجلد ٦) بالتفصيل الى رحلة الشيخ محمد عبده الى الجزائر وتونس وكيف أنها كانت من أجل رعاية حركة الإصلاح بهما وقد دعا فيها الى الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طريقتها القريب والجد في الكسب وعمران البلاد عن الطريق (المشروع) الشريعة مع الاقتصاد في المعيشة) ومسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وقال ان الشيخ محمد عبده ألقى درسا أو خطابا في تونس على ملا عظيم من العلماء والفضلاء وقال : « قصدت هذه الديار للتعرف ببعض المسلمين والنظر في أحوالهم وأمور دينهم من حيث العلم والتعليم والاعراب عما في ضميري مما اتيناه لأخواننا المسلمين من التقدم في العلم » .

وفي حياة الشيخ محمد عبده أخذ المنار في نشر تفسير الشيخ الامام للقرآن بدهاء في المجلد الثالث وكانت المنار تقدمت فصلا مطولا في المجلد الاول عن القرآن وارشاده الى علم الاجتماع وعن السنن الكونية في القرآن وارشاد القرآن الى علم الاجتماع .

كما عرض المجلد الثالث من المنار لقضية جماعة الصوفية واعتبرها جزء من قضية الإصلاح الاسلامي فهاجم البدع والضلالات والأحاديث الموضوعة عن التبرك وشفاء الأمراض والرقص والتمايل .

كما أورد ما يتصل بتقرير اللورد كرومر عن الشيخ محمد عبده ١٩٠٥ (م ٩) الذي أشار فيه الى أن الشيخ أفتى المسلمين بما أوجد لهم بابان يحل لهم بهما تشمير أموالهم في صناديق التوفير من غير أن يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء . وقال : ان الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الإصلاح في الاسلام معروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها الشيخ الجليل السيد أحمد خان الشهير الذي أنشأ كلية عليكره في الهند منذ ثلاثين عاما والغاية القصوى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزوا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني فعملهم شاق لأنهم يستهدفون دائما لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين ، اما مريدو الشيخ محمد عبده فهم بالنظر الى النهضة المللية بمنزلة

الجميرونديست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطعون المحافظون في كل قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن الصراط المستقيم ، وان السبيل الذي ارشده اليه الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملكهم اذا ساروا فيه فاتباع الشيخ محمد عبده حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين .

وقد اشار السيد رشيد رضا من بعد الى موقفه الصريح من هذه الامور بعد ان اصدر كرومر كتابه « عباسى الثانى » قال : وآملت منه ما شفى عما كان منظويا عليه من التعصب الدينى الذى كان يخفيه بالرياء الفرنسى الذى يوصف به البريطانيون واظهر للناس ان من اصول سياستهم ظلم كل مسلم تربي تربية اسلامية وتخلق بأخلاق الاسلام بابعاده عن مناصب الحكم في بلاده وحصر هذه المناصب في المترنجين بالتربية الاوربية الذين رماهم اللورد نفسه في كتابه « مصر الحديثة » بأقبح النعوت وببذم بشر الاقارب حيث قال (١) : « من الواضح ان المسلم غير المتخلق بأخلاق الاوربيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام ، ولذلك سيكون المستقبل الوزارى للمصريين المتربين تربية اوروبية » ، هذه السياسة قد لقنها المسيطرون البريطانيون للموظفين المصريين بالعمل فصار يعرفها كل واحد .

واشار السيد رشيد رضا في هذا المجال الى ان سعد زغلول (الذى رياه الاستعمار وكان اول وزير معارف مصرى في عهد كرومر والذى مدحه كرومر في خطاب الوداع) يقول رشيد رضا ان سعد زغلول هذا - وهو يراه من اكبر تلاميذ الشيخ محمد عبده - قد اشتهر بالتساهل الدينى بهالم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذى ادخل تعليم الدين المسيحى في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف والقبط يعرفون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق فان حظهم منها سينيلهم ما لم ينالوا في عهد الاحتلال (المنار ٢٢) وكان الانجليز آمنين من انقلاب سياسى في البلاد بسعى الذين يتربون على الطريقة الامرنجية

(١) اشار اللورد كرومر الى ان تجربة تولى رياض باشا للوزارة قد فشلت لانه رجل مسلم وقال ان فشل تجربة رياض باشا لفتنتى درسا هو انه لا فائدة في محاولة قيادة الراى الاسلامى في مصر بواسطة رجل مثل رياض باشا .

ولاسيما الانجليزية لاعتقادهم ان هؤلاء لا يهمهم غير احوالهم وشهواتهم الشخصية .

واشار رشيد رضا الى ان الشيخ محمد بخيت كان من اقوى انصار الاحتلال في عهد الحماية وانه حين ولى منصب افتاء الديار حزم السلطة المحتلة الى خدمته فقد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة ، وكان الشيخ بخيت ضد اشراك الازهريين في الحركة الوطنية وقد اتفق مع السيد عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق وايدوا سعدا « ا . ه .

هذا وقد تابع السيد رشيد رضا فكرة الاصلاح وعمل على اخراجها الى حيز الوجود في صيغة جماعة الدعوة والارشاد التي انشأها عام ١٩١١ (م ١٤) وضمت محمود سالم ، حسن والى ، محمود انيس ، احمد زناتي ، عبد الوهاب النجار ، محمد سعودي ، محمد لبيب البتانوني ، محمد توفيق صدقي ، محمد المهدي وأعلن ان مقصد الجماعة انشاء مدرسة كلية باسم دار الدعوة والارشاد لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والارشاد الصحيح وارسالهم الى البلاد الشديدة الحاجة اليهم على قاعدة تقديم الاهم على المهم ، وقد اثار هذا المشروع خلافات واسعة بين السيد رشيد وبين المؤيد والحزب الوطنى ، واتهموه بانه عرض مشروعه على المندوب البريطانى في مصر ، وكان قد حاول تنفيذ هذا المشروع اولا عن طريق الدولة العثمانية في اول حكم الاتحاديين ١٩٠٩ ولكنهم ردوه في اسلوب لم يكشفوا فيه عن خصومتهم للاسلام وكان السيد رشيد قد كشف خصومته للحزب الوطنى (وجريدة اللواء) وخاصة بعد وفاة الشيخ محمد عبده ونقد ما كتبوه عنه بعد وفاته وكان مما يبدو ان الخلاف مع السيد رشيد متصل بجماعة السوريين الذين يصدرن الصحف (المقطم والأهرام والهلل) .

ويمكن القول بأن حركة الاصلاح حققت هدفها تماما من حيث جمع كلمة المسلمين على قاعدة اهل السنة والجماعة واحيت مفهوم الاسلام الصحيح ونشرته المنابر من المغرب الى جاوة وكونت انصارا للفكرة الاسلامية السلفية لم تتوقف عن الاتصال بالمنابر وارسال فتاويها واستئلتها والكشف

من تحديات القوى التغريبية والمضلة وأنها صنعت المسلم الغيور على دينه
انراغب في أن يكون الاسلام هو منهج حياة أمته ، المدافع عنه امام التيارات
الوافدة ، وانها كشفت عن تحديات النفوذ الأجنبي ازاء حقيقة الاسلام
من طريق التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (البهائية والقديانية)
وانها وضعت في أيدينا جميع خيوط التحديات التي ما زلنا نواجهها حتى اليوم
وبعد أن توقف المنار بأكثر من خمسين عاما (١٩٨٢ م) (١٤٠٢ هـ)
بحيث يمكن القول بأن دراسة هذه القضية في العصر الذي نعيش فيه
وفي اوائل القرن الخامس عشر لا يمكن أن تنفصل عن جذورها منذ عام
١٣١٥ هـ يوم صدور المنار وخلال عقود الثلاث .

٢ — كذلك فقد أحييت المنار مفهوم أهل السنة والجماعة بعرض
الفكر الاصيل للاسلام وكشفت زيف المفاهيم الفلسفية والباطنية والتصوف
الفلسفي وجمع كلمة المسلمين على قاعدة السنة والجماعة وقد اشار السيد
رشيد رضا (المجلد ٢٢) الى قواعد بناء الاصلاح الاسلامي فاجعلها في عدة
نقاط :

١ — الاعتراف باسلام كل مذهب كما أجمع عليه المسلمون في أمر الدين .
٢ — بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف
الصالح منها كما اثبتته علماء الحديث بالاسانيد المعتمدة وترك ما خالفه
من افكار المتكلمين وآراء الفقهاء .

٣ — عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نمحر كل متبع
لامام من ائمة السلف المجتهدين في حكم من الأحكام من ائمة آل البيت
كزيد بن علي والصادق والباقر وائمة فقهاء الأمصار كإبي حنيفة ومالك
والشافعي وأحمد وائمة الصوفية كالجنيد وعلماء الصحابة والتابعين
بالاولى ولا يكثر مسلما مذهبنا بذنوب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو شبهة
اتباع امام أو تأويل ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين
في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاقرار واتقاء الشقاق والتفرق
بين المسلمين .

٤ — الاستعانة بإرشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الديني مع تحصيل
العلوم والفنون التي ترتقى بها الزراعة والصناعة والتجارة .
(المجلد ٢٢) .

ويقول السيد رشيد رضا : ان المنار في جمعه وتفصيله دعوة الى اصلاح الاسلامى المبني على اساس اتباع جمهور السلف الصالح في امور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختبار في امور الدنيا .

ومن اهم اعمال المنار في هذه الوجهة احياء كتب ابن تيميه وابن القيم والشوكاني والنقل منها والاستشهاد بها يقول : ان كتب هؤلاء العلماء الاعلام من افضل ما اطلعت عليه من كتب علماء الاسلام من حيث انهم جمعوا بين العلم بالكتاب والسنة رواية ودراية وبين الاطلاع على كتب مذاهب علماء الأمصار الذين يقلدهم الناس وغيرهم ولم يلتزموا التعصب لامام معين ولا لاهل مذهب بل محصوا الأدلة ورجحوا ما كان اقوى فكتبهم احق بالاستفادة منها من كتب المقلدين لمذهب معين يتمسكون بأقوال أهله ، وان خالفت النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة واكثرها خلو من الأدلة مطلقا او أدلة المخالف وانما ينهى بعض المقلدين للمذاهب المشهورة عنها كما ينهون عن العمل والفتوى بمذاهب الصحابة والتابعين بغير حجة ، ولو خرج أحد الأئمة الأربعة من قبره ورأى هذه الكتب لفضلها على جميع كتب المقلدين له لانها قلما تخالف غيرها الا بترجيح حديث صحيح على ضعيف او على قياس وهذا اصل مذهبهم كلهم رضى الله عنهم .

ولكن المنتمين الى مذاهبهم اتخذوا اقوالهم واقوال كبار اصحابهم اصولا في التشريع ودلائل على حكم الله ويوجبون تقليدهم في كل ما روى عنهم وان خالف نصوص الشارع اصولهم التى بنوا عليها مذاهبهم وكلهم يبدأ من ذلك . ويقول : السنة وآثار الصحابة قد نقلت نقلا أصح من نقل المذاهب بالأسانيد التى وضعت لها كتب الجرح والتعديل وعلل الحديث وشروحه وهى أصل هذه المذاهب كلها بعد القرآن ، فلماذا لا يكون العمل بها هو المقدم على كتب الفقه التى تكرر فيها أدلة الأقيسة والرأى التى اختلف علماء السلف فى الاحتجاج بها ولا سيما قياس السنة وما فيه من مسالك العلة التى يتعذر اثبات شرعيتها .

وثانيا : انهم قالوا ان اختلاف العلماء رحمة للأمة فلماذا يضيق باب هذه الرحمة عليها بحصر الاستفادة بواحد يحرم الاستفادة من غيره بتسميته

تفميكا وتخالف السلف الصالح الذين كان عوامهم يستفتون كل عالم يؤثق بعلمه » .

وفي موضع آخر أشار الى مؤلفات ابن تيمية وابن القيم فقال : « اذها من افضل ما كتب علماء الاسلام هداية وتحقيقا وانطباقا على الكتاب والسنة بل لا نظير لها فيما نعرفه من كتب المسلمين في مجموع مزاياها ، فانها الفت بعد نشوء البدع في الأمة وتعدد العلوم وكثرة التأليف في المعقول والمنقول . وكان اكثر العلماء مقصرون في علم السنة وآثار السلف الصالح واكثر الحفاظ وعلماء الرواية مقصرون في العلوم العقلية فبعدت الهوة بين الفريقين وكثر الخلط والخطب في علوم الشرح حتى جاء اول هذين الشيخين (ابن تيمية) فكان ممن جمع الله لهم من سعة العلم والتحقيق في جميع العلوم النقلية والعقلية من شرعية وروحية ولغوية وعقلية مع جودة الحفظ وقوة الاستحضار وملكة الاستنباط ولا نعرف له نظير في هذا الجمع ، وقد خرج علماء كثيرين كان الوارث الكامل له منهم « ابن القيم » ولا سيما في العلوم الشرعية فكانت كتبها كتب اصلاح وجمع بين المعقول والمنقول واقتوى رد على من خالف السنة وسيرة السلف الصالح لا يعرف لها نظير في ذلك غلو اهتدى المسلمون علما وعملا لاماتوا البدع واحيوا السنن ولكنها غير معصومين من الخطأ ، فقد اتركنا عبارة للاول تابع فيها غيره من غير ان يتنبه الى حاجة الى الاستقلال في الاستدلال علما وخالفنا الثاني في مسألة اهداء ثواب الأعمال الى الموتي في تفسير آخر سورة الأنعام (م ٢٤) .

وعاود السيد رشيد الحديث عن ابن تيمية وهل هو أعلم من الأئمة الأربعة (م ٢٨) فقال : ان لأئمة الفقه الأربعة فضلا على الشيخ أحمد تقي الدين بن تيمية لأنه لم يصر فقيها الا باطلاعه على فقههم ، كما ان لأئمة الحديث كأحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم فضلا عليه فانه لم يكن يتحدث الا بكتبهم ، ولقد كان مثل مالك والشافعي وأحمد أصح فهما للكتاب والسنة فيما اعتقد ، وقد حدث بعد الأئمة الأربعة بدع خلق عليها مبتدعوها ثياب زور غريب عن الدين ، فاتبعها خلق كثير من المسلمين منها ما جاء في شبهات الفلسفة ومنها ما جاء في تصوف الهند ومنها ما كان من وضاع غلاة الشيعة الظاهرية والباطنية وكان شيخ الاسلام ابن تيمية

من أعلم الناس ان لم يكن أعلمهم بمشارت هذه البدع وشبهاتها ومنتجلتها ومن أقدروهم على بيان وجوه مخالفتها للدين الاسلامى والاستدلال على بطلانها ولم يكن الأئمة يعرفون ذلك لأنه لم يكن في زمنهم الا بعضها ، فالأمة الاسلامية محتاجة الى شئ من علوم ابن تيمية لا تجده في شئ مما روى عن الأئمة رضى الله عنهم ، وأهمه بيان حقيقة التوحيد وهدم قواعد الشرك والبدع ورفض شبهات أهلها وقد نفع الله بعلومهم وهديهم أضعاف من انتفعوا به وهذا أمر عظيم مثاله في المتأخرين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده الذين يظهر من كتبهم أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علما بفنون العربية وأصول الفقه وفروعه ومصطلح الحديث من جده شيخ الاسلام ولكن جده هو الذى هدى الى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذى هو أساس الاسلام وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف .

كذلك كان من أهم ما حققته حركة الإصلاح من ثمار هو : دفع الأزهر الى الامام فى مجال التربية والتعليم وإخراجه من الدائرة المغلقة التى كان يعيش فيها فقد سعى الشيخ محمد عبده الى اصلاح الأزهر وإنهاضه ودعا الى اصلاح التعليم وأدخل العلوم والفنون الطبيعية والرياضية التى تدرس فى مدراسة القضاء الشرعى فى الأزهر ، وكان الأستاذ الامام قد وضع أساس نظام مدرسة القضاء الشرعى بعد اضطرابه الى ترك الأزهر ويأسه منه باضطهاد الأمير ومقاومته وجود شيوخه وبغضهم وعجزهم (م ٢٩) . قال السيد رشيد : ان محاولة الشيخ الامام بجعله عضوا عاملا تشعر الأمة والحكومة بالحاجة اليه وعدم الاستغناء عنه بل كان يطمح فيما فوق ذلك أن يجعله عضوا رئيسيا فى بنية الأمة الاسلامية لا فى بنية الشعب المصرى وحده .

وقد نشأ من حزب الإصلاح من استطاع تحقيق ما طمح اليه الشيخ محمد عبده عندما جاء الشيخ محمد مصطفى المراغى كما يشير الى ذلك السيد رشيد رضا فيقول : « توجهت همة الشيخ المراغى الى اصلاح بقسميه الدينى والدنيوى وقبول خريجي الأزهر أساتذة للتعليم فى مدارسها وغير ذلك من وظائف الحكومة التى كانوا محرومين منها ففتح لهم أبواب العمل بالشرف والكرامة ، كما فتح لهم أبواب خدمة الدين بالوعظ والارشاد

والدعوة الى الاسلام ، وقال ان من آثار ذلك ارسال بعثات من عشرين طالبا الى الجامعات الاردنية وانشاء مكتب لتعريب الكتب التي لها ارتباط بالتعليم في الأزهر وانشاء مجلة دينية وجوائز لتأليف كتب في العلوم التي تدرس في الأزهر » .

وفي هذا المجال اشار السيد رشيد رضا الى ما حدث عام ١٩١١ (م ١٤) من الحاق الأزهر بالحكومة ، فأصبح من المصالح التابعة للحكومة كسائر مصالحها وهذا ما كان يتيقنه ويحذرهُ الأستاذ الامام .

- ٤ -

كذلك فقد كشفت حركة الاصلاح عن زيف القانون الوضعي وحملت لواء الدعوة الى احياء الشريعة الاسلامية واعادة تطبيقها ، وقد كان هذا العمل يجرى في دقة وتسلسل ضعيف نتيجة ظروف النفوذ الأجنبي المسيطرة ، فقد عرض السيد رشيد رضا كتاب على أبو الفتوح « الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية » باستفاضة واهتمام كبير (م ٨) : لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا تقابل لها في الأصول الاسلامية وانما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي انتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في نفسه الاسلامي لا يلبث أن يغير هذا الظن ، ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا الى الرفاهية في تقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية ، شاؤا قلما يجاريهم فيه أحد الا أن صعوبة كتب المتأخرين وكيف تأليفها ، وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء غير المتعشطين لدراستها ولذلك اشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التأليف القديمة لأنها أسهل موردا . واغزر مادة مع خلوها من التعقيد ، ويعدها عن المشاغبات اللفظية ، اذكر ذلك على اثر مطالعتي لكتاب « الخراج للامام أبي يوسف - ١٨٢ هـ » عثرت فيه على درر كثيرة لا يخل ينظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المستغلون بالقوانين الانرجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ، ولعلمهم

ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الإسلامية لأنهما لا يتنافيان العصر الحاضر وما أجدر الحكومات الإسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الأكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من صنعت لهم . وقال : ان مجلة الأحكام العدلية التي ألفها جماعة من المسلمين أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها وأبطل به الامتيازات الأجنبية ، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية بل اختارت على أحكام الشريعة الإسلامية قانون الحكومة الفرنسية ، كلنا يعرف السبب هو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيته . »

كذلك فقد أشار الى كتاب الشيخ رضوان شافعي المتعافي : الجنايات المتحدة في القانون والشريعة حيث حاول فيه بيان مقدار المائلة بين قانون العقوبات الأهلية وشروحه وبين الشريعة الإسلامية وقال المؤلف : قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه فلا عذر إذا لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمدت قانونها من كتب الأفرنج دون كتب الفقه الإسلامي وهي تجد كل ما يحتاج إليه لحفظ الأمن وتأديب المعتدين في كتب الشرع الديني الذي ينسب إليها دولتها وتدين الله به .

وفي هذا الصدد نشرت المنار محاضرة الشيخ على سرور الزنكلوني عن نسخ الشريعة المحمدية لما قبلها (م ٣١) حيث أشار الى حقائق الشريعة الإسلامية وضرورة تطبيقها .

الكشف عن مفهوم الجامعة الإسلامية التي كان يخشاها اللورد كرومر ويحذر منها ويشير السيد رشيد رضا الى أن تاريخ الجامعة الإسلامية يعود الى إنشاء المروة الوثقى ، حيث دعت المسلمين الى الوحدة الصحيحة وان يجعلوا إمامهم الأعظم « القرآن الكريم » وأرشدت العلماء الى اقامة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والأمراء ولا سيما المختلفين في المذهب كأهل السنة والشيعة الي الاتحاد والاتفاق وأن لا يجعلوا الخلاف الفرعي

في الدين من أسباب التفرق والانقسام . وان العروة الوثقى لها أثر كبير فاهتز لها العالم هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الأرض زلزالا ولنغتر المسلمين الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الأستاذ المفتى محرر الجريدة : حدثني بعض أهل العلم من بغداد اذ قال : كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى في مجلس السيد سليمان أفندي نقيب الاشراف فيتفق رأينا على انه لا بد ان يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل ان يصدر العدد الذي بعد هذا ، ولو طال الأمد على جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم انقلاب مهم ولهيب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجده آبائهم واجدادهم . كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفحة من روحه وجدولا من ينبوعه ، خافت الدولة الانجليزية يومئذ مغبة الأمر ولم تكن اقدامها قد استقرت في مصر فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البلاد المصرية كما منعها هي من البلاد الهندية ، وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ثم انشا نابغة الخطباء والكتاب « عبد الله نديم » المصرية مجلة الأستاذ ١٣١٠ هـ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم ولسائر الشرقيين وتنشيط همهم لتلافيها ، ولكن اخرج النديم من مصر لان جريدته تنفخ روح التعصب الديني ، وفتر الكلام الذي يرمى الى « الجامعة الاسلامية » حتى انشا المنار لاهياء تعاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على اساسها واضأنا قمته بنبراسها الا ما كان فيها من السياسة التي تتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الانجليز ان المنار وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها في وجهة السياسة المصرية وزاد عليها البحث في جزئيات البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المتقيدة . قال صاحب الاهرام : ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما ، وهو مقاومة أوروبا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقى من جهة الدين ، وقد كاشف برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة (يقصد الشيخ محمد عبده) فراجع العالم القول وكتب يومئذ صورة هذه المذكرة في اجتماع واطلع عليه كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت في صحبة الأستاذ صاحب المؤيد ولم نتفق على نتيجة واحدة . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيرا من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق والغرب

وكتب الأهرام والمقطم عن الجامعة الإسلامية وناقشهما المؤيد فيما كتب .
وانشأ اسماعيل عصبرنسكى في بلاد روسيا جريدة أسماها «ترجمان»
جعل جل مباحثها في الشؤون الإسلامية وانشأ مدرستين لتربية
ابناء المسلمين .

وقال : ان الأهرام والمقطم متفتحتان على أن الدعوة الإسلامية باسم
الدين مضره وغير موصله الى الغاية وأنه لا سبيل الى ترقى الأمة الإسلامية
الا باتباع خطوات أوربا كما فعلت اليابان ، وقال المؤيد ان مسلك الكتاب
المسلمين في الدعوة الدينية مفيد كما أن الأخذ بالفنون والصنائع الأوربية مفيد
واقترح عقد مؤتمر اسلامى في دار الخلافة العظمى : وتعميم التربية والتعليم
وانشاء الجمعيات والشركات والمنتديات وتكثير الجرائد باللغات التى ينطق
بها المسلمون ، والعناية بالقوة الحديثة وتعليم النساء بخصوصهن .

وقال صاحب المنار : ان من يدعى « مسلم حر الاقطار » كتب
في المقطم ياسف لبناء الدين الاسلامى وزعم أن الدين والدولة امران متباينان
يجب أن ينفصل احدهما عن الآخر ، وأبلغ قول يشير الى احكم رأى لحو
السلطة الإسلامية من لوح الوجود فقاتل الله قاتله ... (المنار ١٨٩٩) .

وعاود السيد رشيد رضا قضية الجامعة الإسلامية مرة أخرى
يومية ١٩٠٠ (م ٣) فأشار الى أن جريدة التيمس قالت ان السبب في هذه
الحركة الإسلامية هي شدة تحامل الأوربيين على المسلمين وذكرت من هذه
الجزئيات مقالات هانتوتو — والرسالة التى نشرها القسيسون في مصر
وسجوها : ايها المسيح أم محمد ، وأشارت جريدة التيمس بوجوب كف
الأوربيين عن التعرض للدين الاسلامى وقالت انهم عادوا بعد ذلك للكلام
عن الجامعة الإسلامية ومزج السياسة بالدين وقال : وتعلم التيمس كما يعلم
جميع ساسة أوربا وعلمائها أن المسلمين لا وطنية ولا جنسية الا في دينهم .
وان الذين تربوا في مدارس الأوربيين حاولوا اقتناع المسلمين بأن نجاحهم
وسعادتهم في الرابطة الوطنية وشقاءهم في الرابطة الملية التى يطلقون عليها
عند الذم فقط : لفظ التعصب الدينى .

وفي فصل آخر عن (أوربا والاصلاح الاسلامى) قال : يظن الأوربيون

أن الأمة الإسلامية قد قضى عليها فلا يرجى لها حياة اجتماعية قلما رأوا بعض
أعضاء هذه الأمم تحركوا ، ذعروا ودهشوا ، انهم يروهم اسم الاسلام
والجامعة الإسلامية والاتحاد الإسلامي ويظنون أن وراءها غارات تشن
وحروب تشن وتعصبا يمدى .

ويصور السيد رشيد رضا خطوات الإصلاح في المجلد العاشر من
المنار فيتحدث عن اجتماع الشيوخ في باريس حيث أصدروا العروة الوثقى
حيث كان قطب سياستهم دعوة علماء المسلمين وعقلائهم الى النظر في
أحوال المسلمين العامة وارشادهم الى ما ينهض الى مجارة الأمم العزيزة ،
وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطرهم بالتعاون بينهم وأن
يكون لهم مجتمع علم في الحجاز .

يقول : ولما أُنشأت المنار اقترحت على مقام الخلافة تأليف جمعية
إسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي ، وما تقوم به
هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الدينية والأحكام القضائية
والمدنية ومن تلاقى البدع والتعاليم الفاسدة (وان إبراهيم بك نجيب قد
أخذ من هذا ما أودعه في مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت
عنوان حياة الاسلام) ثم ان عبد الرحمن الكواكبي قدم الى مصر ١٣١٨
ونشر بها كتاب سجل جمعية أم القرى الذي صور فيه اعتقاد تلك الجمعية
المقترحة خفية دون علم الحكومة العلية في مكة في موسم ١٣١٦ ، كل هذا
كان الإصلاح الديني ممزوجا بالإصلاح السياسي على المنهج الذي جرى
عليه المسلمون من اشتغال الدين على كل شيء . وجه الامام ذهنه بعد مفارقة
السيد جمال الدين في أوروبا دعوته هو الى سوريا ثم الى مصر بحاول
انوصول الى اصلاح حال المسلمين باقناع الحكومة بسلوك الطريقة المثلى
لتربية المسلمين فكتب ثلاثة لوائح (١) احداها لاصلاح الملكة العثمانية
عالمه قدمها الى شيخ الاسلام بالاستانة ١٣٠٤ ليقدّمها للسلطان
(٢) والثانية لاصلاح التربية الدينية والتعلم في مصر ولم تعمل الحكومة
العثمانية ولا المصرية بها اقترحه عليهما ولو عملت احداهما به لمملت
ما يعجز عنه كل جمعية ومؤتمر لاصلاح الدين . وفي السنين الأخيرة استقر

رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون إلى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ، ومسالمة أهل السلطة سرا وجهرا . والرضى منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الإجماع الأهلية والقومية ، وكان يرى أن هذا ميسر للمصلحين العقلاء من حكام المسلمين الأوربيين ، وجاء مصر بعد ذلك اسماعيل عسبرنسكى صاحب جريدة ترجمان التركية (بلاد القرم) واقترح تأليف مؤتمر اسلامى يتعقد في مصر للبحث في الأسباب التى كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم وشرط ألا يطرق باب السياسة بل تحصر في الأسباب الاجتماعية والاقتصادية .

(٦)

ويمضى صاحب المنار في طريقه عاملا على القواعد التى قررناها في هذه المجالات جميعا ، غير أنه لا يلبث بين آن وآخر أن يذكر مريدى الإصلاح بما يجب عليهم لدفع عجلة حركة الإصلاح إلى الأمام فيقول في المجلد ١٣ من المنار : المنار يذكر مريدى الإصلاح بوجوب التعاون فبادروا إلى اغتنام فرصة الزمان وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وما ذاك إلا أن يجتمعوا على حقهم ويوحدوا طريق التربية والتعليم في الجمع من علوم الدنيا والدين قبل أن يغلبكم على الأمة أهل التربية المسادية المضطربة ، والتعليم التقليدية المذبذبة التى تحولهم عن التقاليد الاسلامية إلى التقاليد الامرجية فهم يدرجون الأمة من تقليد إلى تقليد . ان الاسلام نائم في قلوب العامة فيحتاج إلى الايقاظ وقد كثرت صيحات الموقظين ، على أننا لا نجادل أعداء الإصلاح بنسيب ولا مسنان ، وإنما نجالدهم بالحجة والبرهان ونحاكمهم إلى السنة والقرآن ونصبر على ما أذونا ونحسن إليهم وإن أساعوا إلينا ولكن لا نترك أمر الأمة في التربية والتعليم يتنازعه التفرنج الحديث والجمود القديم .

ثم يقول : يا أهل القرآن : ان القرآن كان حجة لكم فصار اليوم حجة عليكم ، أخبركم الله فيه ان الأرض يرثها عباده الصالحون وان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأن حقا عليه نصر المؤمنين وأن الله تبارك وتعالى وعد الذين آمنوا بكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض وقال : ولن

يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فما بال الناس يرثون ارضكم ويخلفونكم في ملككم ، وانتم لا ترثون ارضا بل ولا تحفظون ارضا . لقد غيرتم ما بأنفسكم فغير الله ما بكم ، فقتبه الوثنيون وانتم غافلون واجتمع اليهود وانتم متفرون وسبق النصارى وانتم متخلفون ، اعتبروا بتاريخ من قبلكم وبأحوال الامم في عصركم ، وتدبروا القرآن وما يبينه من سنن الله في نوع الانسان .

ولم يتوقف عن الانذار والكشف عن كل محاولات التآمر على حركة الإصلاح نفى (المجلد ١٩) (١٩١٦/١٩١٧) فصل مطول هاجم فيه الملاحدة المتفرغون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وقال ان حجتهم على عامة المسلمين سوء حال كثير من المعمين وتذللهم للأمرء والحاكمين . قال : بلغنا انهم ألفوا في العام الماضي جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الاسلام وجذبهم الى الالحاد والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ، وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس (ربما يقصد مجلة السفور) لهذا وجب على أهل الإصلاح اخذ الالهة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء الملاحدة مسلحون . ان هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد الدينية ما داموا يدعون الاسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هناك أولياء وانصار لهم فتعذر علينا ما كنا نريد هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقيتنا في دنيانا (١) لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الأعمال من رابطة التناسب والاتصال . قال أحدهم مفاكها الأستاذ الإمام وهو في مرض موته .

(٢) ان طريقتك في تفسير القرآن قد أحدثت أشد الضرر قال الأستاذ لماذا قال لانها أبانت للناس ان الدين موافق للعقل والعلم ويقال ان لجمعية الالحاد الجديدة ركنا في الأزهر ركيئا . انهم لا يخافون من الأزهر ولكنهم يخافون من رجال الإصلاح لانهم أقدر الناس على اظهار عوارهم وتقليم أظفارهم ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الأمة من السعى الى ترقيتها وتحديثها قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الأمة وتمدينها وشخصياتها ، وانما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

وقال ان محاولة الشيخ محمد عبده في التفسير بأن الدين هوائق

للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، كانت حائلا بين رجال التفريب وبين القول بأن الاسلام عقبة في سبيل ترقية دنيانا .

وقال ان هذه الجماعة معروفة (ولتعرفنهم في لحن القول) فمنهم من يحاول هدم الاسلام بالدعوة الى استبدال لفة العوام بلغة القرآن ومنهم من يبتغى التشكيك فيه بنشر آراء الماديين من القدياء والأوربيين ، ومنهم من يصد عن محجته بتقصيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته .

وقال : اننا بعد أن فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الإصلاح على المبتدعة والدجالين فقد ابتلينا بتكوين حزب الملاحدة المارقين وأشار الى جهاد المنار في طريق التصوف والجهود والجبرية ، وقال انه يتوآد افراد من غرار الشبان وكهول المناقطين ، ولو سبكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم لعظمت جرائمهم ، وانتشرت دعوتهم وليس الاستظهار عليهم بالأمر العسير فان حجتهم داحضة وغوايتهم متناقضة ، وغاياتهم متعارضة ، ويخافون الردة الصريحة ، وان ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين ، والتشبه بما ناهضوا الكنيسة ورجال الدين ، ليس بالعرض الصحيح ، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت بعض كتاب أوربا على مجاهدة الكنيسة ورجالها والطنن في نص النصرانية فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم الكونية وأوجب الفنون ، والصناعات المدنية ، وأخرج البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى نضاء الحرية ، ولهذا وجب على أهل الإصلاح أخذ الاهبة لجهاد جديد هو أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزل وهؤلاء مسلحون (انا لننصر رسلنا) (ولننصرن الله من نصرة) .

(٧)

لفت نظري أحد الباحثين الى عامل خطير كان وراء حركة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا هي أنها من حيث لا تدري يمكن أن تحقق للنفوذ الأجنبي (انجلترا أساسا) ما يرغب اليه في تقويض الدولة العثمانية سواء اكان هذا الهدف واضحا امام العاملين أم خفي عليهم ، ولذلك كان الشيخ محمد

عبده يقول ان الدولة العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله والقرآن .

● كان الشيخ رشيد رضا ينتقد على مصطفى كامل نظريته الوطنية ولكن مصطفى كامل كان يتحرك داخل دائرة المفهوم الاسلامى والدولة العثمانية ، أما سعد زغلول تلميذ مدرسة الاصلاح فانه اول من حطم هذه القاعدة وخرج على المفهوم الاسلامى جملة الى المفهوم العلمانى .

● ان دعوة جمال الدين عن الوحدة الاسلامية كانت تختلف عن دعوة السلطان عبد الحميد ، وكانت الوحدة الاسلامية التى يتحدث عنها السيد رشيد رضا مما يرضى عنها الاستعمار ولكنها كانت معارضة لدعوة السلطان عبد الحميد .

● لقد عرف رشيد رضا بعد لاي أن فرحته بالاتحادين ونقمة على السلطان عبد الحميد كانت باطلة وان الأمور تكشف عن أشياء خطيرة .

● بدأ جمال الدين يفتح ابواب الفكر بالفلسفة وقراءة ابن سينا ووسع الباب الشيخ محمد عبده بالكلام والمنطق ، ولكن رشيد رضا استطاع أن يحرر الفكر الاسلامى بمفهوم أهل السنة والجماعة .

● نقطة حولت كل الفكر الاسلامى الى مفهوم الأصالة ، تلك هى مقاومة جبرية الصوفية والنظر الى الاسلام نظرة سلفية أصيلة ، كان هذا مفتاح العمل الاسلامى فى هذا العصر وكان هذا توسيدا للخطوات التى جاءت بعد ذلك حين بدأت حركة اليقظة فى الدعوة الى التماس منهج القرآن فى بناء المجتمع .

الباب الرابع

أحوال العالم الاسلامى

اولا : الدولة العثمانية ..

الاتحاديون والقرب

الكماليون والخلافة

ثانيا : الماسونية والصهيونية

ثالثا : حركات الاصلاح ... الوهابية والسنوسية

الفصل الأول

الدولة العثمانية

يتصل أمر الدولة العثمانية بالمنار منذ نشأته حتى نهايته ، اتصالا لا يتوقف وإن كان يختلف من مرحلة إلى مرحلة ، هذا الاتصال يرجع الى امرين : الأول : أن الدولة العثمانية كبرى دول العالم الاسلامى ودولة الخلافة الجامعة بين الترك والعرب (والثانى) موقف السيد رشيد رضا نفسه باعتباره من القطر الشامى الذى كان جزءا من الدولة العثمانية ثم أصبح بعد الحرب الاولى : سوريا وقد كان لاهل الشام موقف واضح من الخلافة والسلطان عبد الحميد متأثر بدعايات الاتحاد والترقى ، وهو موقف مختلف عن موقف مصر من الدولة العثمانية التى كانت قد أصبحت بعد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ منفصلة عن دولة الخلافة وإن كانت موالية لها فقد كانت الحركة الوطنية التى قادها مصطفى كامل والحزب الوطنى تعارض النفوذ الانجليزى وتوالى الدولة العثمانية ، وذلك بخلاف موقف الشام (سورية ولبنان وفلسطين) الذى كان معاديا للدولة العثمانية تحت تأثير الدعايات التى كان يحملها مدحت باشا والاتحاديين والتى وصلت الى غايتها بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم فقد علقوا زعماء العرب عى المشائق وأنسحدوا الرابطة بين العرب والترك بدعوتهم الى الطورانية باعتبارها قومية بديلة للطابع الاسلامى الذى عرفت به الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة وكان لعمل الاتحاديين فى تترك العرب اثره فى انفجار مفهوم القوميات المتصارعة : قومية طورانية وقومية عربية ولقد كان السيد رشيد رضا طوال فترة حكم السلطان عبد الحميد منذ نشوء المنسار ١٨٩٨ الى سقوط السلطان ١٩٠٨ يكتب كتابات حذرة تخفى الكراهية وتظهر شيئا من المحاسنة والتقية ، فلما سقط السلطان انفجرت هذه الفقاعة عن حملة شديدة عنيفة حملها السيد رشيد على السلطان وفى نفس الوقت كان ترحيبا وتهليلا بالاتحاديين ، غير أن هذا الموقف لم يلبث قليلا حتى تغير انى شيء من الكراهية والنقد والتحذير لمخططات الاتحاديين دون أن يضعف

مؤلف النقد لأعمال السلطان — هذا النقد الذى قامت به قوى ضخمة منذ اختلف السلطان عبد الحميد مع الصهيونية وقائدها هرتزل على ادخال اليهود الى القدس — ومن ثم بدأت حملتهم عليه وكان شوام مصر متأثرون بها وداخلون فى تجمعات تابعة للاتحاديين قبل ان يحكموا وينكشف أمرهم . فهذه مرحلة أولية حتى سقوط السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ لها طابع خاص وهناك مرحلة تالية وهى مرحلة حكم الاتحاديين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ وهناك المرحلة الثالثة وهى حكم الديكتاتور اتاتورك الذى ألغى الخلافة الإسلامية وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية عصر المنار .

المرحلة الأولى : ١٨٩٨ — ١٩٠٨

فى خلال هذه المرحلة كانت احاديث المنار عن الدولة العثمانية حذرة ولكنها كانت من ناحية أخرى فيها حرص على بقاء الخلافة مع اصلاحها ، وذلك هاجمت المنار ما أثير حول الخلافة العربية ودور المرجفين بها (م ٢) وفى عام ١٩٠١ (م ٤) أشار الى أن هناك منشورات توزع ببهايمة الخديو عباس بالخلافة واحتلافه مع السلطان (ليونفهى وصالح بدرخان) والمعتقد أن فى ظل ذلك كانت كتابات الكواكبي . كما قدم فصلا استمر فترة طويلة تحت عنوان (قليل من الحقائق عن تركيا) م ٣ وجرت احاديث كثيرة عن الترك والعرب كان رائدها دعوة الأتراك الى دعم الأواصر مع العرب وعدم احتقارهم ، كما تحدثت المنار عن مشروع سكة حديد الجواز الذى قام به السلطان عبد الحميد (م ٦) وأفردت المنار فصولا ضافية عن الدولة العثمانية تحت عنوان (الدولة الطلية) تحدثت فيها عن أركان الإصلاح وامتيازات الأجانب والتجارة بينها وبين أوروبا واحتلاف الأديان كما تحدث عن السلاطين العثمانيين سليم وسليمان القانونى وعبد الحميد (الأول) وعبد المجيد ومحمد الفاتح (م ٢ ، ٣) .

وخطأ المنار الكاتبين فى الحث على الالتجاء لدول أوروبا والاعتماد عليها فى التزام الدولة العلية بالاصلاح على الوجه الذى تراه تلك الدول وقال انه غاية هذا الاتجاه هو تسليم البلاد لها وقال : اننا فندنا هذا القول

الفاسد من قبل وهو لمن يسمون أنفسهم بالأتراك الأحرار وقال : ان الإصلاح لا يكون بتقليد أوروبا في جميع الشئون وهو ضلال أى ضلال .

وتحدث السيد رشيد رضا عن (تعزيد أوروبا على الدولة العلية) م ١٠٠

وقال : أن أسوأ مظاهر حبها وطمعها وبغضها ما كان في الستين الأخيرة من أرمينيا وكريد ولقد عادت هذه السياسة السوأى من أوروبا بالضرر على النصارى والمسلمين معا ، فكان ذلك فضيحة لدعواها حماية النصارى في بلاد الدولة وتناول المنار أحاديث عديدة عن العروبة والاسلام ، والوحدة العربية والترك وافاض في الحديث عن مدينة العرب ودور العرب في الحضارة الاسلامية ، ولابد أن هذه المقالات كانت تكتب كرد فعل لما كان يدور في كواليس من أسماهم الأتراك الأحرار من تحقير للعرب وامتهان للاسلام ، ومحاولة الانفصال الفكرى عنهم وهى النزعة التى استطاعت أن تقتضى على الدولة العثمانية والخلافة من بعد والتى كانت وراءها قوى الصهيونية والغرب وروسيا من أجل ما أسموه (القضاء على دولة الرجل المريض) .

وقد اشار الى هذا المعنى في مقدمة مقالاته (مدنية العرب) فقال : لم نخرج عن التوجيه والتأليف بين العناصر كلها وانما اشرنا الى بعض نزعات التعصب الجنسى عند الترك ولا شيء يقرينا من اخواننا الأتراك ويجعل لنا قيمة في نفوسهم الا الاعتقاد بأننا شعب يفهم ويشعر فيسير بالكرامة ويتألم من الاهانة ولا نعنى بالوحدة العربية أن ينفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل نعنى بأن كل شعب يمهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في تربيته ترقيا لسائر الشعوب التى تتكون منها الأمة .

وقد أوردت فصول مدنية العرب كتابات عن أثر المسلمين في الحضارة انعمالية كالطب والفلك وغيرها .

وقد عنى السيد رشيد رضا بدعوة الشعب التركى لتجديد حكومة الخلافة الاسلامية بقصد الجمع بين هداية الدين والحضارة لخدمة الإنسان لا لتأسيس عصابة اسلامية تهدد الدول الغربية وذلك بانهاض الشعب التركى من كبوته التى قضت على السلطة العثمانية وتوثيق عرى الاخاء

بين الدولتين الأفغانية والإيرانية والدعوة إلى شد أواصر الإخاء مع الأمة العربية والتعاون معها على إحياء المدنية الإسلامية وتجديد حكومة الخلافة على القواعد المقررة في الكتب الكلامية والفقهية (م ٤) .

المرحلة الثانية : (١٩٠٨ - ١٩١٨)

الاتحاديون والجمعية الطورانية

في مستهل هذه المرحلة كان حادث عزل السلطان عبد الحميد ، ومن ثم بدأ المنار موقفا جديدا من الدولة العثمانية بداه على هذا النحو (م ١١) .

[اعظم أحداث هذا العام هو اعلان الدستور العثماني]

وتحتل المنار بفصول ضافية حول هذا المعنى وقد كشف السيد رشيد عن أنه كان مع الاتحاديين أو من الاتحاديين ومعهم طوال هذه الفترة وبدأ الهجوم على السلطان في صراحة وعنف واعلان الاعجاب بالاتحاديين في حماسة وكشف كثيرا من الصفحات عن سياسة السلطان مما كان يجمعه ويحققه في الفترة الماضية حرصا على أن لا يحجب المنار عن أهل الشام كما سافر الشيخ رشيد إلى سوريا بعد أن حيل بينه وبين ذلك أحد عشر عاما ، وكانت له خطب ومحاضرات في مختلف البلاد .

وبدأت المنار تنشر فصولا عن الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة (محمد روى الخالدي) بدأت م ١١ (ج ١٠) ص ٧٤٢ واستمرت وهي جديرة بالبحث والمراجعة في شأن التاريخ لهذه المرحلة من وجهة نظر شامية من أولياء الاتحاديين .

وكتب رشيد رضا يقول : حدث ١٣٢٦ هـ الانقلاب العثماني الذي كنا نسعى إليه في الخفاء ثم خلع السلطان عبد الحميد الذي كان ماتعا بلاده من كل علم وعمل نافع يجب على المسلمين القيام به مجتمعين وقد سعت إلى تحسين التفاهم بين العنصرين القوميين لهذه الدولة وهم العرب والترك اللذان سميتهما العنصرين المكونين للماء أو الهواء .

وقد أشارت المنار إلى أن السلطان عبد الحميد تولى في شعبان ١٢٩٣ هـ وأن السنة الثالثة والثلاثين (١٩٠٨) كانت خاتمة حكم السلطان نفسه وبقبضه عن زمام السلطة بيده فإن اعلان الدستور حول

الحكم ولى الوزارة ومجلس الأمة ، وقد استمر السلطان بعد أن تولى الاتحاديون الحكم حتى عزل في مايو ١٩٠٩ حيث صدر المنار .

(٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ - ١٩ مايو ١٩٠٥ م) مجلد ١٢ تحت هذا العنوان : « **أحدي الكبير وكبرى العبر** » : خلع عبد الحميد خان ، فيه من دار السعادة ، وضعه تحت المراقبة العسكرية ، ضبط أمواله ونخائره وعقاره ، اباحة يلدز للأمة ، تولية مولانا السلطان محمد الخامس .

وقد سافر السيد رشيد رضا الى الأستانة للاتصال بحكومة الاتحاديين وامضى هناك عاما كاملا للسعى في شأن الوحدة بين العرب والترك وحماية اللغة العربية ولكنه أحس بأنهم يراوغونه وعاد دون أن تحقق مساعيه أن تقدم يذكر ، وكشف في (المجلد ١٤) عن مفاهيم جمعية الاتحاد والترقي وموقفهم من الاسلام غير انه ابان الحملة التي شنّها السيد رشيد رضا وسنتها صحف المقطم والهلal وغيرها على السلطان بمناسبة عزله كانت هناك كلمة تقال في جزء آخر من العالم الاسلامي تختلف عن هذه النغمة ، فقد نشرت جريدة وطن التي تصدر في لاهور (الهند الاسلامية) بقلم مولوى محمد عن الانقلاب العثماني فصلا ضافيا تحت عنوان (الانقلاب المشؤم في الدولة العلية) قالت : نبأ عزل السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الأمة اجماعا على عزله . هل انعزل جلالته من عند نفسه أو عزله جمعية الاتحاد والترقي التي كانت عند أول ظهوره في بدء احياء الدستور العثماني أخيرا مظهرة عزيمتها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون أعضائها من الناقمين من جلالته أو الخائفين من ذاته على الدستور .

ان الملاينة والانتقايad لم تجد جلالته نفعا وصارت الجمعية تلعب وتلهو به كما تلعب الهرة بالنفارة التي تريد افتراسها وقد أخذت الجمعية تهمد لعزله فأبعدت عساكر الأستانة وأرسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية العساكر الموالية للدستور التي جاءت بها من سلاتيك وغيرها وطلب من جلالة السلطان أن يرضى بوضع غيلق الحرس الهمايونى تحت امرة نظارة الحربية . ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد العساكر المواليين للدستور

الى الولايات . وترى المبعوثين او حزب تركيا الفتاة تآهين في تيه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة باسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الامور .

ولى عبد الحميد الملك والسلطة في أسوأ الحال من الافلاس وعدم قوة الحربية وخلل النظام الداخلى وهجمات الأعداء الخارجية وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم منقسمة على نفسها أى انقسام ، أدى ذلك الانقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها فثمر عن ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتبارا ماليا في أسواق أوربا ودرب الجيش على قواعد الحرب الحديثة واكمل تسليحه بأحدث الآلات حتى صار الجيش نفسه القلعة بعد أن كان ...

ثم سعى في انتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد واقتلع صدا الجهل عن مرارة قلوب العباد ، قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجتهد وراء سعادة الأمة والملة وعمل من أجل رفاة البلاد والسلطة فعمر الطرق وبنى السكك الحديدية وأجرى الترع والقنوات وأخصب المفاوز والقفار وأوصل الأقطار بالأقطار وحفظ السلطة من الضياع أمام الأعداء الأشداء ففاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة الشماء غير مضيع نفسه ومضيع مركزه . وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطان صارخا لا يعرف الملل ولا يعتريه الكلال . يعمل ثمان عشر ساعة في كل يوم ، ويشغل في مهام السلطة كأدنى خادم للملك والملة .

(اقرأ المقال بكامله في المنار م ١٢ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ وما بعده) .

❶ بل ان الصحف الأوربية المعادية للمسلمين لم تعمد أن تتحدث عن شخصية عبد الحميد ، قالت جريدة ابزورر تحت عنوان خلع السلطان عبد الحميد : ان خلعه قد ذهب عن مرسح العالم السياسى بسخط مفرد كان له نفوذ عظيم في تكييف التاريخ الأوربي منذ ثلاثين سنة وقبض في راحته على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب ، وكان احساسه نقل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسداهم ويأسهم ، وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على انتقاد تركيا من الوقوع في أيدي جاراتها القوية الطامعة ❧

أن لا يخفى أن الدولة العثمانية إنما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفصل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى خنكته وحكمه ، فانه لم يسبق لملك سواه من التقدميين أو المعاصرين أن لاقى ما لاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتنة المريبة والبلاغات الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينجلى عنه بثمار تلك الحوادث ظافرا فأنزا بفضل حكمه وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف مخربة .. ان خصومه وأعدائه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وقدرته على افساد مساعي الأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وحبه الذي لا ينكر للأسلام وجمع ما له علاقة به وانما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصه وأعماله يبنى عليه أو يقتضى بعد .. الذين دسوا الدسائس لخلعه ، على أن الدور الأخير من حياته جاء موافقا لما علمناه من حياته الشريفة فانه منع سفك الدماء ، ووعد أن لا يهجر يلدز ورضى بالخلع المقدر له من أمد ، ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له أن يقضى بقية حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على أنهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده ومع ذلك فقد تصرف بأنفته المعهودة وصبره المعروف انذى يليق أن يفاخر به .

كذلك فقد كتبت جريدة وطن الهندية ردا أجسر على المنابر (ص ٤٥٠ م ١٢) وكان محمد روى الخالدي قد نشر فصولا تحت عنوان الانقلاب العثماني ، كما نشر سليمان البستاني كتاب الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وجميل معلوف عن تركيا الحديثة وكلها تناولت الحملة على السلطان الذي وصفته بأنه تأمر على حكومة مدحت الأولى وتحدثوا عن انسجون والاغراق في لجج البسفور وجواسيس السلطان ، وكلها شبهات تكشفت في السنوات الأخيرة بعد أن وضحت الحقائق ولم تكن على هذه الصورة العنيفة التي أراد بها النفوذ الأجنبي تبرير خلع السلطان مع اخفاء الغاية الحقيقية وهي تمكين الصهيونية من فلسطين ، والمعروف أن من يسمون الأحرار أتباع مدحت وجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي كانوا

قد وقعوا تحت تأثير جحافل الماسونية وحملوا لواء الحقد على السلطان وخفى عنهم الجوانب القوية في شخصيته وخاصة موقفه من المؤامرة الصهيونية التي حاولت اغراءه بالمال ثم انتقمت منه لموقفه الحاسم .

● وقد استرجع السيد رشيد رضا الدور الذى قام به عبد الرحمن الكواكبي حين جاء مصر في وقت كان الخلاف قائما بين الخديو والسلطان وارتاح الانجليز الى مطالبته بالخلافة العربية وكتب هو عن حسن نيته في جريدة المؤيد تلك الفصول عن الاستبداد يريد بها السلطان عبد الحميد بدون انعام النظر السياسى وهم عن خبث طوية لان تقهقر الدولة لم يكن قاصرا عليها فقط بل كان ماسا بمصالحها (وهذه عبارة السيد رشيد رضا في بحثه عن الخلافة الاسلامية والجامعة العثمانية م ١٣) ويقول وقد الف كتابه (ام القرى) ولو انعم نظره السياسى لرأى الضرر الذى يلحق العالم الاسلامى بوجه عام والشرق الأدنى بوجه خاص من جراء هذا المسى ، ولم يقتصر الانجليز عند حد استغواء هذا العالم من الذين لا يلمون كثيرا بالاغتيارات السياسية والظروف المصوبة .. » .

في عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩ (م ١١ من المنار) لم تكن الأمور قد تكتشفت بعد عزل السلطان عبد الحميد ، ولم تسفر جمعية الاتحاد والترقى عن غاياتها الحقيقية ولذلك فان العرب خاصة وخاصة أعلام الشام كانوا مؤيدين لها (الشيخ رشيد رضا ، عبد الرزاق البيطار ، جمال الدين القاسمى) وفي هذه الفترة كانت وجهة السيد رشيد رضا هادفة الى الوحدة والوئام بين عنصرى الدولة العثمانية .

فيقول : [ان ابعاد العرب عن الترك مفسدة من آخر المفاسد واننا في اشد الحاجة الى الاتحاد بالترك والاخلاص لها لان مصلحتنا ومصلحتهم في ذلك] .

ويقول : يجب على العرب أن لا ينسوا في اتحادهم بالترك انفسهم ويتكلموا على غيرهم بل يجب عليهم مباراة اخوانهم في التربية التى يقتضيها حال العصر وتحصيل العلوم والفنون التى عليها مدار العمران ليكوئوا

يدا واحدة في احياء الدولة وليقدروا على ترقية تمشان بلادهم واستخراج خيراتها العظيمة ثم ليكونوا اهلا لادارتها بأنفسهم .

ويقول : الدعوة ان تكون كل ولاية من ولايات الدولة مستقلة عن ادارتها الداخلية ويمبر عن ذلك بعدم المركزية لادب من استقلال كل جنس بنفسه ، أن نبني حاضرا ومستقبلا على الاخلاص لدولتنا والاتحاد بالترك وسائر العناصر العثمانية ما دامت هذه العناصر متحدة بالدولة مخلصه لها ، وأن نكون الآن من اشد الأعوان لجمعية الاتحاد والترقي على بث روح الدستور في جميع الطبقات ورقباء على الحكومة في سيرها وأعمالها . والدعوة الى الأخذ بالعلوم الرياضية والطبيعية التي هي حياة الأمة في هذا العصر وإصلاح طرق التعليم بإنشاء المدارس الأهلية والجمع بين الاسلام تربية وتعلما وبين تحصيل العلوم العصرية الكثيرة التي تقوى بها الأمة وتعزز الدولة . وقد كان العلماء السابقون يذمون العلوم الطبيعية وينهون عنها ويقتصدون النظريات اليونانية في الالهيات التي تخالف أصول الدين » .

هكذا كان يكتب رشيد رضا في أول امر الاتحاديين بنية المصلح المخلص المؤمن بأن هؤلاء القوم يريدون اصلاحا يترابط فيه عنصرى الأمة على رفع شأن الاسلام ولكن الايام كشفت حقيقة الاتحاديين فكان رشيد رضا أول من حمل عليهم وفضحهم في العالم الاسلامى كله .

فهو لا يلبث أن يتحدث عن الاتحاد والترقى (المنار ١٤ سنة ١٩١١) يقول : اشتهر أن الانقلاب العثمانى كان بتدبير جمعية الاتحاد والترقى في سلاتيك ومناستر وعرف الخاص والعام أن الانقلاب كان من عمل الجيش وبهذا علا مقام كل ضابط عثمانى ورفع اسم (انيازى ، أنور) على كل اسم ولكن خفى اسم (صادق) وهو أجدر بالظهور فهو رب الدستور وحاميته وقد رفعت الأمم اسم الاتحاد والترقى بعمل صادق بك الخفى واخلاصه العظيم وكان أنور ونيازى سيفين من سيوفه (كتاب خاطرات نيازى) ولما وزعت المناصب طلعت للدخالية وجاويد للمالية وأحمد رضا رئاسة المجلس ، وتقدم اليهود في نظارة المالية على غيرهم وأعطوا كلمة الماسونية

والاسراف في نشرها وتقديم المتقدمين منها على غيرهم وجعل مقام الخلافة كالمجرد من كل سلعة ونفوذ . وجاهد صاحب جريدة (طنين) المحامى عن جمعية الاتحاد والترقى بقلمه المسموم حتى سمى (سفينة القوم) واقمت في الآستانة سنة كاملة وقفت فيها على غوامض سياستها ومخبرات صناديق اسرارها ، ان هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون ويجهرون في نشرها وقد جعلوا رجال الحكومة من أعضائها كما ينشرونها في ضباط الجيش وقد يكون هذا تمهيدا للفصل بين الدين والسياسة وتجريد السلطان من صفة (الخلافة الاسلامية) ومن لوازم تشيعهم للماسون قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يغضى الى غور الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين التى يراد بها اعادة ملك اسرائيل الى وطنهم الأول وإلى ابتلاع اصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد .

ويقول : وقد جعل السيادة للشعب التركى والتوسل بقوة الدولة الى اضعاف اللغة العربية واماتتها في المملكة وتترك العرب من ابقائهم ضعفاء بالجهل والضغط ومنع الالبانيين والاكرد من تدوين لغتهم وجعلها لغة علمية وقفت الآستانة على هذا وراينا أهل الراى والعبرة يتوقعون انفتن ويخافون العواقب ولم احب ان اشرح هذه الامور وابين ما فيها من الخطر بل سعيت الى الاصلاح ما استطعت فلم يغن نصحى لهم شيئا ولما عدت الى مصر اشرت بلطف الى ما يخشى من خطر اليهود والماسون في هذه المملكة الاسلامية .

وتوالت الكتابة بمزيد من الكشف عن دور الاتحاد والترقى مما ينفع انباحث اليوم بعد سبعين عاما في معرفة ما يدور في فلسطين وتركيا على السواء . ففى (المجلد ١٧ سنة ١٩١٤) مزيد من الكشف عن موقف الاتحاديين بعد الحرب البلقانية واشارة الى حزب اللامركزية في مصر والمؤتمر العربى في باريس ومحاولة التفاهم تحت اسم العثمانيين ، حيث يجرى الحديث عن حقوق العرب في المملكة العثمانية والدعوة الى نظام اللامركزية واشارة الى أن الحكومة الاتحادية اضعأت بحمقتها وغرورها وخبت طويتها جميع الممالك العثمانية الاوربية والاغريقية وأشار الى تقييد الاتحاديين بحقوق الدولة في خليج فارس والعراق والطرف الشرقى من جزيرة

العرب والتزلف بذلك الى انجلترا ، و اشار الى الاتفاق بين تركيا الاتحادية والانجليز حيث تنازلت الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وفي الكويت و اشارت الى استيلاء الملك عبد العزيز على الاحساء والقطيف والغفر (عسير) .

ولم تمتنع المنار عن نشر ما نسجلته جريدة دين ومعيشت التي تصدر في روسيا (اورنبورغ) عن موقف البلاد الاسلامية من السلطان عبد الحميد حيث قالت الجريدة :

انهزم العثمانيون لانهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك انهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٢٣ سنة خدمة جليلة وانهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه واستطوه عن عرشه ومزقوه من تاجه فان الله حرّمهم من الاراضي والأودية كلها وتركهم اذلاء في العالم ، كان في مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد انور بك ونيازي بك اللذان هما قدم شؤم احدهما قدم بلاد الارناؤوط فذهبت تلك البلاد ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان .

واشار المنار الى دور الاتحاد والترقي في انعاش الماسونية وان الماسونية راجت بسعيهم وانهم أسسوا لها (شرقا عثمانيا) رئيسه طلعت بك ، وقال ان في رواج الماسونية في رجال هذه الدولة الاسلامية من الخطر ما فيه وقد ترجمت مجلة (دين ومعيشت) الروسية ما كتبه المنار وزادت عليه ان اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخفير الى السلطان ماسونيون وجعلت الماسونية في رجال الدولة مفضية الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسوتية (وهذا ما حدث بالدور الذي قام به مصطفى كمال من بعد) وقال السيد رشيد رضا : أرجو ان يكون رجال الاتحاد والترقي قد اعتقدوا ان دولة عريقة في الاسلام وارثة لمقام الخلافة الاسلامية لا يمكن أن تدور رحاها على قطب الماسونية وان العناصر العثمانية لا يمكن ادغامها في العنصر التركي وانما من المملكة هو ائتلافها معه باقامة الدستور (صادق ، طاهر ، رحي ، ناظم ، طلعت ، جاويد) وجاهدوا اشدهم عنقا .

وأفرد السيد رشيد بحثا تحت عنوان اليهود في المملكة العثمانية ، قال فيه : خبرنا الآستانة باقامتنا فيها سنة كاملة فرأينا أن نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقى عظيم وأن ناظر المالية اسرائيلى النسب وأنه جعل كاتب سره وكثيرا من موظفى نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن في هذه المملكة وآمالهم في القدس وفلسطين معرونة ومطامعهم المالية في المكان بعظم نفوذهم فيه غير مجهولة . وجاءت أنباء مجلس الأمة العثمانية مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطبا نبهوا فيها على خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية.

- ٤ -

الجمعية الطورانية

وتحدث المنار (المجلد ١٩) عن الجمعية الطورانية ثمرة الاتحاد والترقى فقال : بدت طلائع الطورانية الحديثة في الآستانة عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلى الانفصال عن الاسلام ولها اغراض عديدة :

- ١ - جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام .
- ٢ - ترقية الروح العسكرى في الأتراك .
- ٣ - انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمى ازربيجان وروسيا الآسيوية وروسيا الجنوبية .
- ٤ - تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربى أو فارسى .
- ٥ - محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى .

ويرى القائمون بهذه الحركة الى جعل التركى يعتقد أنه تركى قبل كل شئ ومسلم بعد ذلك وتربية الأجيال الحاضرة والمستقبل على الروح الطورانى بانشاء مدارس طورانية والتوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرق كشافة من الاولاد الأتراك تحت اشراف أنور باشا ، وإشارات الفرقة ورواياتها مأخوذة من رموز ترجع الى ما قبل الاسلام والاولاد الذين لهم أسماء عربية يستبدل أسمائهم بأسماء تركية بحسبة

(مع العودة الى كتاب المسيو ليون كاهون عن تاريخ الترك والمغول منذ أقدم الأزمنة الى ١٤٠٥ للميلاد) وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب واتفق أن ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى العظام قرا هذا الكتاب فوضع أساسات النهضة الطورانية التى نحن بصدددها ، واعتقادهم صحة النظرية التى ابتدعها (فمبرى) وهى أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية فالاتحاديون يقولون : ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك (مسلمين ليفانتين) وحال دون نشوء حضارتهم ، ان هذه الدعوى على عكس الحقيقة تماما فان الأتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين انتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف (الأوكسوس) لم يكن لهم دين معروف او حضارة راقية لأنهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لكل من يطلب معونتهم ولم يحاول أحد قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان جينكيز خان كان يحلم بنشر سلطانه عليها ولكنه لم يفصل وكل ما لدى الأتراك من حضارة فهى بفضل الاسلام اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم ، ولما كان التركى مشهورا بروح الخضوع العسكرى لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام ، ان العنصر الطورانى لم يشتهر بشئ من قوة الابتداع وما تاريخه الا تاريخ تدمير ، وما يدل على ان العقل التركى ليس عقلا مستتبعا انه لم يات بمستحدث في الاسلام بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو ، وما تسمى اليه النهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الأرجاء تضم تحت الويقتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا او لآى دولة أخرى اما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية لذلك تراهم يسمعون لتترك العناصر العربية بحسب الأساليب البروسية ، قال جلال نورى في كتاب ألفه : ان بلاد العرب لاسيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التى يجب ان تكون لغة الدين .

وعرض السيد رشيد رضا لموضوع (الاسلام والجامعة الطورانية) وكيف يسمى الاتحاديون للانشاء الحضارة الاسلامية فقال : أقمت في الاستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى

في كل سنة من الآيات ما يؤيده ويقتضيه بآني قد استجبت الى ادراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الأجانب ، ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه لأمكنني أن أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمح لعربي من نيل مثله فقد منأى الاتحاديون اعظم الأمانى لأنهم كانوا يظنون انى ما دافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وافساد هذه الدولة الا لأن اسلامى سياسى يدور مع المنفعة أنى دارت .

لقد حملت على الاتحاديين بعد عودتى من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بمثلها من الشدة ، كما تعلمون اننى لم أكتب شيئاً ينافي مصلحة الدولة العثمانية نفسها ولا شيئاً ينافي الاخاء الدينى بين العرب والترك فانا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين ، والذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جداً ولعلمهم لم يكتروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سوريا مصلوبين في أعظم مدنها عمراناً وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الأكبر أمير مكة المكرمة .

وأشار الى كتاب للاتحاديين تحت عنوان (قوم جديد) وكتاب اتحاد رسالة فقال : انه وسع الحديث عن الحركة الطورانية الحديثة وكشف عن أن فرضها هو هدم المدنية الاسلامية واحياء العصبية التركية على انقاضها والجمع بين العناصر التركية التترية والشعوب المسئلة اليها وفيها الأمة البلغارية ، والقائمون بها قوم مشهورون بعدائهم للاسلام وبغضهم عليه وكثرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بحجة أن الاسلام يسمى لقتل العصبية القومية وتحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال ولهم في ذلك وجهان : تمجيد الشعوب الطورانية والقضاء على العصبية العربية .

وأورد (المنار) في مجال الكشف عن الاتحاديين منشور شريف مكة وأمرها الذي أعلن فيه الحرب على الدولة العثمانية والانفصال عنها (١٩١٦) حيث أشار المنشور الى فئة الاتحاديين ووصفهم بالباغين وقال انها هي التي جنت على الدين والدولة والأمة فأنحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض اركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن وحجزت على السلطان حتى منعه من التصرف لشئون خاصته وقصره ، ونكلت بالأمة فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة وخصت العرب بالاضطهاد فصلبت في الشام كثيرا من اهل العلم والرأى والفضل واستحلت مصادرة الأموال واخراج النساء المخدرات والأطفال من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الأناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعى ، ثم ذكر تقصمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وما جنوه على البلاد . ثم بين أن بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي اجترمها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لأن الاتحاديين يعتمدون انساد هذا الدين ومحو هذه الأمة العربية من لوح الوجود وحسبنا برهانا على ما تكنه صدورهم نحو العرب والدين رميم البيت العتيق بقتلتين من قتابل مدافعهم أفتباء قيسام الجبال بالمطالبة باستقلالها ... » .

وواصل السيد رشيد رضا في المجلد ١٩ تطورات الأمور بالنسبة لحزب الاتحاد والترقى فأشار الى ما ينشره حزب تركيا الفتاة الذين تعتبد عليهم جمعية الاتحاد والترقى في تحويل الترك عن الاسلام والتشكيك في عقائده وشريعته والتشويه لأدابه وفضائله والمحو لعصبيته من القلوب واستبدال صبغة جنسية طورانية بها .

وقال ان الشريف حسين وجريدة القبلة التي يصدرها محب الدين الخطيب في الحجاز تعتقد أن الاتحاديين ملاحدة ويكيدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية ، وانهم أشد الناس عداوة للعرب ، وأشار الى سوء نية الاتحاديين وخبث ما أضمره للعرب وما فعله

جمال باشا في سوريا وانهم كانوا يتأولون للاتحاديين ويرجون صلاحهم ولكن تبين لهم أن بغضهم للعرب أشد من بغضهم للروم والأرمن لسببين أحدهما أنهم أعظم أركان الإسلام وانتصاره ، وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها عددا وانهم يهدفون إلى إبادة الشعب العربي الناصر للإسلام وتترك بلاد الخصبه واذلال أهل الجزيرة العربية الأشداء باضعافهم ونزع السلاح منهم وان ملاحدة الاتحاديين أسرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمة لاذلال الإسلام .

- ٦ -

ويتساءل المنار في إحدى فصوله : هل كانت جماعة الاتحاد والترقي خيرا من أولئك السلاطين العظام ؟ ويجب : كلا . ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أو شاب من الملاحدة المارقين قد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بكيد يهود سلانيك وشركاتهم في النمسا والمانييا حيث يوجد أقوى أنصارهم ولذلك نرى همهم جمع المال فلا هم على دين هذه الدولة فيفأروا عليه بل هم يقاومونه ويهدونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها فإذا نظرنا إلى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من الفساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها وقد ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية بعد أن كسرت ولاية البلغار جيوش الدولة وكادت مدافعها بطلحة تترق مسامع أهل الأستانة والسبب كله ما عند الجيش العثماني من المؤونة وقد خسرت الدولة في عهدهم المشنوم من المالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال . خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية أياها للنمسا وطرابنيس الغرب وبرقة ببيعهما أياها لاطاليا ومكدونية والبانيا وكريت وجزائر الأرخبيل أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين وحملوها فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون .

وهكذا اوشك الستار أن يسندل على الاتحاديين بنهاية الحرب العالمية الأولى حيث يستعرض السيد رشيد رضا نتائج تجربته معهم بعد أن أمضى عابها كاملا في الاستانة عمد فيه على محاوراة زعمائهم ومذاكرة علمائهم ، وعاد وهو موثق أن هذه الجمعية (الاتحاد والترقى) ستتضى على هذه الدولة وان اضطهادها بسلطة الحكومة للعرب سيعيد اليهم عصبيتهم الجنسية .

وأشار الى علاقة العرب بالدولة العثمانية في عهد الاتحاديين فقال :
« لم يكن لهذه الدولة هذه القيمة الا بكون بلاد العرب التي هي مهد الاسلام وموطن نشأته جزءا طبيعيا فيها ولكن الاتحاديين المستكبرين احتقروا العرب وبلادهم ودينهم ولم يرقبوا فيهم الا ولا ذمة ولا دينا ولا حرمة فاضطهدوهم وأذلّوهم وحاولوا ابطال لغتهم التي هي لغة كتاب الله ودينه استغناء عنها ومحاولة لنسخها باللغة التي جعلوها لغة (حاكبيهم المالية) وجعل بلادهم الحصينة كسوريا والعراق وتركيا محصنة وجزيرتهم مستعمرة للترك يتصرفون فيها تصرف المالك في عقاره والسيد في عبيده وامائه .

وأشار الى هزيمتهم في حرب البلقان حيث انكسرت الدولة العثمانية حتى كادت دولة البلغار الجديدة أن تأخذ القسطنطينية منها وتحدث عن قضائهم على الزهراوى وعبد الكريم الخليل وأشار الى أحمد جمال باشا الذى عرف بسفك الدماء والذى خادع أهل البلاد وبأظهار الميل الى العرب خدعة وانهم هم الذين أياسوا الأمة العربية من الدولة العثمانية واضطروها الى اعلان الثورة في البلاد الحجازية فكانت من أسباب تقليص ظلها عن رعوسهم وزوال سلطانتهم من بلادهم .

المرحلة الثالثة (١٩١٩ - الى نهاية المنار)

أتاتورك واسقاط الخلافة

- ١ -

كانت قضية الخلافة الاسلامية بين مرحلة فصلها عن السلطة ومرحلة اسقاطها هي اهم ما عنى به المنار (في مجلديه ٢٣ ، ٢٤) فقد استهل مصطفى كمال الموقف باسقاط الدولة العثمانية ، وفصل السلطة عن الخلافة وتكشف بعد مؤتمر لوزان ما وصفه السيد رشيد رضا بأن العالم المسيحي تظاهر على تأليف اوطان خاصة للأقليات المسيحية في الوطن التركي الصغير : الأرمن والروم والأشوريين والكلدانيين كلهم مسيحيون يجب أن تكون لهم اوطان في قلب البلاد الاسلامية ولا سيما الدولة التركية ، وقد اضطر الترك الى الصلح لأن شعوب أوربا حاربهم أربع سنوات فأنهكتهم الحرب وانتهت ثرواتهم العظيمة » .

ومنذ اليوم الأول أخذت المنار تنشر فصولا ودراسات متنوعة حول الخلافة والأحكام الشرعية الخاصة بها وكان أبرز الاتجاهات في هذه الفترة :
أولا : اهتمام الأتراك بنشر دراسات عن الخلافة انتقموا فيها بدراسات المستشرقين وخاصة اليهود منهم التي ترمى الى القول بأن الخلافة ليست من الاسلام ، وأن الاسلام ليس الا دين عبادي ، وذلك على النحو الذي ترجمه على عبد الرازق وأصدره باسمه من كتابات المستشرق اليهودي مرجليوت .

ثانيا : موقف مسلمي الهند وجهادهم في سبيل الخلافة الاسلامية وتحرير الجزيرة العربية حيث أخذت جمعية الخلافة الاسلامية بزعامة الشيخ سليمان الندوي تحرض المسلمين على النهوض للوقوف في وجه حركة الكماليين وقد اشار في رسالة أرسل بها الى المنار (م ٢٤ / ٦١٩) الى الحركة التي قام بها المسلمون في الهند والمطالب التي نهضوا بها امام حكومتهم البريطانية ومساعدتهم التي بذلوها في سبيل الخلافة العثمانية والدفاع عن كرامة الجزيرة العربية وكشفهم عن موقف الاتحاديين في استغلال الأمم والخروج من ريقه الدين والانحياز الى الجنسية

والعنصرية لاضعاف كلمة الإسلام وتوهين جامعة المسلمين ، وقد دعا المسلمون في الهند الى التناصر والتآخي والدفاع عن حوزة مركز الإسلام وهى الخلافة العثمانية وكيف سارعت بريطانيا تعلن انها لن تمس عواطفهم او حياتهم الدينية أو البقاع المقدسة الإسلامية التى ستبقى محفوظة خلال الحرب وأمنة من الحملات وأن للمسلمين وحدهم ان يخوضوا فى شأن الخلافة » .

ومن ناحية أخرى أعلن عصمت باشا قيام الدولة التركية بدلا من الامبراطورية العثمانية واستقلال البلاد العربية وذكر منها الحجاز ، وأعلن أن الملك حسين رئيس الأمة العربية وأكبر زعمائها وقال المنابر ان فى تنصيب الملك فيصل بن الحسين على العراق والأمير عبد الله على شرق الأردن ما يضمن للدولة البريطانية استعمار فلسطين والعراق بدون نفقة كبيرة ، كما قامت الخلافة المستقلة عن السلطة (وحيد الدين) وعبد المجيد بعده مقدمة لالغاء الخلافة عامة .

ولم يتوقف المنار عن مهاجمة جريدة طنين التركية فى شأن اللغة العربية بوصفها لغة الإسلام ، وكانت الصحيفة قد تلقت رسالة من مسلمين فى طشتند وأفغانستان ومصر والجزائر وبمباى وبكين يحثون فيها المسلمين على استعمال لغة واحدة فى العلاقات بينهم أسوة بالقاعدة المتبصرة فى استعمال اللغة الفرنسية فى المسائل السياسية وصرح هؤلاء أن اللغة التركية تتوفر فيها الصفات الضرورية لهذا الأمر على كونها لغة أكبر دولة إسلامية .

وكشف رشيد رضا أن هذا الاقتراح مصنوع وأن صناعته غير مثقفة وأن لغة تركيا التى يرى الآن سلخها من اللغة العربية وتطهيرها من لغة القرآن لا يمكن أن تصلح لهذا الغرض مع وجود اللغة العربية » .

كذلك فقد نشرت المنار كتاب العلامة أبو الكلام آزاد عن الخلافة الإسلامية (م ٢٣ / ٤٥) .

ولم تلبث الأحداث أن تواصلت ووقع الحادث الجلل : اسقاط الخلافة الإسلامية وعرضه المنار في اهتمام بالغ تحت عنوان : الانقلاب الدينى والسياسى فى الجمهورية التركية : طرد الخليفة وعشيرته من البلاد التركية واستصفاء أموالهم والغاء نظارة الأمور الشرعية ووزارة الأوقاف والمدارس الدينية وفى فصل مطول قال السيد رشيد رضا : بدأ سياسة أوربا وأساتذتها ينفثون سم العصبيتين الدينية والجنسية فى الشعوب الأوروبية المسيحية العثمانية كاليونان والصرب والرومان والبلغار حتى نهضوا بهم الى طلب استقلال بلادهم وساعدتهم الدول الأوروبية على ذلك حتى نالوه ، ثم طفقوا ينفثون السم فى أرواح سائر الشعوب العثمانية عامة وعصية الجنس واللغة فى شعب الترك خاصة لكراهة السلطنة العثمانية . ومضى الأحرار يسعون لاسقاط الدولة العثمانية ليبنوا على أنقاضها دولة تركية محضة يكرهون جميع أهلها على قبول الجنسية التركية وقد فتن المترنجون من الترك بتقليد الأوروبيين فى نظم حكوماتهم وقوانينها . وعلم السلطان أن الجون ترك يكيدون له فليج فى مطاردتهم فى الداخل والخارج وشغلته هذه المسألة عن اصلاح الدولة والاسراف (ولا شك) ان عطف الدولة البريطانية على الجون ترك ومساعدتها لهم من دلائل استخدامها اباهم فى سياستها من حيث يشعرون أو لا يشعرون ذلك أن رجال جمعية الاتحاد والترقى ، الفوا الكتب الطاعنة فى الاسلام الداعية الى استبدال الرابطة التورانية بالاسلام ولكنهم كانوا يخافون عاقبة تنفيذ مقاصدهم ، ولما اتجهوا الى الحلف الجرمانى فقدت الدولة سائر ما لها فى أوربا وأفريقيا وآسيا ، ومزقوا هذه الدولة بمعاهدة سيفر شر ممزق ، ومعاهدة لوزان التى تقرر فيها استقلال ما بقى للترك والغاء الامتيازات الأجنبية ، وقام مصطفى كمال بالغاء الخلافة الزمنية أولا ثم الغاء الخلافة بعام .

ثم تواصلت الأحداث التى تمثلت فى مواقف متعددة حيث جرى البحث عن الخلافة الاسلامية بمناسبة سقوطها والمحاولات التى قام بها الشريف حسن والملك فؤاد وظهور كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلى عبد الرازق وقينام الدولة السعودية فى الجزيرة العربية وتصدت المنار لكل ذلك

بقوة ودحضت شبهات على عبد الرازق وهاجمت محاولة الدولة الكمالية في ترجمة القرآن ، وفي فصل بطول تحدث السيد رشيد رضا عن موقف الكماليين من الاسلام فقال :

كنا نعلم أن مصطفى كمال باشا يشنّ الاسلام ويمقتنه من قبل أن يظهر ذلك ونعلم أن ملاحدة الترك المؤافقين له في السعى لتحويل الشعب التركي عن الاسلام بغضا فيه وفي العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرون وكنا نتمنى قبل تأليفه للجمهورية اللادينية لو يظل هو وأركان حزبه يظهرّون الاسلام ويحافظون على اسمه وشعائره الظاهرة ولا يعلنون عداوته مراعاة للشعب التركي فأبوا إلا أن يهدموا كل ما بقي للدولة فيه من مظهر وشعيرة ، وحكم وعمل وعلم ، وقد وضعوا في قانون الجمهورية أن دين الدولة الرسمي هو الاسلام فلم نشك وقد رأينا ما رأينا من هدمهم للاسلام من الدولة ثم محاولة هدمه في الأمة . أن هذا اللقب قد وضع تقيّة ، لئلا تكون لمفاجأة الأمة بترك دينها اسما ومعنى تأثر تخشى غائلته ، وقد صرح مصطفى كمال باشا نفسه أخيرا بعد أن صرح مرارا بأن التركي حر في اختيار الدين الذي يعجبه وثنيا كان أو يهوديا أو نصرانيا ولعمري أنه ليس حرا في أن يكون مسلما فانه يجبر اجبارا على استباحة شرائع الاسلام من حلال وحرام ، وقال : لقد سمى الغاء الأحكام الشرعية توحيد للمحاكم وسمى منعه للعلوم الاسلامية وابطالها توحيد للتعليم التركي وسمى تفصيله للقوانين الأوروبية المسيحية الأساس كتمان سويسرة للأحكام الشخصية ايثارا للأحكام الحديثة ، وهناك رواية أنه يريد أن ينصر الشعب التركي ولكن يود أن يأخذ ثمننا على ذلك من الدولة البريطانية وإن من أشهر الكتاب الذين كانوا يغشّون المسلمين بهؤلاء الملاحدة عمر رضا المصري الأصل المقيم في الاستانة الذي كان يرسل جريدة الأخبار المصرية الاسلامية قبل أن يصل أمر الحكومة التركية الى هذا الحد ، فلما نزع في الخفاء استبدل جريدة السياسة المؤيدة لنزعة الترك اللاحادية بجريدة الأخبار . وقد كتب الأمير شكيب أرسلان مقالات في اظهار خفايا شنّان الحكومة التركية للاسلام والعرب نشرتها جريدة الأخبار فتولى الرد عليها عمر رضا هذا وبعض أصحاب الجرائد التركية ثم شايعتهم جريدة

السياسة في مصر ولم يرد له أحد حجة ولا نقض له قضية ، وانما جادلوا وماروا بالباطل وزعموا انه ليس له حق في الدفاع عن الاسلام لانه من طائفة الدروز ، والأمير شكيب من انبغ مريدى الأستاذ الامام الذين تلقوا عنه عقائد السنة السامية وحكمها العالية في بيروت فكان بهذا من انصار الاسلام والسنة لا من آحاد المسلمين (م ٢٨) .

وواصل السيد رشيد رضا كشف « حقائق عداوة ملاحدة الترك للاسلام » وعلمهم على محو الاسلام من الشعب التركى وتأسيس دولة تركية محضة وجعل الولايات العربية مستعمرات لهذه الدولة وتترك سائر العناصر العثمانية ومن يقدر على تتركه من العرب وانهم اتخذوا سياسة المراحل في القضاء على الاسلام فبهدوا لالغاء الخلافة بتنصيب خليفة روحانى لا عمل له وقال انهم فشلوا في هذه الخطة لأن الشعب التركى يدين بالاسلام وهو ساقط على الحكومة لشعوره بأنها تهدم دينه الذى هو مناط امله .

وتحدث عن خط هجوم الكمالين على الاسلام باستبدال الاحرف اللاتينية بالحروف العربية ووجوب محاربة هذا الخط على العالم الاسلامى فقال : لقد بات مقاومة هجوم الكمالين فرضا مقدسا على المسلمين ليستطيعوا الاحتفاظ بدينهم هم وذرايعهم المستقلة فان أعداء الاسلام في انقرة لم يجدوا امامهم عملا الا استئجار الكتاب من اوروبيين وشرقيين بأموالهم وأموال المفسدين لنشر الدعاية ضد الاسلام يدعون الى استبدال الاحرف اللاتينية بالعربية كما فعل ذلك لويس ماسينون في باريس للقضاء على الاحرف العربية (م ٢٩) .

الفصل الثاني

الماسونية والصهيونية

كان السيد رشيد رضا من النقطلة والوعى بالتيارات المالية والمؤامرات التي تجري حول عالم الاسلام فكان من ذلك استشفافه لأخطار الماسونية منذ وقت باكر ففى المجلد السادس (١٩٠٢) تحدث عن هذه الارهاصات فقال : رأى جمال الدين أن نحلة الماسونية تجر هذه البلاد الى أوربا بخيوط سياسية خفية ولكنها متينة قوية فهى كالخيوط التي يربط بها المشعوذ التماثيل التي يلعب بها من وراء ستار ، فيحسب الصبيان أنها هى التي تلعب بنفسها . وهكذا كانت مصر العوبة فى أيدي الأوربيين فأراد أن يريى رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم وأنفسهم فوجه همته الى استخدام الماسونية فى تعليم تلاميذه ما لا يمكن التصريح به الا فى جمعية سرية فدخل فى الماسونية ودخل معه تلامذته التابعون فجعل بهم قوة للمصريين وصار رئيس مجتمعهم ، ولكنه كان غاليا فى مضادة الانجليز لما كان من زحفهم على بلاده ولما كان يعتقد من طمعهم فى مصر وقد صرح بذلك كتابة مقاوموه حتى اضبطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ، ولم يكن للماسونية عمل فى مصر الا فى تلك الفترة ثم ان الماسونية صارت فى مصر آلة لبعض زعمائها فى جلب المنافع ثم كثر فيها الغوغاء حتى قل احترامها وانطلقت الألسنة بالطمع فيها وليس هذا ما يعيننا الآن .

وفى نفس المجلد تحدث عن الماسونية واليهود فقال : الماسونية جمعية سرية تكونت فى أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات القسيسين الذين كانوا متضامرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى ولذلك جعلوا رموزها واشاراتها متفرعة من الكتاب المشترك الذى يسمى الكتاب المقدس وأسندوها الى بناء الهيكل المقدس : هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى ، ثم ان الامرنج لما تظفلوا فى الشرق وراوا مزاج السيادة الاسلامية لا يقبل مشاركا له فى حكمه

فهو يجيش باتفعال جميع المسلمين لنبد سلطة من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على اضعاف هذا المزاج وتوسلوا الى بعض كبراء المسلمين واغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم فادخلوا طائفة منهم وبقي اكثر المسلمين الى اليوم يعد الماسونية نزعاً من نزعات الكفر او وسيلة اليه الا ان الشعب المصرى سريع الانتقاد الى التقليد ولذلك كثر الداخلون فى هذه الجمعية من اهله على ان اهله يتصلون بالاديان ويدعون عدم التعرض لها بحال . . . »

ومضى السيد رشيد يوالى امر الماسونية على صفحات المنار فتحدث (م ٨) عن مؤلفات جديدة بدأت تظهر بالعربية منها تاريخ اليهود لشاهين بكاريوس ، والحقائق الاصلية فى تاريخ الماسونية العملية ذكر فيها اعمالها السياسية السرية التى كانت من اعظم اسباب الانقلاب السياسى فى اوربا (وتابعه بعد ذلك جرجى زيدان) ومضت الاحداث المضرة من اعمال الماسونية فى الدولة العثمانية وفى السيطرة على جماعة الاتحاد والترقى وكانت قد حملت لواء القضاء على السلطان عبد الحميد بالقتل والانقلاب وقد جريت الاثنين ففشلت الاولى ونجحت الثانية ، وبعدها انكشفت اوراق الماسونية التى كانت قد خدعت الكثيرين من دخلوا فيها ظناً انها وسيلة للنهضة او وسيلة للبر او مقاومة للنفوذ الاجنبى ، ففى عام ١٩١٨ (م ١٤) اتضح الموقف وكتب السيد رشيد رضا عن الماسونية فى البلاد العثمانية قال : كان السلطان عبد الحميد عدو للجمعية الماسونية لاعتقاده انها جمعية سرية وهو يخاف من كل اجتماع وكل سر وان غرضها ازالة الاستبداد وهو مستبد وازالة السلطة الدينية من حكومات الارض كلها وهو يفخر بالخلافة الاسلامية ويحرص عليها وقد تنفس الزمان للماسونية بعد الانقلاب الذى كان لهم فيه اصابع معروفة فاسسوا « شرقيا عثمانيا » استاذهم الاعظم طلعت بك ناظر الداخلية واركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقى وانصارها من اليهود وغيرهم ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالى بسخط الأمة ولا يرضاهما فى ادارته التى استعانت فيها بالملكة بالسنة ولايتها الا ولاية سلانيك وكذا اثرته فيما اظن والسنة يبعوثها حتى بعض الاتحاديين وسلانيك هى الآن مركز السلطة الحقيقية فى المملكة وانما الاستانة مركزا للتنفيذ

ثم واصل المنار الحديث في المجلد ١٤ (١٩١٢) ومنها أول كلمة صريحة وأول اعتراف بانصاف السلطان عبد الحميد وقال انهم كان لهم اثرهم في الثورة الفرنسية وفي الانقلاب العثماني ثم نشر بيان الاميرالى صادق بك عن الماسونية والاتحاد والترقي وأشار الى مقالة مجلة دين ديمعشت الروسية أن جمعية اركان الدولة والقائمين بأعمالها جميعا من الخير الى السلطان ماسونيين وجعلت الماسونية مهمة رجال الدولة منصبة الى هدم الدولة الاسلامية وتأسيس دولة ماسونية .

- ٢ -

وكان هذا كله مقدمة للحديث عن الخطر الصهيوني الزاحف الذي لم يغفل عنه السيد رشيد رضا فقد كانت افتتاحية المنار (يناير ١٩٠٢) ١٣١٩ هـ عن أخطار الجمعية الصهيونية فقال : ان رياض باشا اطلع على كتاب لبعض الاوربيين المجاورين لليهود عن الجمعية الصهيونية ومساعدتها في اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل وقال انه يعرف هذه الجمعية منذ خمس سنوات (اى منذ عام ١٨٩٧) وهو تاريخ عقد مؤتمر بال وظهور البروتوكولات ، وقال انها جمعية سرية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم ، وجاء ذكر هذه الجمعية في منار السنة الاولى (ص ٤٤/٤٥) وفيه أن حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة في النمسا والمانيا وانجلترا وأمريكا . وهي تتظاهر بنقل فقراء اليهود المهاجرين والمقيمين الى بلاد فلسطين فلما وثقت بقومها الآن خرجت من مضيق الكتمان وقد بعثت منذ أشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندرة الى الاستانة للمساومة على شراء القدس الشريف ويقال انه لقي من الحضرة السلطانية التفاتا وانعطافا وبعد عودته خطب في الجمعية فقال : ان اليهود سيجعون بكثرة الى فلسطين ملكتهم القديمة التي لا يمكن ان تغرب شمسها عن سماء أفكارهم وسيبلغ عددهم فيهمسا عام ٢٠٠٠ اى في آخر القرن العشرين المسيحى مائتى ألف ألف (مليونين) نفس وسيجعلون تلك الأرض جنات عالية قطوفها وينشئون فيها حدائق ذات بهجة ويصلون أطرافها وأرجاءها فيكون شعب اسرائيل منارا على جبل صهيون تهتدى به الامم ، وقال ان غاية ما يرمى اليه اليهود هو جمع

النقود الكافية لابتیاع أرض فلسطين من السلطان وبلغ ما جمع الآن الف الف ريال أمريكي (ملیون) هذا ما نشرته الصحيفة العبرانية الفرنسية والموضوع بكامله (ص ٨٠٦ مجلد ٤ من المنار) وبدو أن السلطان عبد الحمید لم یکن قد حدد موقفه من الصهیونیین فی هذا الوقت ولذلك فاته لم یعلن موقفه الا بعد أن اتاح لهم الفرصة فی ذكاء السیاسی لطرح کل ما عندهم وقد اشار هررتل فی مذكراته أنه تردد أكثر من مرة على السلطان وأن السلطان قد حسم الموقف فی النهاية على النحو الذی أزعجهم وجعلهم یرتبون قتله أو اسقاطه ومن ثم أعلنوا علیه تلك الحملة الضاربة التي قادها صحفیبو المارون فی مصر وغيرها فی المقطم والهلل وكتابات سركیس وغيره .

وفی المجلد الرابع عشر من المنار سنة ١٩١١ تحدث السید رشید رضا عما أطلق علیه المشروع الأصفر فقال : خبرنا الاستانة بأقامتنا منها سنة كاملة فرأینا أن نفوذ اليهود فی جماعة الاتحاد والترقی عظیم ، وان ناظر المالية اسرائیلی النسب وانه جعل كاتم سره وكثيرا من موظفی نظارته من اليهود نعلمنا أن اليهود سیکون لهم شأن اى شأن فی هذه المملكة ، وآمالهم فی القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم الحالية فی المكان تعظم وتعوذهم فيه غیر مجهول وأشرنا الى ما یخشى من مغیبة ذلك فی أجزاء السنة الماضية ثم جاءت اثناء مجلس الأمة العثمانی فی هذه الأيام مصدقة لما قلناه فقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضین للحکومة خطبا نبهوا فیها على خطر جمعية اليهود الصهیونیه فی المملكة العثمانیه وأنکروا على ناظر المالية بیعه احسن موقع عسکری فی الاستانة لشركة أجنبية بثمن دون المثل بسمرة بعض اليهود ، كذلك اشارت المنار الى أن جريدة الكرمل نشرت مقالات عن جمعية اليهود الصهیونیه التي تسعى لتطليک اليهود بلاد فلسطين وتمهد السبیل لاعادة ملک بنی اسرائیل .

وتحدث عن ما نشرته صحف سوريا فی مشروع الأصفر حیث قال ان عمران بلادنا یتوقف على استعمال الأموال الأوربية فیها وزمام هذه الأموال فی أیدی اليهود ، وترى الصحف أن الخطر من الصهیونیة ینحصر

في شيء واحد هو امتلاكهم للأرض المقدسة ، والخطر من استعمال أموال الأجانب اليهود ينحصر في غرق الأهالي والحكومة في الديون وثانيهما تملكها لرقبة البلاد بأن يكون أكثر الأرض أو الكثير منها لهم ، وقال لقيد زادت ثروة مصر بأموال الأوربيين وأعمالهم أضعافا مضاعفة ولولا جراحة الفلاح المصرى على الاستدانة بالربا الفاحش وغير الفاحش بغير حساب ولولا الاسراف والقمار والمضاريبات لما كان على المصريين دين يذكر بالنسبة الى ثروتهم العامة .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن المنار كان هو السابق لجميع الصحف في التنبيه الى نفوذ اليهود الصهيونيين في جمعية الاتحاد والترقى وما فيه من الخطر على الدولة ، وقد ظهرت الحقيقة في مجلس الأمة العثمانية وعلى لسان الصدر الأعظم حتى باشا الذى صرح في خطاب له بأن اليهود هم أصحاب المستقبل في هذه الدولة ، حتى في أمورها الادارية والعسكرية .

— ٤ —

ويتحدث السيد رشيد رضا في مقال مطول عن بنى اسرائيل فأشار الى كيد اليهود في شل عرش ذلك السلطان الدينى والدنيوى في أوربا وأنه لولا ذلك لمحت العصية الصليبية راية الاسلام في الشرق كما محتها في أكثر أوربا ولما وجدت هذه الحضارة المؤسسة على قواعد العلوم والفنون والحرية التى نفحها روح الاسلام في الأندلس والشرق ثم انتقلت الى ايطاليا وفرنسا فسائر بلاد الغرب ثم يقول : على أن الشعوب الأوربية الحرية بالطبع الموروثة قد كفرت بنعم الله في العلم كما كفرت بتمتته في هداية الدين فهى تستخدمها في الاستعداد لذلك معالم الحضارة وال عمران و اباداة بعض شعوبها لبعض ، فاليهود يلتوون لهذه الدول وشعوبها في شرق أوربا وآسيا بالبشغية وفي غربها بخسما الراسمالية والغرض من الكيد من ازالة بغى القوة النصرانية ثم القوة المادية لشعوب أوربا التى تساعدهم على غرضهم الأساسى وهو تجديد ملك يهودى يكون له النفوذ الأعلى في العالم ، فهم الذين تلو عرش السلطان البابوى

بقوة العلم والمال لأنه كان يضطهدهم في كل مكان وهم الذين وضَعُوا سلطان الحكم العنصرى بمجلس الدوما أولا ثم قوضوه بالحكومة الشيوعية اخيرا لأنه كان يضطهدهم أيضا وهم الذين ساعدوا جمعية الاتحاد والترقى على تقويض سلطان الخلافة التركية تهيدا لتمكنهم من امتلاك فلسطين لا لاضطهاد الترك لهم وهم الذين قوضوا صرح القوة الألمانية في الحرب الأخيرة بما بعثوه من سموم الثورة في أسطولها وفي جيشها وبما جاهدوا بأموالهم وكيدهم في حمل الولايات المتحدة على مساعدة أعدائها الحلفاء عليها ثم سَعَوْا لنشر الشيوعية فيها حتى لا تقوم لها قائمة مسيحية ولا قومية ، وما كان هذا الا خدمة لانجلترا وجزءا على عهدها بلسان لورد بلفور في تأسيس وطن قومى وملك يهودى في فلسطين فكيدهم لألمانيا ككيدهم للدولة العثمانية لا ككيدهم لدول الاسنن والعنصرية الروسية . الظالم سيف والله ينتقم به ثم ينتقم منه رواه الديلمى في مسند العروس بلفظ عدل الله (م ٣٤٧/٣٣) .

ثالثا : الحركات الإصلاحية (الوهابية والسنوسية) وغيرها

- ١ -

أولت المنار على مدى عمرها الطويل اهتمامها بالحركات الإصلاحية الإسلامية وتابعت حركة اليقظة الإسلامية في مختلف أجزاء العالم كما أولت اهتماما بالغا بالمؤتمرات الإسلامية التي عقدت في الهند ودمشق وجنيف ومكة المكرمة وبيت المقدس ، بل لقد اهتمت بمؤتمر أم القرى الذي تخيله الكواكبي ١٣٢٠ هـ .

مؤتمر ندوة علماء الهند ١٩١٢/١٣٣٠ .

المؤتمر السوري العام بدمشق ١٩٢٠/١٣٣٨ (وقد انتخب السيد رشيد رضا رئيسا للمؤتمر) .

المؤتمر السوري الفلسطيني بجنيف ١٣٤١ .

مؤتمر مكة المكرمة السعودي ١٣٤٤ .

مؤتمر بيت المقدس ١٣٥٠ (ديسمبر ١٩٣١) .

كما تابعت نهضة الاسلام في الهند وفي جزر الملايو فتجددت عن أحمد خان الهندي وأحمد دحلان ومدح المنار أحمد خان الذي أنشأ جامعة عليكرة لأنه كان دائما موضع المقارنة مع الشيخ محمد عبده فيها فعلمه كلاهما للخروج من دائرة التقليد وبحث الاسلام بحث المجتهد المحقق كما يقول المنار (ص ٣٣ م ٧) ولكن الأبحاث بعد ذلك كشفت عن جوانب أخرى بالنسبة للرجلين .

وفي المنار المجلد ٢ ص ٢١١ كتب السيد رشيد رضا عن السنوسية كما كتبت عنها صحيفة الماتية (دي كولوني) وأشار الى أهميتها من حيث انتشارها السياسي وأنها أنشئت ١٨٥٥ بواحة جغبوب محمد بن علي المنوسى المولد ١٨٩١ على حدود الجزائر المتاخمة لمراكش ، بارح وطفه

١٨٣٠ مشعلا نار النقمة على الفرنسيين الذين كانوا استولوا على تلك البلاد وقد حط الرحل بعد الرحلة في واحة جغبوب ١٨٥٥ ، كذلك فقد واصل الحديث عن طريقة السنوسية من الاسكندرية ودرنة (م ١٥) ودعوة السيد احمد الشريف السنوسى الى جهاد الايطاليين كما تحدثت عن ثورة السودان التى قام بها الامام المهدي (م ٢) وتحدثت عن النفوذ الانجليزى فى البلاد الاسلامية والامتيازات الاجنبية ، وتحدثت عن تعصب غلادستون وسالمبرى ضد الاسلام .

وأولت الاستعمار اهتماما كبيرا فتحدثت عن السياسة الهولندية فى جاوة وعن سياسة فرنسا فى مراكش .

كما تحدثت عن انتشار الاسلام فى مجاهل افريقيا نتيجة أسفار المسلمين وتوغلهم بقصد الكسب والاتجار فلما أنس الأهالى منهم الوفاء والاستقامة اقتدوا بهم فتناسلوا وتكاثروا ونما بينهم الاسلام، حتى قال أحد الرحالة الأوربيون أنه لم يكن يأمن على نفسه أثناء رحلته وأثناء تطوافه الا عند المسلمين .

وأولى المنار اهتماما كبيرا حول المسلمين فى الهند ونشر فصولا عن محاكمة الزعيم المسلم أبو الكلام آزاد فى الهند وخطابه الذى القاه عند محاكمته أمام المحكمة الانجليزية ووصف ثورة الهند السياسية السلبية وانتصارها للخلافة والدولة التركية والبلاد العربية (م ٢٤) .

- ٢ -

ولقد كان لأحوال الحجاز والجزيرة العربية موضعا هاما ومتابعة كاملة وقد والت المنار أخبار الثورة العربية التى قام بها الشريف حسن وما اتصل بها من تمزيق البلاد العربية بمعاودة سايكس باكو وقيام نظام فى سوريا ملكى ثم احتلال فرنسا لها وما يتصل بموقف الشريف حسين من النفوذ الأجنبى ومسألة فلسطين .

ثم توالى الأحداث وزحف النجديون على الحجاز وتم استيلاء الملك ابن السعود على جميع الحجاز ديسمبر ١٩٢٥ (١٣٤٤ هـ) وأشار الى ما كان بين سلطان نجد والبيت الهاشمى .

وفي مجلد (٢١) تحدث المنار عن الخلاف بين النجديين والحجازيين
قال : لفظ الوهابية يطلق على اتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم
السنى الشهير المجسّد للنهضة الدينية في نجد ، فقد أخذ أمير نجد
تلك النهضة في إبان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز
التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري .

وقد انبرت حكومة الاستانة لمناهضته وأخراجه من الحجاز الذي
هو مناط عظمتها وسلطتها الإسلامية واستعانت على ذلك بحكومة محمد
على باشا التي كانت عاجزة عن تولى ذلك بنفسها وأرادت أن تشوه تلك
الحركة الإصلاحية فاذاعت أنها عبارة عن أحداث مذهب جديد مبتدع في
الإسلام مخالف لمذاهب أهل السنة وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين
والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله وتكفيرهم وهم ينكرون كل
مذهب في الأصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب
الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه .

وأشار إلى رواية الجبرتي عن الوهابية وعسكر محمد على .

ثم قال : ولا يزال مسلمي الحجاز ومصر وسوريا والاستانة يظنون
أن لأهل نجد مذهب مخالف لمذاهب أهل السنة لأن بعض الذين كتبوا عنهم
قالوا أنهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة
والسلام ما يعد أهانة وكانت قد صدرت الإرادة السنية إلى مصد هلى
بقتالهم وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الإسلامية
ناطفاً مراجهم وبدد شبلهم .

ولم يكن في هذه الفترة من الممكن قول كلمة الحق عن الوهابية لخوف
الدولة العثمانية منها ومعارضتها لها ، ثم أشار إلى ثورة الشريف حسين
على فعلة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بحملتها في عهد
الحرب الأوربية وقد اقنع بعض أهل الفترة والأحلاف من العرب باتخاذ
ذلك وسعى إلى جمع كلمة عرب الجزيرة في سبيل انتقاذ عرب سوريا
والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم . وقد سعى بعض الطامعين
في جمع الكلمة يعقد اتفاق بين شريف مكة والأمير ابن سعود صاحب

نجد والامام يحيى صاحب اليمن والاريسى صاحب عسر على قاعدة الاعتراف بكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم على دفع العدوان الاجنبى ورفع شأن الجنس العربى ، وبدأت حكومة الحجاز في الطعن في اهل نجد والدعوة الدينية الى قتالهم ، وقد أرسلت حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال الشريف خالد في الخرمة . وتضمن منشور ملك الحجاز ١٣٣٦ الاشارة الى البدع والزيغ الدينى عن منتحلى العقيدة الوهابية المكثرين لكل العالم الاسلامى

وتحدث عن موقف حكومة الحجاز وتكفير الوهابيين والنجديين والدعوة الى تعاليم باسم الدين وقد أرسل ابن سعود بيانا الى اهل الشام قال فيه : نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونقلد في عبادتنا الامام الاعظم احمد بن حنبل ونعترف أن اخوته الائمة الباقين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يغركم ويفسدكم ويفتكم فتعطوه صبرا ومالا . وقال : هم اخوتكم في الله يجاهدون في الله ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن طامعون في بلادكم فخلوا بيننا وبينه ليزول الأعجل ويقضى الله أمرا كان مفعولا » (م ٢١) .

ثم واصل السيد رشيد رضا كشف حقيقة الوهابية وتجليه منشأ الطعن فيها فقال : ان سبب قذف الوهابية بالابتداع والكفر سياسى محض ، كان أولا لتغيير المسلمين منهم لاستيلائهم على الحجاز وخوف الترك من أن يقيموا دولة عربية ولذلك كان الناس يهجون عليهم تبعا لسخط الدولة . الى أن حددها الملك حسين في الحجاز وولده فيصل في العراق وولده الامير عبد الله في سوريا (فلسطين) لقد أصدر الملك حسين عدة منشورات في جريدته ١٣٣٦/١٣٣٧ رماهم فيها بالكفر وتكفير أهل السنة والطعن في الرسول الأعظم وأنه لا بد للسلطان من قتالهم ثم سرى ذلك الى مصر وظهر له أثر في بعض الجرائد وقد رد على هذه الرسائل بعض علماء الشام وجرت مناظرة مع علماء مكة (م ٢٤) .

ثم انتهى الموقف بانتصار السعوديين واستيلائهم على مكة والمدينة والطائف وجدة واستقر أمرهم وتعرف المسلمون على حقيقة دعوة التوحيد

التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتكشف زيف دعاوى النفوذ الأجنبي في تشويه الحقائق واستغلال ذلك سياسيا .

ويتحدث السيد رشيد رضا في المجلد (٢٧) تحت عنوان « الوهابيون والحجاز » فيقول : مما خص الله به هذه الأمة أنها لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، وان الله تعالى يبعث فيها مجددين لأمر الدين كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة تثبت صحة معانيها بالفعل .

ولقد كان من أجلهم في القرون الوسطى قدرا وانبهم ذكرا شيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله فقد اتاه الله من المواهب ما يندر ان يجتمع لأحد من البشر ، وقد تصدى للرد على النصارى واهل البدع والف في ذلك المصنفات الدالة على سعة علمه وقوة حجته وقد شهد له اكابر المصنفين ولاسيما حفاظ الحديث بما لم يشهدوا لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته ويزائره وصدده عن نصر السنة واحياء مذهب السلف بعض كبار العلماء الرسميين المقربين الى الملك فاوذى وحبس في هذا السبيل وظل أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كثير حتى أحياء الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي الى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الاسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مجددا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي نشأت فيهم الى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الاسلام ابن تيمية .

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاعتقادهم انهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من

السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ثم ظهر لهم ان مصلحتها تقتضى بالاتفاق مع آل سعود والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بين الدولة فيها فعلت ذلك اما امراء مكة المعروفون بالشرفاء فقد ظلوا في الطعن على دين الوهابيين واقتراء الأكاذيب عليهم ، و اشار الى دسائس الشريف حسين لآل سعود ، والى زحف السلطان عبد العزيز على الحجاز وانقاده منه ، وقد نشر السيد رشيد رضا بضع مقالات في جريدة الأهرام وفي المنار كشف فيها عن ان هؤلاء النجديين الذين يلقبون بالوهابيين سنيون متمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الامام احمد في الفروع وانهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا وأبعدهم عن الابتداع ، وان الاستعداد للإصلاح الاسلامى الحق بالتوحيد الخالص وترك البدع والخرافات والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن اقوى .

البَابُ الْخَامِسُ

ميادين العمل الصحفي الاسلامى

الفصل الأول : التعرف بفضل الاسلام

الفصل الثانى : الدفاع عن اللغة العربية

الفصل الثالث : التربية والتعليم

الفصل الرابع : قضايا المرأة والمجتمع

الفصل الخامس : احياء التراث

الفصل السادس : اعلام المنار ووفيات الاميلن

الفصل السابع : الصحف والمجلات

الفصل الثامن : الجماعات الاسلامية

الفصل الأول

التعريف بفضل الاسلام

- ٩ -

كان صدر السيد رشيد رضا ممثلنا ايماناً بعظمة الاسلام وفضله وأجاد تاريخه على نحو واضح في كل صفحات المنار ، ومنذ العدد الأول أولى اهتماماً كبيراً لإبراز عظمة الاسلام « كمنهج اجتماعي وحضاري » كان له أبعد الأثر في الحضارة الانسانية عامة وفي الحضارة المعاصرة وفي تمدن البشرية ولذلك فقد أولى اهتماماً بأدوار عدة :

أولاً - عرض ما جاء في تقدير الحضارة الاسلامية والشريعة الاسلامية في كتابات الغربيين .

ثانياً - عرض صفحات من التاريخ الاسلامي وتاريخ الاندلس ودور المسلمين في بناء المنهج التجريبي واقتباس أوربا من الاسلام .

ثالثاً - دور العرب في بناء النهضة الاسلامية العالمية والتحدث عن مدنية الاسلام في الطب والفلك وغيرها .

رابعاً - الاهتمام بالشخصيات ذات الشأن في التاريخ الحديث التي أولت اهتماماً وتقديراً للاسلام .

خامساً - عظمة القرآن وصلاحيه الشريعة الاسلامية لهذا العصر وكل العصور .

وهكذا مضى المنار لطيته منذ اليوم الأول الى اليوم الآخر فهو يتحدث عن اعادة مجد الاسلام تحت عنوان : كيف يعود للاسلام مجده فيقول : **الجواب من الكتاب (كما بداكم تعودون) ومن السنة (بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)** ومن كلام علماء العمران ان التاريخ يعيد نفسه . ويقول : **لماذا اختار الله الامة العربية لهذا الاسلام لانها وسط بين الأمم ولم يكن لها رؤساء في الدين والسياسة يحكمونها بالجبروت والاستبداد ،**

بل سلامة الفطرة وغيرة النفس وشدة البأس ، ولم يكن عند العرب من التقاليد الدينية شئ يستندون منه على وحى سماوى وعلى سلف من الأنبياء فيدافع ما جاء به الاسلام أو يزاحمه ، وأشار الى أنه يوجد من المسلمين بعض المتعلمين على الطريقة الاوربية واكثرهم من الأتراك والهنود وعدد قليل من المصريين منصرفون عن صراط الدين غير مصبوغين بأدابه وفضائله ، وهناك سكان البوادي من العرب فانهم لم يصبهم من ظلم الظالمين ما أصاب غيرهم . طائفة يعسر عليها أن تجارى المدنية الحاضرة قال : والمنار يدعو الى الوحدة الاسلامية التى تضمن لسائر الشعوب والممل حقوتها فى بلاد الاسلام على اكمل وجه : هذه الوحدة الاسلامية لا يتيسر القيام بتعميمها من مصدر واحد من اختلاف لفات المسلمين ومذاهبهم وحكوماتهم واقطارهم ومذاهبهم وان الخطر الذى يتهدد العرب ابتلاع الامم المتعدنة لهم ، فاذا كسر باب المسألة الشرفية انحسر الترك لأنهم عنصر مستقل ولكن البلاد العربية تذهب فريسة المطامع اذا تقلص عنها ظل الدولة العثمانية ومجد الاسلام انما يحفظ بمجد العرب وانما يعود مجد الاسلام بالاصول والاعمال التى اخذ بها المسلمون عند ظهور الاسلام فكان لهم ذلك المجد العظيم وزال مجدهم باهمالها هى التى يعود المجد بالأخذ بها والاسباب تتصل بمسبباتها ، وعبرة يعود غريبا فى الحديث النبوى اخطأ الذين يفهمون من الحديث أن الاسلام يضحل ويتلاشى ثم لا يعود الى مجده وعزته ، انما هى صريحة فى أن الاسلام سيظهر مرة ثانية مثل ظهوره فى المرة الاولى وظهوره فى المرة الاولى كان غريبا على العالم ولكن فى غرابته استعقب مجدا كبيرا وعزة كذلك يكون فى الكرة الأخرى ان شاء الله رغم أنوف اليائسين الذين سجلوا على هذه الامة الشقاء بدينها الى يوم الدين ، على فهمنا هذا قمنا ندعو المسلمين فى (المنار) الى احياء مجد دينهم بالرجوع الى ما كان على سلفهم الصالح ولا بلاء أشد على المسلمين من اليأس والتقنوط .

وأحاديث مطولة في المنار (منذ المجلد الثماني) من مدينة العرب وقد أنشأ هذا البحث ما كان يكتب في تركيا عن العرب تعصبا للجنس وكان رشيد رضا قد تحدث عن تجديد الروابط بين الترك والعرب على أسلوب جديد وكانوا ينتقضون العرب في تركيا ويقولون انهم ليس لهم تاريخ ، وحاول في أدب رفيع أن يشرح هذا الأمر ثم بدأت هذه المقالات تروى ما قدمه العرب في مجالات المدنية المختلفة ، من طب وفلك وعلوم ، يقول مع الإشارة الى نزعات التعصب الجنسي عند الترك « حرصنا بأن لا تعنى بالوحدة العربية أن يفصل العرب عن سائر المسلمين أو عن الترك بل تعنى به أن كل شعب يجتهد في ترقية نفسه ملاحظا أن في ترقية نفسه ترقيا لسائر الشعوب ، ثم أشار الى الفوارق بين المدنية الإسلامية والمدنية الأوروبية وأخطاء الأخيرة حيث حرم الإسلام مقاتلة من لا يتألفهم كالنساء ورجال الدين والأطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الأعراض .

كذلك تحدث عن اقتباس أوربا من الإسلام ، وعن ثناء منصفى الأفرنج عليه كما تحدث عن تبرئته بادانة أهله وأورد ما قاله المنسيو ريمون الرحالة الشهير من أنه كان لا يأمن على نفسه الا عند المسلمين أثناء تطوافه في مجاهل إفريقيا حيث يجد منهم لطفا وحسن ضيافة وقد كتب رسالة طويلة في هذا المعنى الى السيد السنوسي مدح فيها أخلاق الإسلام وفضلهم على سائر الأمم والشعوب .

كما تحدث السيد رشيد رضا الى سبق الإسلام الى المبادئ الجمهورية والاشتراكية وتحدث عن الفارق بين اشتراكية الإسلام واشتراكية المسيحية (م ١/٩٤٨) .

كما تناول التاريخ الإسلامي وتاريخ الأندلس والخلافة الأموية وتحدث عن جزيرة العرب ومكتشفوها من الأفرنج ، وأشار الى تعصب أوربا على الدولة العثمانية وتنازعها للممالك الإسلامية وأورد شهادة التاريخ على بعضها (م ١/٤٨٨) .

كما اورد كثيرا مما كتبه اعلام الغرب عن الاسلام وفي المجلد الحادى عشر نشر بحث مسيو رينيه ميليه الذى القاہ فى مؤتمر افريقيا الشمالية المنعقد فى باريس عن الاسلام والمدنية الحديثة ، كما اناض فى عرض آراء القس اسحق طيلر عن الاسلام التى نشرها فى انجلترا عام ١٨٨٨ م (٤ المنار) وكان قد كتبها بعد ما جاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ فى مدحهم ومدح دينهم وقد نشرها فى جريدة سنت جيس غازت الانجليزية (١٨ ابريل ١٨٨) قال : انى ذهبت الى مصر احد اقطار الاسلام ومقصدى الوحيد أن اطلع من ذلك المكان على الأعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والأخلاق والتقى والمعرفة وأعلم ما هى العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين ذوى التربية وانى اقر وأعترف بأنى تمجبت غاية التعجب لما رايت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا فى موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم ، كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ امره فى السماء والأرض وبرسالة عيسى عليه السلام الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وينقاء النفس فى الآخرة ، أما فى الرحمة أو ما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم متنتة جدا وبعض ادعيتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لا يمكن لأحد من المستحقين أن يجد فيها كلمة واحدة يعترض عليها .

كذلك فقد اثار الى كتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذى ألفه روستو فدوى الروسى وطبعه فى بطرسبرج (م ١٨٩٥) .

وأولى اهتمامه لاسلام لورد هدلى (م ١٨٥٦/٢٤) وكتابه ايقاظ الغرب للاسلام (م ١٨٢٦) قال عن اللورد هدلى انه لم يكن فى حياته مسيحيا قط كما قال لى هو بنفسه فقد كان على مذهب الموحدين الذين يؤمنون بالله واحد ويعتقدون أن المسيح نبي وهؤلاء شيعة كبيرة فى انجلترا وأمريكا وأشار الى قول هدلى : كلما قرأت فى المصحف الكريم اكتشفت بنفسى انى مسلم دون أن يشرنى أحد بالاسلام ودون أن يدعونى أحد الى الانسلام ،

وقد وجدت الاسلام دينا بسيطا ، ومما يذكر انه ادخل باسلامه نحو اربعمائة شخص من رجال ونساء وتسمى بسيف الرحمن رحمه الله فاروق . ومن ذلك قوله : يسرنى ان اعرف انه ليس هناك بغض بين المسلمين ولكن المحبة بأوسع معانيها وهى منتشرة بينهم أكثر مما هى منتشرة بين المسيحيين فى الجزر البريطانية فالمسلمون مثلا متسامحون جدا ومطبوعون على ابقاء الخير ازاء جميع المسلمين بخلاف ما عليه فروع الكنيسة بعضها ازاء بعض واذا عينت لجنة من الانكليز الاكفاء حقيقة لفحص الذى يجب أن يتدين به العالم كله لأجمعوا أمرهم على ان يختاروا الدين الاسلامى الذى يشهد له العقل والذى يجب رغبة الفؤاد والروح الشديدة من الاتصال بالخالق سبحانه وتعالى ، ولا اعتقد ولا سبق لى أن اعتقدت قط انه من الضرورى خلاصى أن اصدق الوهية المسيح أو أن اعتقد الثالوث أو العقائد الأخرى التى تدعى الكنيسة أنها ضرورية للخلاص » .

وقد مضى السيد رشيد رضا يتحدث عن حضارة الاسلام مبتدئا بما أورده الشيخ محمد عبده فى كتاب (رسالة التوحيد) حيث أشار الى ما كان من فتوحات النصرارى الأوربيين ونشرهم لدينهم بالقهر والتقتيل وابداء المخالفين مدة عشرة قرون كاملة لم يبلغ السيف من كسب عقائد البشر فيها ما بلغه انتشار الاسلام فى أقل من قرن ، ولم يكن المسلمين فى هذه القرون من القوة العددية والالهية ولا من سهولة المواصلات ما يمكنهم من قهر الشعوب التى فتحوا بلادها على ترك دينها ولا على قبول سيادة شعب كالشعب العربى ، فهم لم يخضعوا للمسلمين ويدينوا بدينهم ويتعلموا لغتهم الا لما ظهر لهم من أن دينهم هو دين الحق الموصل لسعادة الدنيا والآخرة أو من أنهم افضل الحكام وأعدلهم » .

ومن هنا فان الاسلام قد فرض على المسلمين ويوافقهم على ذلك جميع شرائع الأمم الافرنج أن لا ضير على أى أمة فقد من وطنها شئ أن تستمد لاستعادته الى أن تظفر به كما فعلت فرنسا باستعادة ولايتى الأناضول واللووين من المانيا فى الحرب الأخيرة وكانت قد أخذتها منذ نصف قرن ونيف .

وأشار السيد رشيد رضا الى أن الاسلام دين بسعادة وسلطان

وشريعة وحكومة ثورية يجمعها نظام حربى جامع بين القوة والرحمة والعدل ، وقد جاهد الأوربيون المسيحيين فى أمر الجامعة الاسلامى حتى صرفوا وجوه الشعوب الاسلامية عن الجامعة الاسلامية الى الجامعتين الجنسية والوطنية وهدموا هيكل الخلافة العثمانية بأيدى حمايتها من الترك أنفسهم ، ودفعوا حكومة هذا الشعب الاسلامى الباسل من حيث لا يدرى الى محاربة الدين الاسلامى نفسه بأشد من محاربتهم له بمدارسهم التبشيرية واللا دينية وبكتبيهم وصحفهم ونفوذهم فاعتقدوا انه قد تم لهم بهذا فتح العالم الاسلامى وأنه لم يبق لهم لاثام هذا الفتح الا القضاء الأخير على مهده الدينى وعلى شعبه وانصاره .

وقال : ان رأى الفقهاء ان كل ما دخل من البلاد فى محيط سلطان الاسلام ونفذت فيه أحكامه وأقيمت شعائره قد صار من دار الاسلام ووجب على المسلمين عند الاعتداء عليه ان يدافعوا عنه وجوبا عينيا ، وكانوا آثمين كلهم بتركه وان استيلاء الأجانب عليه لا يرفع عنه وجوب القتال لاسترداده وان طال الزمان فعلى هذا الراى يجب على مسلمى الأرض ازالة سلطان جميع الدول المستعمرة لشيء من الممالك الاسلامية وارجاع كلمة الاسلام الا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وعجزهم الآن عن ذلك لا يستقط عنهم وجوب توطيد انفسهم عليه واعداد ما يمكن من النظام والعدة له وانتظار الفرص للوثوب والعمل . وقد صرح الامام الشافعى ان شغور الحجاز البحرية وما يوجد فى بحره من الجزائر لها حكم أرضه وبلاده فلا يجوز لامام المسلمين وسلطانهم أن يمكن أحدا من غير المسلمين بالاقامة فيها لتجارة أو لغيرها وقد ظهر لمسلمى هذا العصر من حكمة الاسلام فى هذا ما لم يكن يخطر بباله دولهم القوية من قبل التى تساهلت وقصرت فى تنفيذ الوصية المحمدية فسمحت ببقاء بعض أهل الكتاب فى بعض بقاع جزيرة العرب كاليمن ثم بوجود بعضهم فى جدة (م ٣٠ ص ٥٨)

(٥)

وفىما يتصل بهذا كان دفاع السيد رشيد رضا عن حماية القرآن من مؤامرة ترجمته التى كانت قد أثرت فى هذه الفترة م ١٨٤/٣٢ قال : ان المسائل القطعية فى هذا الموضوع وما يجب على المسلمين فى هذا العصر

ان اللغة العربية هى لغة دين الاسلام والمسلمين ورابطة الاخوة العامة ووسيلة السلام للمؤمن بما يقيد من نزعات الشعبوية وعصبية الجنسية ونزعات الملحدين وتوحيد كلمة العلماء المختلفة (١) فقد اجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على ان هذا القرآن المحفوظ فى قلوب الالف المرسوم فى الوف الالف من المصاحف هو كلام الله عز وجل المنزل على محمد رسول الله بلسان عربى مبين معجز للخلق اجمعين (٢) وقد اجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على ان هذا القرآن العربى هو اساس دين الله الذى اكمل به ما اوحاه الى رسله من قبله ، واتم نعمته على العالمين وامر رسوله ان يبلغه كما انزله بنصه العربى المبين بلغه كما امره الله وما بينه من سنة الرسول وما استنبطه ائمة العلم من عقائده واحكامه وآدابه (٣) وقد اجمعت الامة عربيا وعجمها على ان الله تعالى قد تعبد بهذا القرآن العربى كل من آمن به وبرسوله محمد خاتم النبيين من اجناس البشر تلاوة وتدبرا وادكارا واعتبارا وامثالاً للأوامر واجتناباً للنهاى وحكما بين الناس قال (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) على ما فى ذلك من الفروض والواجبات على الأعيان (٤) اجمعت الامة الاسلامية عربيا وعجمها على ان ما فرض الله تعالى على افراد امة محمد صلى الله عليه وسلم من قراءة فى الصلاة فالواجب على كل فرد ان يتلوه بنصه العربى المنزل كما أنزل (قرأنا عربيا غير ذى عوج) (٥) اجمعت الامة الاسلامية على أنه لا يباح للمسلمين ترجمة القرآن بلغة أخرى يتعبد بها فى الصلاة والتلاوة والتشريع ويطلق عليها اسم كلام الله وكتاب الله . والقرآن الكريم كما سمي الله كتابه العربى ويستغنى بها عن كتابه المنزل ولذلك نرى جميع الشعوب الاسلامية والعجمية من الترك والفرس والافغان والهند والجاو والصين يعلمون اولادهم القرآن ويدرسون فى مدارسهم الدينية تفاسيره وكتب الحديث والفقه والاصول والنحو والصرف والبلاغة باللغة العربية (٦) وقد علم من هذه الأصول التى اجمعت عليها الامة اعتقادا وعملا ان اقامة هذا الدين فى عباداته وتشريعه وحكومته يتوقف على معرفة اللغة العربية وان هذه اللغة قد جعلها شرع الاسلام لغة المسلمين كافة واوجب عليهم تعلمها ، صرح بذلك الامام الشافعى فى رسالته والشاطبى فى

مقاصدها في كتاب الموافقات (٧) ترجم القرآن بعض علماء الافرنج بأشهر لغاتهم الحية وترجمه بعض المسلمين الى تلك اللغات الشرقية وفي كل ترجمة من هذه التراجم أغلاط لكثرة المخالفة لدلولات عباراته اللغوية والشرعية فتح باب للطعن فيه والصد عن الاسلام كما انها فتحت بابا آخر لأن اطلع عليها من مستقلى الفكر عرفوا بدخولهم فيه شيئا كثيرا من عقائد الاسلام الصحيح واحكامه العادلة وحكموا على جميع ما نشره الملاحدة الماديون ورجال الكنيسة المتعصبون ودعاة النصرانية من الكتب والرسائل في الطعن في الاسلام بأن ما دونوه منها من المطاعن زور وبهتان فكبر مادحوا الاسلام من علمائهم الاحرار واهتدي كثير منهم به (٨) ما ترتب على ما ذكر من صلاح وفساد يوجب على المسلمين وجوبا كفايا ان يريدوا ما كان من صلاح قوة وتأييدا أن يفتدوا ما حدث من الفساد تفنيدا وانما يكون ذلك بترجمته بتلك اللغات كلها ترجمة معنوية صحيحة ، هذه الترجمة غرض كتابه على المسلمين لا تسمى قرآنا ولا يتعبد بتلاوتها وانما هي خلاصة تفسيرية له تدخل في باب الدفاع عن دين الاسلام من جهة ومن باب الدعوة اليه من جهة أخرى .

(٦)

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتمامه للشرعية الاسلامية وصلاحيتها لهذا العصر وقد كتب الشيخ على سرور الزنكونى في هذا فضلا مستفيضاً قال فيه : ان أسس التشريع الاسلامى قد قيدت البشر بقواعد من الحق والرحمة والعدل والفضل وحقوق الروح والجسد الصالح لكل عصر يكفل لهم كمال الانسان وسعادة الحياة ما أقاموها وأباحت لهم التشريع الاجتهادى فيما يتجدد من الأقضية والمصالح التى تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة مع المحافظة عليها وبهذا لم يكونوا محتاجين الى تشريع سمانوى جديد بعدها ، وقد كان من عدم تقيدهم بها هذه الفوضى السياسية والأدبية والاجتماعية والثورات الحكومية التى تهدد العالم المدنى بحرب شر من حربها الآخر تذك معالم العمران دكا . ولو ان دول أوربا تدين الله تعالى بما شرعه الله تعالى في كتابه القرآن من وجوب حفظ العهود والمواثيق واجتناب جعلها دجلا باطنها ينقض ظاهرها لتحاكم ذلك من كل ما بينهم

من التنازع والتخاصم في معاهدة الحرب الكبرى وغروعهما ، ولقد نبئت طائفة في هذا الزمان وكثيرا ما تنبت مثلها في عصور الانتقال - تنادى بوجوب سمر الشريعة بجانب نظام المجتمع المادى الحاضر ، وهذه الطائفة ان لم تكن خبيثة فانها جاهلة بالاسلام ، ان حياة العالم الآن حياة مادية تنحدر بسرعة في طريق الأهواء والشهوات فلو جارى الاسلام انحذار الأمم فأباح الزنا للأعزب ومن لا كسب له ولجيش الحروب وأباح الرقص لتنازع النفس وأباح الربا لاستكمال مشتهيات الحياة أو لمزاحمة الأجانب وفي مكة المسلمين ان يزاحموهم ويقفوا مثل وقفهم بثروتهم الطبيعية والاقتصادية ، لو اتسع الاسلام لكل ذلك لكان دين مادة لا دين خلق وأصبح من أوضاع البشر لا من شرائع الله ومع ذلك ما هو الاساس الاسلامى الذى جرب في الأمم الاسلامية وفشل وتبين خطؤه ، ومن ذا الذى وازن بعقله السليم المنصف بين حكم اسلامى ونظيره في تشريع وضعى ثم امام البرهان الصحيح على ضعف التشريع الاسلامى وخذلاته ثم ما هو الأمر الجوهري الذى طعن به أعداء الاسلام عليه مع تألبهم الشديد وعداوتهم المستحكمة من أول أمره الى اليوم على كثرتهم وقوتهم ووفرة أساليب حروبهم وضعف المسلمين وتخاذلهم ثم اثبت العقل في وضوح انهم محقون والاسلام مبطل ، ان العالم المادى لا يزن الاسلام الا بحالة المسلمين مع ان الاسلام دين وخلق يجب ان يوزن بميزان العلم والعقل لا بميزان أهلها المضيعين لها ، ومن العدل أن يقال ان أوربا اللاتينية انما تخدم القوتين الشعبية والشهوية لأن الانسان سلام واحاء وتعاطف في الخير لا في جوانب المادة ومناصرة في الحق لا تغلب على الضمير بل الحيوان الضعيف اجدى على الانسان من الحيوان الشرير .

الفصل الثاني

الدفاع عن اللغة العربية

- ١١ -

كانت اللغة العربية هدفا أساسيا من أهداف الدفاع عن الإسلام في نظر المنار باعتبارها لغة القرآن ، وفي مواجهة التحديات التي كانت قد بدأت تتعرض لها في هذا الوقت الباكر من قوى الاستشراق والتفريب والغزو الثقافي ومن أجل هذا أولت المنار الاهتمام باللغة العربية والبلاغة والأسلوب العربي المبين وتناولت الأخطار التي تتصل بإنشاء الصحف العامية ووصفتها بأنها صدمة جديدة على اللغة العربية ، وفي مجال الدفاع عن ضرورة توحيد لغة المسلمين في اللغة العربية وعن العربية ووجوب تعلمها في الدولة العثمانية .

وفي المنار ١٩٠٢ تحدث السيد رشيد رضا عن مؤامرة التعلم بالعامية المصرية ، وقد بدأت الدعوة ١٩٠١ بكتاب الفه المستتر ويلهور المستشار القضائي باللغة الإنجليزية داعيا الى جعل اللهجة العامية المصرية لغة المصريين العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة وحاول اقناع المصريين بأن هذا خير لهم ، وترجع الصيحة الأولى لصوت ولهم سببنا بك الألماني أمين دار الكتب الخديوية المتوفى ١٨٨٣ فانه وضع حروف افرنجية للعامية المصرية لأجل احيائها والف كتابا في صرفها وكتابا في أمثالها وقصصا عامة ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسية ليرغب أوروبا في تنفيذ مشروع تعلم العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض اغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وارصد لهم مالا جما ونشرت يومئذ كراسة في الحث عليه . وأشارت المنار أن (المؤيد) لم تلبث أن نشرت مقدمة كتاب ويلهور لأجل عرضها على الكتاب للرد عليها وقال الشيخ : ليت المؤيد الاغر لم تنشر مقدمة كتاب ويلهور فقد كان الأولى أن يدحض شبهاته من غير أن ينشرها ويقررها فإن من الناس من يلتفت بالشبهات .

وكان الأولى أن يبطل شهادته من غير أن ينشرها وأشار الى مناقشة الشيخ عبد العزيز جاويش لويلمور ، وأشار الى أن جمعية مؤلفة من الشبان الذين اتوا دراستهم في إنجلترا دعت المستر ويلمور لحضور اجتماعها للناظرة والمناقشة وكان الشيخ عبد العزيز جاويش موجودا فسأله : هل خطر على بال المستر ويلمور أن يدعو قومه الانجليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لغة العاصمة لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم التفاوت بين لهجة أهل لندن ولهجات سائر الولايات فبال ويلمور ان هذا غير ممكن لانه يضيع علينا تاريخ لغتنا فقال الشيخ ان هذه الغائلة التي يحذرنا منها هي بعينها محذورة في ابطال لهجات أرجاء القطر المصري ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا في كل رجاء من أرجاء القطر وتبوات طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها . وإبان خطأ ويلمور في قوله ان لغة القطر المصري لغة مستقلة دون العربية الصحيحة وبين انها ليست الا لغة عربية دخلها التحريف والدخيل وان أكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى ثم ذكر أيضا شيئا كثيرا من عيوب اللغة الانجليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب ، وكالحروف الأثرية الزائدة ، في كثير من الكلمات حتى ان يتعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم لان الأول لا يدل على الثاني في التعرف من الكلمات حتى يصح انه لا قياس في هذه اللغة . وقال الشيخ اذا نبذنا اللغة الفصحى ظهريا وقبليا ان يكون التعليم باللغة العامية المصرية التي لا كتب فيها ولا قواعد لها سنتقل الى دور آخر في تعذر الاصلاح واستحالة التعلم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذي احتج فيه لورد ماکولى على وجوب تعلم الهندو الانجليزية (م ٤ ص ٨٧٩) .

وأولى المنار اهتمامه بالحركة التي قامت على اثر ذلك في دار العلوم من أجل الترجمة والتعريب ونشر كلمات محمد الحفري والاسكندري (م. ١ ص ٨٥٥) وكان لدار العلوم موقف حاسم بالنسبة للغة العربية والحرب المشنونة عليها ١٩٠٧ بعد انشاء نادي دار العلوم ، ان تكون المعية الأولى

هى خدمة اللغة العربية مسألة أسماء الاجناس الاعجمية التى يراد ادخالها فى اللغة العربية هل تعرب أم تؤخذ بالترجمة والحديث عن جواز التعريب واقتراح باتشاء مجمع اللغة العربية خطاب فتحى زغلول (م ١١/ ٣٢) وخطاب حنفى ناصف (م ١١ / ١٢١) .

كما اهتم بأمر الخط العربى واصلاحه (م ١٣/ ١٩٦) و (م ١٨/ ٤٦١) حيث قدم عبد الفتاح عبادة فصولا عن انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى .

والت المنار هذه الأبحاث فنشرت بحثا للأستاذ محمود بك سالم عن المطاعن الموجهة الى اللغة العربية وغناها بالمسميات العلمية وفضل اللغة العربية على لغات الاغرنج وكونها لغة المستقبل (م ١٣) كذلك فقد فضل المشروع الذى تقدم به أحمد زكى باشا « الملقب بشيخ العروبة » (م ١٣/ ٩٣٧) وكان الكاتب الثانى لمجلس النظر لما له من الخبرة الواسعة فى هذا الباب وما يتصل بذلك من إصدار مجلس النظر قرارا قدمه أحمد حشمت باشا وزير المعارف عن الوسائل المقتضى اتخاذها لاهياء الآداب العربية بالديار المصرية وكان أحمد زكى قد قدم مذكرة منذ عشرين عاما وهو يوالى البحث والتنقيب عن أنواع الطرق الموصلة الى تعميم المعارف واستنهاض الهمم لاختبار باب العمل فى فنون الاصلاح المطلوب لاهياء العلوم والآداب العربية ، وقد تناولت الابتداء فى احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبيرتين المعروفتين باسم نهلية الارب فى فنون الأدب لشهاب الدين النويزى وممالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري وقد ضم المشروع عددا من الكتب الأمهات فى باب الأدب والبلاغة والحديث النبوى وآداب الملوك والتاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلة وعلم حفظ الصحة وعلوم طبيعيرة وميكانيكية وعلوم الحيوانات والمعادن والفلك والموسيقى والحرب والديانات القديمة وفنون متنوعة .

وفى المجلد الثالث عشر من المنار أوردت الأسماء العربية للمسميات الاجنبية التى اقترحها نادى دار العلوم وكانوا قد أعلنوا عن وضع أسماء

غربية لبعض المسيمات الافرنجية وما لم يجدوا له اسما عربيا وضعوا له اسما جديدا او عربوه والاشتقاق والتعريب ليس جديد في اللغة بل هما جائزان وواجب ان يصار لهما عند الحاجة ومن هذه الاسماء : اضملة « بلوك نوت » صبغ « بوية » طنف « ترسينة » مرمى « جول » خريطة « خارطة » ملف « دوسيه » بطاقة الزيارة « كارت فيزيت » خيالة « سينماتوغراف » .

- ٣ -

وانسحبت المنار صدرها لدراسات واسعة عن اللغة العربية بوصفها اقدم اللغات الشرقية وام المدنية المصرية والبابلية وخاصة ما يتصل بدراسة احمد كمال في هذا الشأن الذي اجرى مقارنة بين اللغتين المصرية القديمة واللفة العربية في عدة فصول (م ١٨) وفي المجلد الخامس عشر خطاب مطول في اللغة العربية لجبر ضومط تحت عنوان (بحث تاريخى فلسفى في مواطن اللغة العربية المصرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية) ومما جاء فيه ان العلامة روتشن المؤرخ الاثرى يرجع ان المدنية المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب وان الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من اصل البلاد الاصليين وانما جاءوها من مكان آخر ثم بين ان اللغة العربية هى ام اللغات السامية وسيدتها وان ارومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان وانه تشعب منها فروع الى بلاد (بابل بالعراق) فعلى ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسوريا ومصر عربى الاصل ثم تولد من ذلك الاصل فروع استقلت .

ويعلق السيد رشيد رضا على ذلك فيقول : لكن علامة العباديات والآثار المصرية وامم اللغة الهيروغليفية في عصرنا احمد كمال (أمين دار الآثار المصرية) اظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان فقد الف قاموسا كبيرا اورد فيه الوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب اما موافقة تامة واما موافقة بضرب من التحريف أو القلب أو الابدال المهود مثله في اللغتين وكان المشهور عن احمد كمال انه يرى ان العربية اصل اللغة المصرية

القديمة المدونة بالقلم الهروغليفي ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ثم انه رأى نصا يدل ظاهره على ان العرب انفسهم او بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق وبنى عليه محاضراته وذلك النص ما وجد مقتوشا في الدبر البحري بالأقصر في زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق م) وهى ارقى دول مصر وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الأغنياء وهاجر بعضهم الى القيروان وتونس والجزائر والى اواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين (م ١١٦/١٥) .

- ٣ -

ومن ناحية أخرى اولى المنار اهتمامه الى ما جاء في المقتطف من اشارة الى ان في القرآن كلمات اعجمية وقد كتب أحمد كمال الأثرى المعروف تحت عنوان :

[براءة القرآن الشريف من بعض الألفاظ الأعجمية] .

واورد ١٧ كلمة وثابت انها عربية ، قال : اللغة المصرية اى لغة قبائل الاعناء التى سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هى أصل اللغة العربية بلا مراعاة بنص النقوش المذكورة آنفا . وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصا جرى فى آيات كثيرة . قال المفسرون ان فى القرآن الشريف كلمات غير عربية ولكنها لا تخرجه عن العربية كما أن الكلمة العربية اذا وردت فى القصيدة الفارسية لا تخرجها عن كونها فارسية وأنا أخالف هذا كله فقد جمع المرحوم الشيخ حمزة فتح الله جميع الكلمات الواردة فى القرآن الشريف ويقال انها أعجمية وطبعها بأمر نظارة المعارف سنة ١٩٠٢ وهى انذا أخالفه فى ذلك مبينا أنها عربية لورودها فى اللغة المصرية القديمة .

اكواب واباريق (سورة الواقعة) اكواب الكلمة مصرية عربية ، اباريق ليست بفارسية ولكنها مصرية وجدت مكتوبة فى حجر نقش بأمر أحد ملوك الحبشة وعثر عليها فى دنقلة فبقيت فى العربية بهذا اللفظ .

اب - وردت في نقوش معبد دندرة وعلى جدران مدينة أبو غهلى مصرية
الاعجمية ، وفي القاموس : الأب الكلا أو المرعى .

سرى - أى نهر بالسريانية والقبطية واليونانية وفاته كما مات غيره
من المفسرين أنه مشتق من سرى يسرى وسرى به فاشتق منه سرى
أى النهر الخ .

وتحدث في المجلد ١٥ من المنار صفحات (١٨٧/١١٢) جبر ضوفط
عن اللغة العربية ونسبتها الى اخوتها من اللغات السامية
وعن القحطانيون والعبرانيون .

- ٤ -

وأولت المنار اهتمامها البالغ بالبلاغة والبيان وتحدثت عن كتاب
اسرار البلاغة وضع عبد القاهر الجرجاني وقالت : لقد تنبه الناس في هذا
العصر الى احياء فنون اللغة العربية وتحصيل ملكة البلاغة فيها وقد أخذ
الشيخ محمد عبده يقرأ هذا الكتاب على طلبة الأزهر وكذلك الفخير ضوفط
كتاباً في البلاغة أطلق عليه اسم (الخواطر الحسان) وكتاب آخر سماه
(فلسفة البلاغة) على قاعدة الاقتصاد في انتباه السامع (م ٣) .

كذلك أولى المنار اهتماماً بالغا بالشعر العربي ونشر في المجلد الثالث
للرافعي والكاظمي وأحمد محرم والبارودي وشوقي وحافظ وتحدثت
عن الشوقيات كما تحدثت عن الشعر وأوزانه ، ومادته وبنائه .

- ٥ -

وقد عرض السيد رشيد رضا لمشروع التعليم بالعامية المضرة
التي يراد بها احكام المؤامرة ضد الفصحى لغة القرآن فقال : واجهت المنار
صيحة استبدال اللغة العامية النسخية باللغة الصحيحة الثريفة ،
استبدال الذي هو أدنى بالذى هو خير ، هذه الصيحة حركت الالفة

والأقلام الى تعويق سهام الملام واتامة الحجة على الصائغ بأنه يثصد
منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم
وآدابهم الذى ضعف بضعفها منهم كل مقوم من مقومات حياتهم وفى محوها
من الواح التعليم ومحو أمتهم من لوح الوجود الاجتماعى . وأشار الى
صدمة جديدة على العربية وهى ظهور جرائم بالعامية : الصارة واللجام
والغزالة والشيطان مع سقوط مجلة البيان الفصيحة ونهضت الحمارة
باللجام واحللتاه ، ألم يكنهم هذا حتى قام جماعة يسمون لتعليم وتعلم
اللغة العامية بحروف انرجية .

وقال السيد رشيد رضا انه فند وجوه الخديعة الخلابة وكشف القطاء
عن ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع ونبه الى تقصيرنا فى احياء
اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى
صار بعض الناس يعتقد أن احياءها محال وعلى الخطر الذى يتهدد بها
إذا تمادينا فى اهمالنا واغفالنا .

الفصل الثالث

التربية والتعليم

- ١ -

إذا قلنا أن لب لباب دعوة حركة الإصلاح الإسلامى هى التربية والتعليم ما عدونا الحقيقة فقد كانت الفكرة الإسلامية للإصلاح هى إحياء التربية الإسلامية وتغيير مناهج التعليم بحيث تدخل إليها العلوم الحديثة وإصلاح مناهج الجامع الأزهر وبناء المدارس الأهلية لاستنقاذ عدد كبير من المسلمين من مدارس التبشير والإرساليات ولوضع مناهج إسلامية أساسية فى مواجهة التحديات التى كانت تتمثل فى مناهج وزارة المعارف التى وضعها دنلوب والتى فرغها من المفاهيم الإسلامية والقارىخ والأدب العربى والتراث بعد أن قضى على المناهج الدراسية التى كانت قائمة قبل الاحتلال وتحدث طويلا السيد رشيد رضا ، حتى يمكن القول دون مبالغة انه لم يخل عام من الأعوام من متابعة الحديث عن ترشيد التربية والتعليم العام والأزهرى ، ومن أجل ذلك تحدث عن المدارس الوطنية فى الديار المصرية والتعليم عند القبط وسبب سبقتهم للمسلمين وصبغ التعليم بالصبغة الأجنبية ووثبة المصريين لانشاء المدارس الأهلية ، كما تحدث المنار عن تربية البنات تربية خاصة مختلفة عن تربية البنين وكذلك تحدث عن تربية الأطفال والتربية النفسية وتعليم النساء تدبير المنزل وتربية الطفل وتعليم الأمهات الأصول العامة لطباع الأطفال وغرائزهم، يقول فى نقد التعليم الرسمى وتعليم البنات (م ١٩٣/٥) لم يرد فى قانون التعليم ما يدل على أن البنات يتعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئا من ذلك ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف أن النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية فى المدرسة بمقياس أهل التعليم الدينى وحضور مجالسهم وسماع الخطب فمثل ذلك لا يتأتى للبنات ولا للنساء لأنه ليس فيهن عاملات بأمور الدين ثم إن البنات

أحوج من الصبيان الى الدين عقائده وأعماله وآدابه لسبب آخر هو أن وضعهم في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج .

وأشار الى تعليم البنات في المدرسة السنية وما تشوبه من قصور وشبهات حتى أن مس جريس الناظرة الأولى للمدرسة السنية كتبت في تقريرها : ان تعليمنا بلا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضرورى فلا يصح أن يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة فيجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدارس البنات وجعلها الزامية ومن اثاره أن ترشد البنات وكن مثلها في المدرسة حائرات .

وقد ازعج هذا التقرير مستر دنلوب فاستغنى عنها .

وقد أشار المنار الى خطر دنلوب على وزارة المعارف (م ٢) والى عمله الخطير في « محو معالم اللغة العربية وطمس آثار الديانة الاسلامية في المدارس وجعل رسومها موائل ودوارس » قال : ولا لوم على من يخدم دولته وملكته وانما اللوم والتثريب بل اللعن والتأييب على الذين رضوا بأن يكونوا معاول في يديه لهدم بناء جامعتهم الدينية واللغوية وهم يعلمون أن هدمها يعدم جنسيتهم بالكلية وفي هذا محو الملة والامة من لوح الوجود ، وعاود السيد رشيد رضا الموضوع (م ٣) فأشار عن انشاء مدارس اهلية لمقاومة المدارس التبشيرية وانشاء مدرسة للبنات على نمط اسلامي كما أولى اهتماما كبيرا الى محاولة اصلاح التعليم في الأزهر . وأولى اهتمامه بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية والاحتفال بها وقال ان الغرض منها هو تربية أولاد الفقراء فلو أمكننا أن نتلقفهم من الشوارع نرضى أوليائهم ، والمقصد هو أن ننزع من النفوس اعتقاد أن التعليم لا فائدة منه الا الاستخدام في الحكومة ، وقد أوجدت الجمعية في نفوس التلاميذ أن يعمل الواحد منهم عمل ابيه وان يعيش مع الناس في أمانة واستقامة .

وقال ان مدارس الجمعية الخيرية تأسست ١٨٩٢/١٣١٠ يوجد ٨٦٠ مشترك في عواصم متعددة للقطر المصري ، المدارس اربع وبها ٢٥٠ تلميذا .

— ٢ —

وفي مجال الدعوة الى التعليم والتربية الاسلامية اشعار الى العلوم التي يجب تعلمها :

- ١ — علم اصول الدين : (لا أبحث في غوامض علم الكلام كالوجود هل هو غير الموجود أم غيره والصفات وهل هي عين الذات أم غيرها) .
- ٢ — علم تهذيب الأخلاق وأصلاح العادات .
- ٣ — علم قضية الحلال والحرام والعبادات .
- ٤ — علم الاجتماع وأحوال البشر في بدوليتهم وحضارتهم وظلمهم وتظلمهم .
- ٥ — علم تقويم البلدان والجغرافيا .
- ٦ — علم التاريخ (مع التوسع في معرفة تاريخ أمته وملكه وبلاده . وأن يأخذ طرفاً من التاريخ العام) .
- ٧ — علم الاقتصاد الذي يبحث في انماء الثروة وحفظها .
- ٨ — علم تدبير المنزل .
- ٩ — علم الحساب .
- ١٠ — علم حفظ الصحة .
- ١١ — علم لفية البلاد (يفترض الاقترنج بلغاتهم ويدابرون على خدمتها) وحق اللغة العربية على أبنائها) .
- ١٢ — من الخط .

وقد أشار (م ٩) الى التعليم الديني في المملكة العثمانية وما أرسلته للشيخ محمد عبده ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام في الاستئانة في هذا الضدد ، أشار فيها الى الأخطار التي وقعت بسيطرة المدارس الأجنبية على مدرسة الأمريكان واليسوعيين العزازية والفريز وجميعات أخرى دينية أوربية ،

والمسلمون لا يستنكفون عن إرسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعلمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم او تحصيلهم بعض اللغات الأوربية ، هذا التساهل المحزن ، بالعامية تعدى الى المعروفين من ذوي المناصب الاسلامية ، هؤلاء الضعفاء يدخلون في سن السذاجة وغرارة الصبا ولا يسمعون الا ما يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف الروح الاسلامية ، بل لا يطرق اسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائدهم آباءهم .

كذلك فقد اشار السيد رشيد رضا الى ان التعليم المنتشر في البلاد العثمانية في هذه الفترة (١٩١٠ م تقريبا) هو المانع الأعظم للعثمانيين من الاتحاد لاختلاف طرقه ولو كان عاما شاملا لكان الناس في اتحادهم اشد واقوى .

كذلك فقد اشار الى المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت وما تقوم به مع الطلاب المسلمين .

واشار الى واقعة استقدام الرئيس للتلاميذ طالبا منهم تمهيدا للقيام بالواجبات الدينية من دخول كنيسة ودرس تورا وانجيل حسب الشرح والتعليق البروتستانتي التي يفر منها المسلم ويشكك في صحتها (م ١٢ / ٦٣٧) .

وتابع هذا من بعد بحث آخر تحت عنوان : الالحاد في المدارس العلمانية قال : اطلعت على بعض كلام لبعض مدارس المدرسة العلمانية اللادينية التي صار انشاؤها حديثا في بيروت قوامه الطعن في الدين وفي ذات الله تتدست ذاته ومن ذلك قولهم ان العقل يقودنا الى الحقيقة والايان يقودنا الى الكذب وكثير من أهالي بيروت أرسلوا اولادهم للمدرسة المذكورة ليتعلموا بها اللادين .

واشار الى ما نشرته عن التعليم اللاديني جريدة المقطم فقالت ان نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعوا في انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشيد ، وان فرنسا اقبلت على هذا التعليم منذ ١٨٨٢ فلم يتر فيه فائدة في ترقية

الأخلاق بل دلت الإحصاءات على أن الفساد زاد كثيرا في الأجيال التي تخرجت في عهده ولا يزال يزداد في الأحداث بنوع خاص ، ومعدل المنحرفين والفارين من الخدمة العسكرية وازدياد الجنايات وقال : والعلاء متفقون على أن ذلك نتيجة التعليم اللاديني وقال المسيو تابلنو من رجال القضاء أن زيادة الجرائم الهائلة بين الفتيات قد بدأت بعد أن انتشر التعليم اللاديني ورأى ابن رشد بشجب المدارس اللادينية ، حتى إذا صممت دعوتها الأولى وهى أنها تعلم العلوم في معزل عن الدين فكيف وهى لا تقصد حقيقة سوى مقاومة الدين ومقاتلته ، وقد أعلن ذلك غينفانى في مجلس النواب الفرنسى وقال أننا نقصد انشاء مدارس لمقاومة الدين وكفنا ذكر الحياض في الأمور الدينية . هذه نتائج التعلم الذى يريد أن يتفحنا به ماسون الاسكندرية وأعاونهم » (م ١٤ / ١٩١١) .

وقد واصل السيد رشيد رضا دراساته عن التعليم والتربية فقال في المجلد ١٥ : انه اخبر أحوال العالم الاسلامى اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من أمتنا وكانت نتيجة هذا الاختبار انه يعتقد اعتقادا قاطعا انه لا رجاء لأمتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمتهم ثم لغيرها من الأمم كما يليق بهدى الاسلام الذى أكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينشغلون بعد ذلك عنه فحسبهم اصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم وقال : وقد رايت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود متفقين معى على هذا الراى ، هذا هو العمل الذى تألفت له جماعة الدعوة والارشاد ، وأول تهمة قذفنا بها المرجفون في جريدة العلم المصرية هى أننا نؤسس جمعية سرية لاسقاط الدولة العثمانية وانشاء خلافة عربية وكانت حجتهم في ذلك أننا نخشى عملنا ولا نظهر للناس أسماعا وقانوننا ..

وتحدث المنار عن خطر المدارس التبشيرية في البلاد العربية فقال :

قراء المنار يعلمون أن المدارس الافرنجية والمدارس المتفرنجة على اختلاف أنواعها من تبشيرية أنشئت لدعوة النصرانية وعلمانية أنشئت لمقاومة الأديان وكلها أخرجت للشعوب الاسلامية نابتة مضطربة في أمر دينها ودنياها وسياستها وآدابها يقل منها من يعرف دينه معرفة صحيحة .

ويكثر فيهم الهدامون لبناء أمتهم ، وأشار الى قول لورد سالسبرى عن أن هذه المدارس هى أول خطوة لاستعمار الشعوب التى تنشأ فيها ، فانها تخرج فيها طائفة تحالف سائر أمتها فى عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعا وشقاقا تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديهما ومصادق ذلك أن مترنجة الترك قد هدموا تلك السلطة (الامبراطورية) الراسخة الأساس وانتهى أمرهم الى امارة صغيرة طردوا منها الشعوب المسيحية . ومن المعلوم عند كل من يعرف الاسلام انه دين وتشريع سياسى قضائى ونظام اجتماعى وانه حكم عربى كما نطق به كتابه المنزل فان كان من مثار العجب أن يحاربه ملاحدة الترك ايثارا للعصبية اللغوية ، وقد جاء هذا ردا على مقال تحت عنوان العالم الغربى والعرب والاسلام وعن حرب اوربا للاسلام وسياستها معه ، وجهد اوربا فى تنصير المسلمين ومقاومة اوربا للاسلام فى بلاده وعطف اوربا على الأرض دون المسلمين (م ٢٦) وأشار من بعد عن مسألة تعليم اولاد المسلمين بواسطة معلمين غير مسلمين وما عساه ينشأ من غير المسلمين أمور تنافى دين الاسلام سواء بالمقال ، او بالمال فى بذر الفساد فى النفوس لكونهم ضعاف وذوى نفوس ساذجة ، فقد يجوز الانتفاع بهم فى الحساب والاقتصاد فيما لا يخشى على الاولاد ضرر منه فى دينهم و لاتربيتهم القومية والمالية . (م ٣١) وقد وسع هذا البحث من بعد فقال : ان تعليم الاولاد ما يجب عليهم من عقائد الاسلام وأحكامه عندها يبلغون سن التكليف ومبادئ اللغة العربية التى هى لفحة الاسلام فرض على والديهم واولياء أمورهم فاذا كانت مدارس الدولة لا تمنع والديهم من تعليم ما يذكر من الأمور الدينية ولغتها ومن تربيتهم على هدى الاسلام وأخلاقه ومن أهمها عزة النفس فلا مانع من ادخالهم فيها اذا كانت تمنعهم فلا يجوز ادخالهم فيها ، وأشار الى مدارس النصرانية : (مدارس التبشير والارسالية) فقد ثبت بالاختبار العام أن هذه المدارس انما تنشئها لنشر دينها وتربية التلاميذ والتلميذات فيها على عقائدهم وعباداتهم وآدابهم وانها تتوخى بذلك ابعاد المسلمين والمسلمات منهم عن دين الاسلام بأساليب شيطانية تختلف باختلاف حال المسلمين من العلم والجهل . ان المدارس اللادينية التى تنشئها الجمعيات السياسية والاحادية تتوخى بث الاحصاد بل الكفر المطلق بالرسول وما جاءوا به من الهدى والرشاد وقد ثبت

بالاختيار ان الاتحاد في الدين قد نشأ في المتعلمين في تلك المدارس كلها على درجات منهم المعطلة ومنهم الشساكون او اللادريون ومنهم الذين يلتزمون الحسنة الدينية والسياسية والاجتماعية في الزواج والارث والاعبياد والمزاسم .

ومن آثار ذلك ما نراه من القوضى في الامور الاسلامية والتجهل ببعض الامور المعلومة من الاسلام بالضرورة التي اجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على كثر جاحدها وعدم عذر جاهلها والدعوة الى مخالفتها . ومن آثار ذلك ترجيح المترنجين والى العصبية الجنسية للغات الاجنبية على لغة الاسلام العربية بل يجهلون ان الاسلام قد جعل لغة العرب لغة كل المسلمين لتكون عبادتهم واحدة وشريعتهم واحدة وآدابهم واحدة ويصدق عليهم قوله تعالى (ان هذه امة واحدة) من كل وجه .

فقطيع اولاد المسلمين في المدارس التبشيرية والمدارس الدينية (الايك) قد جنى عليهم في دينهم وديناهم وسياستهم واطنائهم وسلبهم اكثر ما كانوا نالوه بهداية دينهم . انهم اسلموا اولادهم وانلاذ اكبادهم لاعدائهم لاجل ان يجعلوهم مثلهم فيما كانت به دولتهم عزيزة قوية فقطعوا عليهم الطريق المستقيم الذي يوجههم الى ذلك وهم لا يشعرون ولا يعقلون .

واكبر المصائب على المسلمين انه ليس لهم دولة اسلامية تقيم الانضام في علومه وسياسته وهدايته وتشريعه وتعليمه وتربيته فخرجون اليها فيما يختلفون فيه من امورهم في بلادها و غير بلادها وليس لهم جمعيات علمية دينية حكيمه غنية كجمعيات النصارى واليهود فيجب ان تنشئ لهم المدارس والملاجئ والمستشفيات فتغنيهم عن اللجوء الى اعداء دينهم (م ٣٢) .

وعاود البحث مرة اخرى حول التربية الاسلامية والتعليم الاسلامى فقال :

الذى اعلمه انه لا توجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية (تربية اسلامية) مدونة او متبعة بالعمل في تنشئة اطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد عليهم اخلاق الاسلام وآدابه وعياداته كالصديق والحب والحياء والامانة وعزة

النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب
البذاء والفحش فى القول حتى يترعرع ويشب معتقد أن المسلم بإسلامه
أعز الناس نفسا ، وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب
الخير للناس كافة ، وأن يحب لذلك أن يكون قدوة لهم فى كل مرحلة وعادة
وعمل ولا يليق به أن يكون تابعا أو مقلدا لقوم آخرين فيما بعد تفضيلا لهم
على قومه مع اعترافه لكل ذى حق بحقه وكل ذى فضل بفضله وبرأته من
كل ما فشا فى قومه من البدع والخرافات والعادات الضالة والسـمى
لأزالتها ، أما تربية المدارس فروحها تفرنج تقتل الإسلام قتلا بتفضيل كل
ما هو أجنبى على ما يخالفه من عقائد الإسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه
وآدابه ومثخصاته ، وحسبك أن الصلاة التى هى عمود الإسلام وعنوانه
ومغذية الإيمان غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها .
هذه المدارس قد وضع الانجليز نظمها وعينوا لها وجهتها وغايتها كما
شاءوا ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة
إسلامية لها من المزايا فى دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به
على جميع الملك وما لا تشاركها فيه ملة أخرى وقد عزلت الناظرة الانجليزية
التي كانت تتولى المدرسة السننية على عهد القس دنلوب لأنها قالت لأبد
من تعليم البنات الدين ودين الأكثرية هو الإسلام ومزق تقريرها ، ومدارس
التبشير وراهبات الكاثوليك يحتقرون الإسلام وكل ما ينتمى إليه ويحتقرون
لفته أيضا .

الفصل الرابع

قضايا المجتمع والمرأة

كانت قضايا المجتمع والمرأة في مقدمة الموضوعات التي شغل بها المنار وعمل على تقديم رأى الاسلام ومفهوم الاسلام في مختلف المواقف فتحدث المنار عن وجهة نظر اسلام لا في الاشتراكية التي تدع اليها بعض الجمعيات في أوروبا (م ١٨٩٨/١) وقال الترف مهلكة الأمم ، وأشار الى أسوء المجتمع كالقمار والخمر والزنا وتحدث عن الاقتصاد وحرب الغرب لاقتصاد المسلمين وعن انشاء البنك الأهلي في مصر ، وقال: الأوروبيون علموهم ان حرب الدراهم والدنانير انجح من حرب المدافع والبنادق وقد امتلكوا بهذه الحروب الذهبية والفضية اكبر بلاد الشرق فالانجليز استولوا على ممالك الهند عن طريق جمعية تجارية وطأت المسالك ومهدت السبل لطلبها السلطة ويؤيدها النفوذ وكذلك شركة البحر في أحشاء أفريقيا ، وعقد عدة نصوص عن البنوك ومعاملاتها من وجهة نظر الاسلام (م ٣٦١/١٠) وعن حوالات البنوك كما تناولت المنار علوم الاجتماع والأحوال الاجتماعية في مصر وما يتصل بالانحراف والقمار (م ٥٧٢/١) وتناولت الرقص الافرنجى (م ٩١٧/٤) ومضار تربية النساء الاستقلالية عند الافرنج (م ٥) وتحدث عما أسماه البقاء أو خطر المعهارة في القطر المصرى (م ١٠) وقال الف الف الدكتور ثورفاليس بك كتابا باللغة الفرنسية قال فيه : لعل الذين تركوا الدين فوقوا في الادواء التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في أجسادهم وفي دينهم فيقل تهافتهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين ، وأعتقد أنه لا علاج لهذه المعائب العمرانية والاجتماعية الا التربية الدينية وان من يزعم أن الامتناع بضرر المعاصى وحده يعمل ما يعمل الدين من النزوع اليها فهو من الجاهلين .

وقد واصل المنار الحديث عن قضية المرأة وترشيدها نهضة المرأة ، ودأب على نشر ما يؤيد وجهة النظر الاسلامية في هذا الشأن ، ونشر

محاضرة باحثة البادية التي ألقتها في الجامعة المصرية على النساء (٥ ربيع الآخر ١٣٢٨) عن دور الطفولة والمراهقة والملابس والأزياء والخطبة والزواج والاقتصاد المالى والمنزلى والعمل البيتى والأخلاق والعادات ودور الأمومة .

وعرض السيد رشيد لغضبية المرأة في (المجلد ٣٣) فيقول : كان من فوضى الأقلام وحرية الإباحة والاحاد أن تصدى للتحريير في الصحف وتصنيف الكتب والتقصص أفراد من المترنجين الإباحيين ، انتحلوا لأنفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم الى النساء والشباب لانهما أسرع انخداعا وأسلس قيادا وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه ويزينون لهم كل جديد ضار بعروبتهم ولا سيما حجاب النساء وعفافهم ولزوم بيوتهن وطاعة رجالهن حتى هتكن الحجاب والقفين جلابيب الحياء ونشر الأرواح على بمولتهن وتمرد العذارى على آبائهن وخروجهن في الشوارع والأسواق كاسيات عاريات مائلات مميلات كما ورد في الحديث الصحيح وصفا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار ثم صارت الجمعيات النسبوية تجمع بين النساء والرجال في محافلهن الخاصة بهذه الصنعة للرقص الشرقي وتعاطى كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجون من البيوت الى سواحل البحار بمآزر الحمام يجتزن الشوارع فرحات مرحات حتى اذا التقين بالرجال على الشاطئ خاصرهم الى حيث يسبحون معهم فنونا من سباحة الإباحة لم يبق معها للدين ولا للشرف ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة ، هذا الفساد وخطره على الأسرة فالوطن فالأمة . .

وتحدث في موضع آخر عن اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل (م ٢٠) فقال ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل يشمل على منكرات محرمة منها ظهورها في أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالراس والنحر وأعلى الصدر والزراعين والعضدين وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الاشتراك مع الرجال الممثلين في أعمال تكثر في التمثيل ان لم يكن من لوازمه في كل قصة كالمعانقة والمخاصرة واللامسة بغير حائل ، وفيها غير ذلك من المنكرات التي تشمل عليها بعض القصص دون بعض كالتشبه بالرجال وتمثيل وقائع العشق والغرام المحرم

بما فيه من الأعمال المحرمة لذاتها أو لكونها ذريعة الى المحرم لذاته (وعاود السيد رشيد الحديث عن موقف المرأة في التمثيل والتياترو في المجلد (٣٨/٤١) :

وتحدث عن التمثيل والتياترو فقال : المجموع الذى يتضمن المحذور يكون محذورا وان درء المفسد مقدم على جلب المصالح وقد نهى القرآن عن ابداء النساء زينتهن لغير يعولتهن أو آبائهن ، فما بالك بما هو شر منها وهو الرقص مع الاجانب أو مطارحتهم الغرام و تمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والاخوان اخرى ، وقال ان من عصيان المرأة ان تبدى ما خفى من زينتها في التمثيل ورقصتها مع الرجال وان اتباع التقليد يقطع الرابطة الاسلامية ويهدم الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجراتهن على انتهاك محارمه ..

ولقد ألف السيد رشيد رضا كتابا تاما في قضية المرأة تحت عنوان (نداء الجنس اللطيف) نشر مقدمته وفصولا منه في الأتار وقدم فيه مفهوم الاسلام لكل قضايا المرأة .

اما ما يتعلق بقضية تحرير المرأة التى اثارها قاسم أمين باصدار كتابه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) فقد وقف منها السيد رشيد رضا موقف جماعة صالون نازلى فاضل ، وان كان قدم ما كتب في معارضته مثل كتابى فريد وجدى وطلعت حرب وقال ان كتاب فصل الخطاب في المرأة والحجاب وضعه طلعت حرب للرد على كتاب المرأة الجديدة كما ألف (تربية المرأة والحجاب) للرد على تحرير المرأة وقال ان قاسم أمين غالى في بيان مضر التشديد والمبالغة في الحجاب وبالعجاء في جعل نجاح المسلمين متوقف على ازالة الحجاب المعهود في الأذهان والموجود اثره في العيان واعتذر عنه بأنه افراط في مقابلة التفريط في التشدد بالحجاب حتى جعل مانعا من العلم (وأشار الى ما أورده قاسم أمين في فضائل الحجاب

ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك في رده على الدوق داركور أولا (وأشار الى أن فريد وجدى في كتابه المرأة المسلمة أورد جملة حقائق أهمها :

١ — ان المرأة أضعف من الرجل جسما وأقل منه قبولا للعلم لأن وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن يكون خاضعة للرجل .

٢ — جمال المرأة موهبة روحانية هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واما لأطفال .

٣ — ان اشتغال المرأة بأشغال الرجال قتل لمواهبها .

٤ — ان الحجاب ضرورى للنساء لصالح النوع الانسانى .

٥ — ان تعاليم الاسلام للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة .

٦ — لاينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ أكمل نقطة يمكن أن ينال جنسها الا تعلم مبادئ العلوم العصرية .

الفصل الخامس

احياء التراث

كان احياء التراث وعرض المجدد منه من أبرز أعمال المنار فقد كان هذا العمل جزء من خطة الإصلاح ركز عليها الشيخ محمد عبده حين أحيا كتابي أسرار البلاغة ونهج البلاغة رغبة منه في رفع مستوى الأسلوب العربى ورده الى عصور الازدهار فى المجلد الثالث يشير « الى اهتمام الشيخ عبده بكتاب أسرار البلاغة واعادة طبعه وذلك فى نطاق الدعوة الى الرجوع فى العلوم الاسلامية الى الورااء بضعة قرون والاخذ بكتب الائمة الذين دونوا العلوم ووضعوا الفنون وقد خالفه علماء الأزهر الأزهر فى ذلك ومن ذلك ان كتاب عبد القادر الجرجاني أسرار البلاغة لم توجد نسخة منه فى مصر فاستحضرت من الشام وروجعت مع نسخة فى الأستاذة ،

قال السيد رشيد : ان هدف الشيخ محمد عبده مواجهة الضعف فى اسلوب الكتابة والبيان ، وقد خالفه فى ذلك علماء الأزهر من يعجز منهم عن فهم كتب القدماء فضلا عن تدريسها ويثقل عليه ان يقرن العلم بالعمل لان ما عنده من العلم خيالات لا تهدى الى عمل فبعد ان سعى لطبع (البصائر النصيرية) فى المنطق وأتم قراءته درسا فى الأزهر وجه نظره الثاقب لطبع كتاب امام البلغاء بل واضع فنون البلاغة ومؤسسها الشيخ عبد القاهر الجرجاني (سقى الله شراه) ولعبد القاهر كتابان فى البلاغة مشهوران ينقل عنهما العلماء ، أحدهما أسرار البلاغة والثانى دلائل الاعجاز ولا يوجد فى القطر المصرى نسخة من الكتاب الاول ولكن كانت توجد منه نسخة فى طرابلس بالشام فاستحضرتها بأمر الأستاذ وبعدما نظر فيها رأى فيها غلطا نسخيا وعلمنا ان فى بعض مكاتب الأستاذة العلية نسخة أخرى غامر الأستاذ بعض طلاب العلم النبهاء فذهب الى الأستاذة مخصصا وقابلها عليها فخرج من النسختين نسخة صحيحة تولى الأستاذ تصحيحها وضبطها بنفسه وأمرنا بطبعها فبأشرنا الطبع وبأشر هو تدريس الكتاب فى الجامع

الأزهر فأقبل على حضور دروسه مع المجاورين كثير من العلماء وكبار الموظفين والكتاب والشعراء وأساتذة المدارس الأميرية ، أما عبارة الكتاب فهي في الطبقة الأولى من السلامة والمتانة وأسلوبها عربى صريح لا عرقى .

وتحدث المنار على مدى سنواته الطويلة عن المؤلفات التى حققت وبعثت من التراث وهى كثيرة منها نهاية الأرب فى فنون الأدب ، وعيون الأخبار والأغاني وكتاب أساس البلاغة للزمخشري والذى عنى بتصحيحه الشيخ محمد محمود الشنيقضى (والكتاب وضع لبيان الاستعمال الفصيح والأسلوب البليغ منها وتصريف القول فى أساليبها ومضامينها ومنه الحقيقة والمجاز والكنية) وقد كتب للخواص من أهل العلم والأدب ، وأشار الى عشرات الكتب منها الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية لابن تيمية والإشارة الى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الندمشقى ، والسياسة الشرعية لابن تيمية ، وفيصل التفرقة بين الأيمان والزندقة للغزالي ومسند الإمام زيد المسمى بالمجموع الفقهي . واحياء علوم الدين للغزالي والاعتصام والموافقات للشاطبى ، ومقدمة ابن خلدون واحياء كتاب التبر المسبوك فى نصيحة الملوك لأبى حامد الغزالي كتبه للملك العادل السلطان محمد بن ملك شاه (ولاحظ السيد رشيد على الكتاب الغلو فى انزهنة والنهى عن العناية بعمارة الدنيا) وكتاب عيون المسائل فى أعيان الرسائل لعبد القاهر بن محمد الحسنى (وهو دليل على أن رجال الأزهر حتى القرن العاشر كانوا يقرؤون العلوم الطبية والفلكية والطبيعية التى يعادونها علماء الأزهر اليوم . (م ٣) .

وتحدث عن مغارى الواقدى فى فتوح الشام وقال : أنتقده الشيخ محمد عبده وقال أنه كان من عمال الدولة العثمانية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدي وقال ابن خلكان : ضعفوه فى الحديث وعدوه ضعيف الرواية ليس من أهل الثقة لهذا نفى الإمام الرملى من علماء الشائعة على أن لا يؤخذ بروايته فى المغازى فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى أيدي الناس من تصنيفه فهذه منزلة من الضعف عند علماء المسلمين على أنى لو حكمت بأنه مكنوب عليه مخترع النسبة اليه لم أكن مخطئاً (م ٣/ ٧٥٩) .

وقال ان كثير من عباراته يظهر منها وجه المخالفة بينها وبين مناهج ابناء القرون الاولى في التعبير وهذا لا يحتاج الى بيان والعارفين باطوار الفلسفة العربية يعلمون ذلك فهذا الكتاب لا تصلح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدي وهو الاظهر واما لضعف الواقدي نفسه في رواية المفازي ١٠

— ٢٥ —

وكما اولت المنار اهتمامها الواسع للتراث الاسلامي المجدد وكان لها دور في احيائه وطبعه كذلك فقد اهتمت بالمؤلفات الاسلامية الجديدة التي كانت من ثمار حركة الاصلاح في الاغلب وقد عرضت لكثير منها :

تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية	مريد وجدي
تاريخ دول العرب والاسلام	طلعت حرب
نور اليقين في سريرة سيد المرسلين	محمد الخضري
الفقه والتصوف	الزهرراوى
طبائع الاستبداد	الكواكبي
الدنيا في باريس	احمد زكي
اشهر مشاهير الاسلام	رفيق العظم
الشوقيات	احمد شوقي

كذلك فقد اهتم بالمؤلفات التي كتبها غربيون عن الاسلام وترجمها بعض الباحثين :

الاسلام : كونت هنرى دى كاسترى ترجمة احمد فتحى زغلول .

العصبة الاسلامية : عبد الله كوليام رئيس المسلمين فى ليفربول بانجلترا عربيه محمد ضيا المصرى يحتوى على شهادات علماء اوربا واشتهر كتابها بفضل الدين الاسلامى فى نشر المدنية وارتقاء العمران ١٠

سير تقدم الانجليز : احمد فتحى زغلول .

هذا وقد نشر السيد رشيد رضا مؤلفات هامة فصولا فى المنابر :

أم القرى : عبد الرحمن الكواكبي ، المستقبل للإسلام : محمد توفيق
البكري ، الإسلام والنصرانية في العلم والمدنية : محمد عبده .

وقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب على أبو الفتوح
« خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع » وبها مقال عن الشريعة
الإسلامية والقوانين الوضعية (م ١٨) قال المؤلف : يظن كثير من الناس
حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق
هذا الزمان الذى بلغ فيه الإنسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة
ويتوهمون أن الأحكام والروابط التى فى القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل
لها فى الأصول الإسلامية ولكن الباحث فى الفقه الإسلامى ولو قليلا لا يلبث
أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا من الرفاهية وتقدير
المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأوا قلما يجاريهم فيه أحد إلا
أن صعوبة كتب المتأخرين وطريقة تأليفها والتواء أساليبها وتعقيد عباراتها
قد أوصد الباب . وقال : أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد
المؤلفات القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد
وتزهرها عن المشاغبات اللفظية ويترك هذه الكتب الحديثة للمقطعين
لفهمها دون ملل ، وأشار الى كتاب الخراج لأبى يوسف فقال : عثرت
فى هذا الكتاب على درر كثيرة عمدت الى نظمها فى هذه المقالة ... الخ .

كذلك فقد أولى السيد رشيد رضا اهتماما خاصا بكتاب تطبيق الديانة
الإسلامية على النواميس المدنية لفريد وجدى وقال أن فريد وجدى على
طريقة الأستاذ الإمام وقال : من الأسف أن أكثر التصانيف الإسلامية
فى القرون الأخيرة أو كلها مأخوذة من كتب المتقدمين نسخا يشبه المسخ
وأنه لم يكن يوجد عندنا كتاب فى الدين إذا عرض على متمدنى هذا العصر
يأخذ من قلوبهم مأخذا يستلقتهم الى النظر الى الدين يتمثله سائقا لهم
أنى سمادة الروح والجسد على الوجه الذى يناسب زمنهم وعمرانهم
حتى قام حكيم المسلمين فى هذا العصر العلامة الشيخ محمد عبده والى
رسالة التوحيد الشهيرة وأما الآن كتاب تطبيق الديانة الإسلامية على
نواميس المدنية مؤلفه الشاب الذى فاق الشيوخ اناة وكمالا عملا يعلمه

محمد فريد أفندى وجدى بين أن الدين ناموس عام ضرورى فى الكون كسائر نواميسه وبين أن العلوم الطبيعية خدمت الاسلام وانها كلما تترقت وزاد الناس رسوخا فيها زادوا قريبا من الاسلام وكشف عن براءة الاسلام من الحقد الدينى المعبر عنه بالتعصب والاسترقاق وإن الاسلام راعى ناموس الحضارة والدين الوحيد الذى راعى حقوق الروح والجسد معا وكفى الكتاب شرفا أننا جعلناه ثانيا لكتاب رسالة التوحيد الذى لم يؤلف مثلها فى الاسلام وقد جرى المؤلف على آثار الأستاذ فى الرسالة أسلوبا وبحثا .

وأشار الى ديوان الشوقيات الذى أصدره أحمد شوقى أمير الشعراء فقال : إن للشوقيات أبواب يدخل فيها أنواع القول وفنونه وضروبه وشجونه من آداب وأخلاق وحكم وأمثال وغزل ونسيب ومديح ورثاء ، وحاشاها من الذم فقد ضربت آداب شوقى بينه وبين الهجو بسور لا باب له فيفتح ولا يخرق ولا يتسلق أما حكمه ومواعظه فصوادع ، وأما أسلوبه فخلوب رائع ، وأما تقديمه فقد أحله محله وارتقى به الى مكانة تليق به ، فجعله مقصور على أمراء مصر (اسماعيل وتوفيق وعباس) وأما الرثاء فلم يتجاوز الأمراء الا الى بعض العلماء والكبراء ولا تسئل عن سائر الشجون وما فيها من الفنون والفتون (م ٥٦٦/٢) .

الفصل السادس

وفيات الأعيان وكتاب المنار

كان للمنار موقف واضح من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامى كله سواء أكانوا من أنصار حركة الإصلاح أم من أعدائها ولم يفتها أن تذكرهم في مناسبات الأحداث وأن تنعاهم في حال الوفاة وكان موقفها معتدلا كريما إلا مع قلة قليلة من خصوم الأستاذ الامام في الأزهر أمثال الشيخ محمد بخيت والشيخ عفيفى وكان لها معارك ومساجلات وخلافات واضحة مع عبد العزيز جاويش وفريد وجدى وقد عرضنا أسماء من رثتهم المنار على مدار السنوات أمثال نعمان الألوسى وحسن الطويل ومحمد بريم والسنوسى ، كما أولت المنار تقديرها لكتابتها أمثال رفيق العظم ومحمد توفيق صدقى وجمال القاسمى والكواكى .

وكان المنار حفيا بتلاميذ الأستاذ الامام حتى ولو اختلف منهجهم كما فعل مع سعد زغلول حيث قال عنه (م ٢٢) : إلا أنه ينتقصه من صفات الزعماء السياسيين — كما يقولون — ما يسمونه المرونة السياسية وهى تشمل سعة الصدر والحلم والمواراة والتمويه والخداع وإن شئنا قلنا والبراعة والكذب الذى يحتمل التأويلات الكثيرة والتلق والبراعة فى الاستمالة والتزلف عند الحاجة ، وقد زادوا فى هذه الأيام نعته أنه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وإن خالف قرار الاكثريين وهذا خلاف ما يعرف فيه ويعهد فيه ..

كذلك فهو يتحدث عن حسن الطويل (م ٢) أنه أحد أركان النهضة العلمية الأدبية فى مصر وتلاميذه هم تلاميذ السيد جمال الدين الأفسانى كان يصرح بانتقاد الحكام فى السياسة وانتقاد شأن الناس فى عاداتهم التى أضرت بدينهم ودنياهم لاسيما الفلو بتعظيم القبور وطلب الحوائج من الأموات .

وأشار الى أن الكواكبى فى كتابه « أم القرى » قد أشار لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته ولذاته فاذا الذين يعرفون شخص الأستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبى الحلبى وفضله فيقولون أجدر بهذا الكتاب أن يكون له ، أما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى أن يجيء يوم يستدل فيه هذا الرحالة انتصرىح بالتلميح ، وأشار فى (مجلد ٤) الى بعض كلام فى كتاب أم القرى عن الدولة العلية فقال انه يؤلم أكثر الناس ولا ينبغي أن يصرفه إلا الخواص .

ولا ريب أن معظم اعلام المنار على امتداد حياته كلها هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، وقد أشار فى غير موضعه الى أسلوبه فى التعليم ودعوته الى ايقاظ اهل الأزهر الشريف وارشادهم بطريقة التعليم المثلثى فلقى فى ذلك من العناء ما كان يلقيه المصلحون من قبله ، وعلم أن الارشاد بالقول قليل الجدوى فصار يقرأ الدروس بنفسه وفى ليلة الأربعماء أتم كتاب البصائر النصيرية فى علم المنطق وقد احتفل بتمامه فى الرواق العباسى وأشار الى اهتمامه باختبار الكتب وانه إضعف العلم فى القرون الأخيرة صار العلماء لا يقرعون إلا كتب المتأخرين والنسب كتبت على الشروح والحواشى المألى بالمنازعات والمحاوالت ولا يكاد يتجرأ عالم على قراءة كتاب من كتب الجهابذة المتقدمين التى لم تشرح ولم يطلق عليها انحواشى فعلمنا الأستاذ كيف نختار الكتب النافعة وعلق عليها شرحا يبين غوامضها وأصلح ما عساه يوجد من الخطأ ، علمنا كيف نهتمس الحقائق للوصول الى اليقين بالعلم ليخرجنا من الحيرة الى طريقة التعليم المألوفة لهذا المهد : طريقة الاحتمال وسرد الأقوال وقد فند كلام أنلاطون وأصلح رأى أرسطو فى الماهيات وكان من آيات شجاعته هى رفع القيد الذى هو التقليد الأعمى ووضع الميزان الصحيح الذى لا ينبغي أن يقر رأى ولا فكر إلا بعد ما يوزن به ويظهر رجاحته وبهذا يكون الإنسان حرا خالصا من رق الأغيار عبدا للحق وحده ، وهذه هى طريقة معرفة الشئ بخليله وبرهانه ما جئنا من علم المنطق ، وانما هى طريقة القرآن الكريم الذى ما تكرر شيئا إلا واستدل عليه وأرشد متبعه الى الاستدلال انما المنطقى

ان يضبط الاستدلال كما ان النحو له لضبط الالفاظ في الاعراب والبناء .
ويتحدث السيد رشيد رضا عن مدرسة الشام السلفية بمناسبة
وفاة العلامة محمد جمال الدين القاسمي (م ١٩١٣/١٧) ويشير الى
ان مدرسة الشام السلفية قوامها عبد الرازق البيطار ، مجدد مذهب
السلف في الشام ، وطاهر الجزائري ، وسليم النجار ، ورفيق العظم ،
وكردي علي ، وقد جاء مصر مع البيطار في عهد الامام وقد مضى القاسمي
في الدعوة الى الاصلاح المدني لحاجتها الى الاصلاح الديني وتصدى له
التقليديون واخذوا يكيدون له .

وممن اولى المنار اهتمامه بهم زعماء الاصلاح في الهند الاسلامية :
وفي مقدمتهم شبلي نعماني وشوكت علي : يقول في رثاء شوكت علي
(م ٥٥٧/٣١) انه تربي وتعلم في البلاد الانجليزية وتخرج في مدرسة
أكسفورد الجامعة وعاد الى الهند متفردا في زيه وهيئته واكله وشربه
واثاث داره ولقاء زواره وكان يظن ان هذا يقربه الى الانجليز الحاكمين
في بلاده زلفى ويزيده عندهم ودا ولكنه لم يزد الا ايمانا منهم فاستيقظ
من رقدته وتنبه من غفلته وعاد الى شارات قومه وشعائير ملته فاضطروا
الى احترامه ومراعاة كرامته ، ودعا الى الاعتصام بكتاب الله وسنة
الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا الى التربية الدينية الاسلامية وتحذيره
الناطقة الجديدة من تقليد الامرنج في ازيائهم وعاداتهم وتقاليدهم واقناع
الشبان المفتونين بهذه المظاهر لضررها القومي والسياسي .

كذلك فقد اولت المنار اهتماما لتراجم عدد من اعلام الاسلام :
الشافعي ، المهرى ، الفزالي ، شاه العجم ، ونشرت شعرا لمصطفى
صادق الرافعي ، وعبد المحسن الكاظمي ، ومحمود سامي البارودي ،
وشوقي ، وحافظ ابراهيم ، واحمد محرم .

الفصل السابع

المجلات والصحف

- ١١ -

منذ أن ظهرت المنار (وبالرغم من انها مجلة شهرية) فقد كان لها شخصيتها وموقفها من مختلف الصحف اليومية الكبرى لرسالتها ذات الطابع الاسلامى المتميز ، وكان لها مع ذلك موقفها القائم على التقدير البالغ لجريدة المؤيد فهى دائما تتابع موضوعاتها وتعددها إصدق الصحف وتعتبرها من أسلحة الاسلام ، وكانت المؤيد قد صدرت قبل المنار بسنوات وتحمل طابع الصحافة الاسلامية اليومية وان كانت على ولاء كامل لخدو مصر والمعروف أن جريدة المؤيد أنشئت بعد أن ظهرت جريدة المقطم مؤيدة للنفوذ البريطانى بينما كانت جريدة الاهرام مؤيدة للنفوذ الفرنسى ، وقد أشار المنار الى الصحف الاسلامية القائمة وخاصة الى مجلة ثمرات الفنون التى كان يصدرها عبد القادر القباى فى دمشق (وكان ذلك بمناسبة مرور ٢٥ عاما على تأسيسها) المجلد الاول من المنار .

كما أشارت لصدور مجلة الحياة (فريد وجدى) عام ١٨٩٩ بعد المنار بعام واحد وقد أشارت الى المؤيد (م ٢) فقالت انها كبرى الجرائد العربية دخلت فى السنة الحادية عشرة وهى ثانية على منهاجها فى خدمة الدولة العليا فى مصر على ما تحب وترضى والمدافعة عن حقوق مصر والمصريين التى هضمتها الدولة المحتلة على وجه نالت به ثقة السواد الأعظم من الأمة ، ولقى صاحبها فى بداية ما يندر أن يثبت معه شرتى على عمل فكانت له العاقبة فصدق عن قول صاحب الحكم (من لا يكون له بداية محرقة لا تكون له نهاية مشرقة) وقد سمي العشر الاول من عمر جريدته طور الطفولة وفى هذا من الهضم لنفسه ولعمله الناجح ما كان ينبغى أن يكون أسوة للذين يوعوا جرائدهم وهى أجنبية مقاعد الشيخوخة .

ولما ظهرت جريدة اللواء ظهر خلاف كبير بينها وبين المنار نتيجة لاختلاف الوجهة بين حزب الإصلاح الاسلامى وبين الحزب الوطنى الذى كان بزعامه مصطفى كامل مواليا للخديو معاديا للاحتلال البريطانى بينما كان حزب الإصلاح بزعامه الشيخ المفتى معاديا للخديو مواليا للاحتلال يقول رشيد رضا :

صاحبها سعادتلو مصطفى كامل بك ظهرت فى غرة رمضان المبارك اصفر والطف من سائر الجرائد اليومية حجما واقل ثمنا ، ولا تعلم ماذا يكون من امر هذه الجريدة ولكن نظن انها اما ان تتلو تلو غيرها اما ان لا تروج اما مواضعها فهي فائقة عن ذلك الرجل الكبير اللهج بالوطن وحب الوطن وخدمة الوطن ، وقد ضم الى هذه الكلمات اخيرا ذكر الاسلام والدين اما الاسلام والدين فلا ينتظر من هذه الجريدة كلام مهما يغيد الأمة الا بقتبع ما يذكر منها من الجرائد الامرنجية .

وقال : انتقدنا عليها امرا ذا بال هو الارجاف بأن بعض الناس فى مصر يسعون فى اقامة خلافة عربية كان الخلافة من الهبات الهينات تنال بسمى جماعة أو جماعات ولا يمكن احتقار مقام الخلافة الاعلى باكبر من هذا الارجاف فان مقام الخلافة اسمى من ان يتناول اليه أحد وقد سلم السواد الاعظم من المسلمين زلمه لبنى عثمان سلميا والرابطة بين الترك والعرب هي كما قال كمال بك الكاتب الشهير موثقة بالأخوة الاسلامية والخلافة العثمانية فان كان أحد يقدر على حلها فهو الله تعالى وان كان أحد يفكر فى ذلك فهو الشيطان ويعلم كل خبير بحال هذا الزمن انه لا يرجف بالخلافة فيه الا رجلا : رجل اتخذ الارجاف حرفة للتعيش واكل السحت أو التحلى بالوسامات والالقب الضخمة ورجل اتخذه الأجانب لخداع بسطاء المسلمين بايهامهم أن منصب الخلافة ضعيف متزعزع يمكن لاي أمر أن يناله ولاية جمعية أن ترحضه عن مكانه ليزيلوا هيئته من القلوب ويقتنعوا نفوس العامة الأغرار بإمكان تحويله فى وقت من الأوقات وبأن المسلمين ليسوا راضين عن الخلافة العثمانية جميعا . وكان مصطفى كامل أفندى يوم الف كتاب المسألة الشرقية ينسب هذا الطمع الاشعبي

للانجليز واليوم ترى مصطفى كامل بك يلتقى القول فيه على عواهنه في خطبه وجريدته ويدع نفوس البسطاء تذهب اليه كل مذهب (م ٢) .

وفي موضع آخر يتحدث عن المنار الاسلامى واللواء الوطنى فيقول :
بينهما تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامى ويثبت ان المسلمين لا يلقونه الا بترك البدع ورجوعهم فى الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية فى امر الدنيا .

وجريدة اللواء لا رأى لها فى الدين والاسلام . ولكن لها وطنية عيياء من معناها أنه يجب على كل مصرى أن يتعصب على كل من يقيم فى مصر من غير أهلها وان كان مسلما وعلى كل مصرى مسلم أن يتعصب على كل مصرى ليس بمسلم وهذا ما ينقضه المنار .

ويقول فى موضع آخر : كان صاحب جريدتى اللواء والعالم الاسلامى (يقصد مصطفى كامل) على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعى انها جاءت من الهند وجاوة الآستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعى أن جريدته موضع ثقة الأمم والشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى ولعلك لا تجد شيئا من هذا التبجح فى جريدة أخرى الا ما يسمونه بالجرائد الساقطة (م ٨) .

— ٣ —

وبواجه المنار حملة جريدة الوطن القبطية التى هاجمت مشروع احياء الآداب العربية فيقول : عزمت الحكومة المصرية على طبع بعض الآثار العربية من المصنفات النافعة النادرة بالمال الخاص بدار الكتب المصرية وكان لديها فى الميزانية الف جنيه لتنشيط الآداب العربية ولا ريب أن المال الذى خصصته قليل فهى تنفق أكثر منه فى ضيافة أحد ضيوف الأمير يوما ولحدا وتنفق أكثر منه فى مساعدة التمثيل الاغرنجى الذى يرى جمهور الأمة أن ائمه أكبر من نفعه . ولم يكن يخطر فى البال أن يلتقى هذا المشروع اعتراضا حتى سمعنا نعاب صاحب جريدة الوطن القبطية يدعو بالويل والثبور وينعى على الحكومة المصرية عملها ويندب الشعب المصرى مدعيا أن الحكومة تريد بهذا العمل افساد آدابه ومنعه من العلوم والمعارف

الصحيحة التي ترقيه وتجعله من الشعوب العزيزة الراقية وزجه في ظلمات
الخرافات والسفاهات والسخافات والجهالات العربية ويزعم أنه لا يوجد
في الكتب الغربية غير تلك المضار التي استفرغ كل ما في جوفه وجعله
وصفا لها وكل أثناء ينضح بما فيه لم يكتف الكاتب بتحقيق جميع العرب
والقدح في كل ما كتبوا ووضعوا حتى خرج يذم دينهم وليست علة صاحب
الوطن هي الجهل فنداويها بما ذكرنا من العلم الصحيح فان الجهل وحده
لا يستطيع أن يهبط به الى هذه الدركة من الخذلان وانما علته هي الغلو
في التعصب القبطي وكرامة كل شيء ينفع الاسلام والمسلمين وان نفع غيرهم
ولم يضرهم (م ١٣ / ٩٠٨) .

ولا يتوقف المنار عند هذا الحد فهو منافع عن مفهوم الاسلام
ازاء اى صحيفة او كاتب ومن ذلك موقفه من لطفي السيد (م ٧ / ٣٩٩)
يقول : يكتب صاحب الجريدة بحسب هواه ويضحك على الناس غاشا
اياهم بأنه يخدمهم ولا عجب اذا راجت على الغافلين دعواه . من اطراء
الأمراء الحاكمين من الخدمة الوطنية ولكن العجب العجيب رواج دعواهم
خدمة للدين الذي هم به جاهلون وعن صراطه ناكبون . وقد ملا الأفاق هذه
الايام صياح بعض الجرائد التي تسمى نفسها اسلامية من الشكوى
من صاحب المؤيد والنيل من عرضه والطعن به والتخريض على ترك جريدته
لأنه عقد عقدا شرعيا قابلا للفسخ يطلب الولي على عدم اثبات كفاءته ،
اذا كانوا يفارون على الدين كما يزعموا فلماذا لا يتعلمون عقائده واجكامه .
ولماذا يمدحون الاعمال المجمع على تحريمها وكفر مستحلها كالمرقص الذي
يكون في قصر الأمير بين النساء والرجال مع الدعوة الى شرب الخمر جهارا
وما قام به زعيمهم صاحب جريدة اللواء بتدبير يعمل محافظ مصر السابق
عندما اراد التشديد على النساء المنتهكات في الشوارع والأسواق وتبعه كثير
من الجرائد » .

ولكن السيد رشيد رضا بالرغم من حملته على اللواء ومصطفى كامل
فأنه عندما توفي رثاه في تقدير شديد (م ١١ / ٦٠) فقال :

أندي الصحفيين المصريين صوتا وأبعدهم في عالم السياسة الحقيقية
واشدهم في دهاء بلده تأثرا وأكبرهم ولبا ونصرا ، قضى عن أربعة وثلاثين

رئيساً عظمى تضمنها في السياسة ونصف هذا النصف في الضخامة بإذلا
 مما أخذ فيه جميع أوثاقه ومنهراً فيه منتهى وجدانه وشعوره . وقد أعجب
 في الثوار بجمهور الكثرين ثم تعزبت له نيلته الكبيرة من المتعلمين بل عظمته
 بعض دلائل الحقوق عسقا بملك قلوبهم ملكا فظهر أثر تحزيبها في تشجيع
 بجنارته بظهر غريب ما روى مثله من نسيب أو قريب . كان مصطفى كامل
 هو المحلى في هذا المظهر من أطوار التجلى ثم صار داعية الثابتة الى هذه
 القومية وهاديتها أو سائيتها وجاريها . رأيت الدعوة موجهة الى جعل
 القومية جنسية للمسلمين فأنكرتها في المصار بالبرهان المتين واكثرت
 من الكتابة فيها حتى في تفسير القرآن . وانتقدت عليه الأرجاف بمسألة
 الخلافة العربية اذ كان كتب ان في مصر من يسمى لها سعيها وبينت له
 وجه الضرر في ذلك الأرجاف فكبر عليه وقطع المبادلة الصحفية ، وانحي
 علينا بعد ذلك كثيرا لما كان عليه عفا الله عنه من الشدة على من خالفه
 وطو بمضمويا ونصر من واقفه ظلما كان أو مظلوما وكان الأولي من أسباب
 انتقار اللواء كالمبالغة في ذم المحتلين وانتقاد الحكومة ومدح الأمة وتعالى
 الانتقاد عليهما والتنويه بالاستقلال والتعجل بطلب محو الاحتلال .
 (م ٦٠/١١) ومن مواقفه خطبة مصطفى كامل في تمجيد محمد على
 بعد انتقاد المنار أعماله (م ٢٣٢/٥) .

— ٣ —

وكان خلاف المنار مع جريدة السياسة قائما على الخلاف في وجهة
 النظر الاجتماعية وفي موقف السياسة من التقريب وتأييدها أفكار القرو
 وضمتها مجموعة المعارضين للفكرة الإسلامية أمثال طه حسين وعلى
 محمد الترابي ومحمود حمزى ونحريهم العلوية القائمة للإسلام . يتوزع محتاج
 المنار : « ان بين المنار والسياسة خلافا أهم مما كان بين حزبها وحزب
 الوفد المصري وهو ان المنار داعية الدين الاسلامي والمدافع عنه والسياسة
 تقوم بدعاية الحادية تريد ان تنسخ بها هداية الاسلام وتقطع الرابطين
 الاسلامية والعربية بما تعبر عنه بالثقافة المصرية والتهددين وما كتب عن
 مسائل شخصية مختلفة كرمها ان صاحب المنار ليس له دين ولا عقيدة
 ولا مذهب متسارة يكون مسئما متساريا أو متساريا أو متساريا أو متساريا
 أو يرهيا وقارة ملحددا وما أشبه ذلك ، ولمصل جريدة السياسة تريد

ان تستدرجنا بهذا الى منازلها في هذا الميدان الذي تعلم علم اليقين اننا لسنا من فرسانه وان جميع فرسانه المهزومين ينهزمون امامها فيه ، ان الجرائد البذيئة في هذا العصر ، قد بذت الشعراء الهجائيين في المصور الخالية فيجب الاعراض عنها ، لابد للأحزاب من جرائد تنشر دعوتها وتحمي حياها ، ولو بالطنع الشخصي في خصومها كما كانت القبائل تخبر لها شاعرا هجاء يدافع عنها اذا هجيت يلقب بسفيه القوم وكان خصوم القبيلة يهجونها في حملتها دون سفيها ولو كانت السياسة ترد على ما تنشره من تنيد بعض نشراتها الاحادية عملا بحرية الرأي والنشر التي تدافع به عن الكتب الاحادية ككتب على عبد الرازق وطه حسين وتعترف لنا بمثل هذه الحرية ... » .

ويشير السيد رشيد رضا في عنوان : « لابد من قتل صاحب المنار » الى ما بلغه من الدكتور هيكل (لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة) قد قرر لمروعوسيه محرري جريدة السياسة لأنه لابد من قتل صاحب المنار وقد وافقوه وهم يعنون بهذا القتل ان يكون بأسنة اقلامهم الطعانة ، القتل المعنوي او الادبي ، اتهمته جريدة السياسة من قبل انه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الامر عباس حلمي الخديو السابق ، وكذبت الحكومة هذه التهمة ، وكان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة انكاره علامتها المحقق على عبد الرازق الذي انكر التشريع الاسلامي من اساسه يضاعف ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع انواع الدعاية الاحادية التي تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة المصرية التي تزعم ان مصر بدعايتها ويعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنتسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها وتتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها ، يقولون اننا قتلناه نصف قتلة بها كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة كما قتلنا الأزهر نفسه وهو الآن مشن جراحا وسنقضي عليه ببضع مقالات أخرى ، وما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وانفسهم وسنقضي بحول الله وقوته على اباطيلهم (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) . (أبريل ١٩٢٧) .

وكان للمنار موقفه ايضا مع مجلة الحديث الطبية وصاحبها سامي الكيالي في مواقفه التفريضية (م ٢٨) يسوؤنا أن هذه المجلات أضمر على

الامة من بعض الجرائد السياسية التي تخدم الاجانب الغزاة باستعدادها واستعمار بلادها وتمهد لهم السبيل لذلك ، وانها تعمل على تقطيع الروابط التي توصل بينها وتضع كلمتها من دين ولغة وأدب وتشريع وهو ما نعتبر عنه بمقوماتها ومن عادات وازياء وهو ما نعتبر عنه بمشخصاتها ، ذلك مثل بعض محرري جريدة السياسة او مجلة الهلال بصر (كسلامة موسى وقلة الحسين ومحمود عزى) المنتحلين لانفسهم صفة تجديد الثقافة ، وانباء اخرى مجلة الحديث السورية معجبة بهؤلاء منوهة بارائهم مثنية عليهم ، فان كل من حررها غير مقلد لهؤلاء فلماذا لا يفتا بنوه بهم بما يعزى قراء مجلته باتباع خطتهم وهو ما يسمونه الثقافة الجديدة التي يحكمونها في كل ما اشرنا اليه من مقومات الامة ومشخصاتها وبذلك كانوا دعاء مدم وانفساد فيها ، هم عاقون لامتهم هادمون لهدايتها وتشريعها وآدابها بل ساعون لابتلاع الافرنج لها ومنهم المستخدمون لذلك وهم يوهون الناس في هذه الايام انهم مبدعو هذه الدعوة في بلادهم وليس كذلك بل ابتدعها في مصر الخديو اسماعيل اغترارا بزينتها وشهواتها فهو اول من اراد ان يجعل مصر اوربية وله في ذلك كلمة مشهورة فكان اول عثرة منها خباها فقد ملكه ، اما جده محمد على فانها اخذ عن اوربا اسباب الثروة في صناعة وزراعة واسباب القوة ، وهو الواجب على كل شعب شرقي يملك افريقية دون تقليد القردة في الآراء والزينة والمعدات وحرية الفسق والفجور والكفر التي يدعو اليها منتحلو الثقافة الجديدة » .

- ٣ -

وكان للسيد رشيد رضا موقفه من جمعية الرابطة الشرقية ومجلتها (م ٦١٩/٢٩) فقد اخذ عليها وجهتها التغريبية من اول عدد منها حيث صدرت بإشراف على عبد الرازق وتنويعها بكتابات طه حسين وسلامة موسى قال : صدر العدد الاول فاذا هي مجلة لا دينية تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة وتدافع عن الترك والفرس والافغان فيما يحاولونه من تجديد بهدم الاسلام على احتراس قليل في التعبير ، هو اقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وامان الله خان منه الى الهجوم عليهما . وأشار الى بحث طه حسين « الذي اشتهر بالطعن في الاسلام وتكذيب القرآن » وخلاصة بحثه الجهلى السخيف في ضمير الغائب واستعمال اسم الإشارة في القرآن الكريم وأشار الى بحث سلاطة

موسى « عدو الرابطة الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية وداعية الكفر والوقاحة والتهتك للذين يعبر عنهما بالأدب المكشوف » وكذلك الدكتور هيكل داعية الثقافة الأوربية وتنويه مجلة الرابطة بالحاد الكمالين وخداع طه حسين للأزهريين بترك الدنيا للملحدين ودعاية سلامة موسى الى الاحادى وهدم الاسلام .

- ٤ -

ومن أخطر معاركه في هذا المجال معركته مع مجلة الأزهر التي أصدرها الأزهر ١٩٣٠ ومن أبرز ما أخذه عليها معارضته لكتابات الشيخ يوسف الدجوى « ففى مكتوباته ما يدعو الى العجب فى مخالفة أجماع السلف الصالح فى الاتباع وتأييد الحلف الطامح فى الابتداع وإقرار ما أفسد على الخرافيين دينهم وآدابهم من عبادة القبور بالدعاء والاستعانة والتضرع والنذور لها والطواف بها كالكمبة واستلام ركنها وتقبيلها كالحجر الأسود » .
وأخذ على مجلة الأزهر سكوتها عن أمور المسلمين فى بعض البلاد الإسلامية ، وقد توقفت عنه المجلة بحجة أنه من أعمال السياسة وهى مجلة دينية رسمية ، واقترح عليها أمرين : أحدهما الدفاع عن الاسلام والمسلمين بصد كل من يهاجمها فى هذا العصر بالحجة والارشاد الى العمل الذى يكشف الغمة ويجمع الكلمة والثانى الدقة فى اختيار كل ما ينشر فى المجلة من الأحاديث والآثار اذ أن أكثر علماء الأزهر ينقلون الأحاديث من كتبهم دون الرجوع فى تخريجها الى دواوين السنة المعتمدة حتى اشتهروا باهمال علم السنة .

وقد دخل السيد رشيد رضا فى مساجلات واسعة مع الأستاذ « الخضر حسين » رئيس تحرير المجلة وكتب فصولا مطولة عن نفسه وعن المنار جمعها بعد فى كتاب تحت عنوان « المنار والأزهر » .

- ٥ -

وقد أشار السيد رشيد رضا الى أنه وضع نموذجا لمجلة الأزهر قبل صدورها على هذا النحو : (هذا النموذج ما زال يحتذى ويمكن الانتفاع به الى اليوم) .

الباب الأول : مقالات دينية وعلمية وتاريخية وخطابية ، الغرض منها

بيان حقيقة الإسلام وإحكامه وإصلاح لشئون البشر الشخصية والقومية ،
والوطنية والسياسية ورفع مستوى الإنسان وتوحيد مقومات الأمم وبيان
حاجة البشر إلى إصلاحه في كل زمان ومكان ولا سيما في هذا الزمان الذي
طلعت فيه الأخطار المادية على الأهم فأنسدت آدابها وعلى الدول فحصرت
كل منها مما في الاستعداد للثوب على التي تأنس فيها الضيف .

الباب الثاني : الفتاوى العامة : فيما يتعلق بالإسلام وآدابه وأحكامه
وتشريعه وسياسته .

الباب الثالث : كشف الشبهات وجلب عقد المشكلات التي تعرض
بطلاب العلوم وغيرهم بالاطلاع على كتب العلوم والفلسفة والأديان المختلفة
وما يورده الملاحدة الماديون ودعاة النصرانية وغيرها من الطعن في الإسلام ،
ومقاومة تيار الاحاد الذي انتشر .

الباب الرابع : باب البدع والخرافات وانتقاد الضار من العبادات
ويسمى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعمد فيه على كتب المثل
والنحل والاعتصام .

الباب الخامس : باب التريسية والتعلم : التربية الدينية والجسمية
والعقلية والنفسية :

العقاية : تربية ملكة الاستقلال في الفهم وحرية البحث .

النفسية : تهذيب الأخلاق وتربية ملكات الفضائل وتربية الإرادة
التي عليها المدار الأعظم في النهوض بالأعمال وتريسية الخيصال بالأساليب
المصورة للمعانى الخطابية والشعرية ومواضع التربية فأولها البيوت
ثم المدارس فالجمعيات .

الباب السادس : آداب اللغة العربية وتاريخها .

الباب السابع : الاقتباس والانتقاد وتقريب الصحف والكتب والمجلات
(وما ينشر في الصحف الغربية من مباحث هامة والرد على المباحث الباطلة)

والقاعدة هي الاجتهاد فيما ليس فيه نص قطعي من وهي ربهم
ولا سنة ماضية من سنن نبيهم بشروطه المعروفة في مهلهما فإن الاجتهاد
مع وجود النص مبنوع في الشرع وفي القوانين الوضعية جميعها .

الفصل الثامن .

الجمعيات الاسلامية

كان متصد انشاء الجمعيات الاسلامية من اكبر اهداف حركة الاصلاح باعتبارها المنطلق الحقيقي لتوجيه النفوس الى فهم الاسلام فهما صحيحا ، ولذلك دعت المنار منذ اليوم الاول الى انشاء الجمعيات الاسلامية وعقدت فصولا مطولة عن الجمعيات الدينية في الشرق و اشار الى الجمعية الخلدونية في تونس والى جمعية شمس الاسلام والجمعية الخيرية الاسلامية في مصر ، والى ندوة العلماء في الهند بوصفها منطلقات جديدة في مواجهة جمعيات الشياطين المسيحية التي نشرها التبشير في اغارب بلاد الشرق ، وقد اشار المنار في تقدير بالغ الى نشوء ثلاث جمعيات في القاهرة هي جمعية مكارم الاسلام وجمعية التعليم الاسلامي وجمعية النهضة الادبية ، وقال ان بعضها انشأ مدارس جعل التربية والتعليم فيهما على منهج الدين وسننه القويم كما انشئت مدرسة اخرى لتعليم البنات .

وقال : انه يسر كل مسلم وكل انسان يحب الفضائل ويرقى ابناء نوعه ما تقوم به جمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الاخلاق من النهوض والانتشار وبرزت اسماء محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية وتلامذتها ثلاثمائة ونيف وقد جعل التربية والتعليم على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الاخلال بمناهج المدارس الاميرية ، وقد ساء هذا النجاح الباهر اعداء الاسلام من المارقين والحكام فحاولوا اطفاء نور الله بأنمواهيم والله متم نوره ولو كره الكافرون . واشاع اصحاب الجرائد الضالة ان الجمعية لا ترضى الحضرة السلطانية وما قيل كذب ، اما جمعية مكارم الاخلاق فقد كان راعيها الاستاذ زكى سند مشعلا متوقدا وكذلك اشاروا الى على ابو النور الحربى وخطابه المؤثر في تهذيب الانسان وتربية الابناء .

انتهى القسم الاول عن (مجلة المنار)

القسم الثانى عن (مجلة الفتح) يصدر قريبا

آفاق البحث

صفحة

٣	موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية
١٧	الباب الأول : العروة الوثقى
٢٩	الباب الثانى : مجلة المنار — محمد رشيد رضا
١٠٩	الباب الثالث : النهضة الإسلامية (حركة الإصلاح) كما صورها المنار
٢١٣	الباب الرابع : أحوال العالم الإسلامى
٢٤٩	الباب الخامس : ميادين العمل الصحفى الإسلامى

رقم الإيداع ٨٣/٣١٩٢